جامعة الجزائر 2

معهد الترجمة

قسم اللغات الجرمانية واللغات الشرقية

البعد الإيديولوجي في ترجمة الخطاب السياسي

دراسة تحليلية مقارنة لترجمتين عربيتين لكتاب

The End of History and The Last Man

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الترجمة

تخصص ترجمة عربي-إنجليزي

إعداد

مسعود بوخالفة

إشراف

د. محبوبة بكوش

2020

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى العائلة الطيبة

إلى الأم الحبيبة والوالد الكريم

إلى الإخوة

إلى كل الأصدقاء

إلى كل من مد لي يد العون

إلى شقيق الروح

إلى زملائي وزميلاتي

إلى طلبتي وطالباتي

وأخص منهم زيدان ورياض وأمين

إلى طالبتي رشا

أهدي هذا العمل

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصـــالحات له الحمد بكل المحامد كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم ســـلطانه، يســـر لي إتمام هذا البحث وأعانني على القيام به، فله الحمد ســبحانه حتى يرضـى وله الحمد إن رضي وله وحده الحمد بعد الرضا.

أتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذتي الدكتورة محبوبة بكوش التي كان لها الفضـــل الأول في متابعة مراحل هذا البحث والحرص على تحقيقه وإخراجه إلى الوجود كما أشـــكرها على تشـــجيعها الكبير وعلى نصـــائحها القيّمة التي قدّمتها لي طول إنجاز هذا البحث. فإن جميع عبارات الشكر والامتنان لا تفي بحقها.

كما أتوجه بالشـــكر الجزيل إلى كل من مد لي يد العون طوال مراحل إنجاز هذا البحث فأنحني شـــاكرا أمام مديرتي معهد الترجمة لتوفيرهما كافة الظروف الملائمة لإخراج هذا البحث إلى الوجود.

كما أتوجه بعبارات الشـكر والتقدير إلى أسـاتذتي أعضـاء لجنة المناقشـة على قبولهم قراءة هذا العمل وتخصـيص وقتهم الثمين لتقييمه وأرجو أن تكون له مكانة تجعله يرقى إلى مكانة بحثية تليق بمقام مقيّميه.

فهرس الموضوعات

مقدمة	1
الفصل الأول الإيديولوجيا والخطاب السياسي	11
تمهيد	11
1-1 تعريف الإيديولوجيا	11
1-1-1 المفهوم اللغوي للإيديولوجيا	12
2-1-1 المفهوم الاصطلاحي للإيديولوجيا	14
1-2-1-1 الإيديولوجيا بمعناها السياسي	14
2-2-1-1 الإيديولوجيا بمعناها التاريخي الاجتماعي	16
3-2-1-1 الإيديولوجيا بمعناها الفلسفي النظري	17
2-1 نشأة مصطلح الإيديولوجيا وتطوره	20
1-2-1 ما قبل الإيديولوجيا	21
1-1-2-1 العهد اليوناني	22
2-1-2-1 العهد الإسلامي	23
2-2-1 عصر الأنوار وظهور مصطلح الإيديولوجيا	25
3-2-1 المفهوم الماركسي للإيديولوجيا	28
1-3-2-1 معارضة الفكر اليساري الألماني	29
2-3-2-1 دور الطبقة الاقتصادية في الإيديولوجيا	30
3-1 تأثير الإيديولوجيا في الميادين المعرفية	31
1-3-1 الإيديولوجيا والدين	31
4-1 الخطاب	33
1-4-1 مفهوم الخطاب	33
1-1-4-1 مفهوم الخطاب لغة	34
2-1-4-1 مفهوم الخطاب اصطلاحا	36
1-2-1-4-1 خطاب مقابل جملة	37

1-4-1-2-2 خطاب مقابل لغة	38
1-4-2 أنماط الخطاب	38
1-4-2-1 الموضوع	39
1-4-2-2 الآلية	39
1-4-2-3 البنية	40
1-4-3 عناصر الخطاب	40
1-4-3-1 المخاطب	40
1-4-3-2 المخاطب	40
1-4-3-3 الخطاب	41
1-5 مفهوم السياسة	41
1-5-1 المفهوم اللغوي	41
1-6 الخطاب السياسي	42
1-6-1 وظائف الخطاب السياسي	43
1-6-1-1 القمع	44
1-6-1-2 إضفاء الشرعية ونزعها	44
1-6-1-3 المقاومة والمعارضة	45
1-6-1-4 التضليل	45
1-6-2 مناهج دراسة الخطاب السياسي	45
1-6-2-1 التحليل النقدي للخطاب	46
1-6-2-2 تحليل الخطاب السياسي	49
1-7 علاقة الإيديولوجيا بالخطاب السياسي	50
خلاصة الفصل الأول	52
الفصل الثاني نظريات الترجمة وعلاقتها بالإيديولوجيا والخطاب السياسي	54
تمهيد	54

2-1 المقاربات اللسانية	54
2-1-1 ثنائية التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي عند نايدا	55
2-1-1-1 أهم الانتقادات الموجهة لـــ نايدا	58
2-1-2 الترجمة الدلالية والترجمة التبليغية عند نيومارك	60
2-1-2-1 أهم الانتقادات الموجهة لـــ نيومارك	63
2-1-3 التغييرات الترجمية عند كاتفورد	63
2-1-3-1 التغييرات البنائية	65
2-1-3-2 التغييرات القسمية	65
2-1-3-3 تغييرات الوحدة	65
2-1-3-4 التغييرات داخل النظام	65
2-1-3-5 أهم الانتقادات الموجهة لـــ كاتفورد	66
2-1-4 كولر ونظرية أنواع التكافؤ	66
2-1-4-1 التكافؤ التحديدي	67
2-1-4-2 تكافؤ ظلال المعنى	67
2-1-4-3 تكافؤ النصوص المعيارية	67
2-2 مقاربات تحليل الخطاب	67
2-2-1 نموذج هاليداي	68
2-2-2 نموذج منى بكر	70
2-2-3 المستوى السيميائي عند حاتم وميسون	71
2-2-4 أهم الانتقادات الموجهة لنظريات تحليل الخطاب	72
2-3 المقاربة الوظيفية	73
2-3-1 نظرية أنماط النصوص	74
2-3-2 نظرية السكوبوس	79
2-4 نماذج المعايير في نظريات الترجمة	81
2-4-1 المعايير عند توري	82

2-4-1-1 المعايير الابتدائية	83
2-4-1-2 المعايير التمهيدية	85
2-4-1-3 المعايير العملية	86
2-4-2 المعايير عند تشسترمان	87
2-4-2-1 معايير المنتوج	87
2-4-2-2 المعايير المهنية	88
2-5 علاقة الإيديولوجيا بالترجمة	88
2-5-1 الإيديولوجيا ودراسات الترجمة	90
2-6 دراسات الترجمة وعلاقتها بالتحليل النقدي للخطاب والخطاب السياسي	94
2-6-1 لمحة عن دراسات ترجمة الخطاب السياسي	96
خلاصة الفصل الثاني	99
الفصل الثالث التعريف بنظرية نهاية التاريخ	101
تمهيد	101
3-1 ظروف صدور نظرية نهاية التاريخ	102
3-2 جذور نظرية نهاية التاريخ	104
3-3 مكونات نظرية نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما	107
3-4 أهم الانتقادات الموجهة لنظرية نهاية التاريخ	112
3-4-1 نظرية إسقاطية وقراءة موجهة للتاريخ	115
3-4-2 أطروحة فكرية في خدمة السياسة الأمريكية	117
خلاصة الفصل الثالث	118
الفصل الرابع دراسة تحليلية ومقارنة للمدونة	120
تمهيد	120
4-1 التعريف بالمدونة	120
4-1-1 ملخص المدونة	120

4-1-2 تقديم فرانسيس فوكوياما	122
4-1-3 التعريف بالترجمات المعتمدة	122
4-1-3-1 تقديم ترجمة حسين أحمد أمين	122
4-1-3-2 تقديم ترجمة رضا الشايبي وفؤاد شاهين وجميل قاسم	123
4-1-4 تقديم المترجمين	124
4-1-4-1 التعريف بحسين أحمد أمين	124
4-1-4-2 التعريف برضا الشايبي	125
4-1-4-3 التعريف بمطاع صفدي	125
4-2 منهجية التحليل	126
4-3 نماذج تحليل من المدونة	127
4-3-1 النموذج 01	127
4-3-2 النموذج 02	131
4-3-3 النموذج 03	139
4-3-4 النموذج 04	145
4-3-5 النموذج 05	151
4-3-6 النموذج 06	157
4-3-7 النموذج 07	161
4-3-8 النموذج 08	165
4-3-9 النموذج 09	167
4-3-10 النموذج 10	170
4-3-11 النموذج 11	173
4-3-12 النموذج 12	177
4-3-13 النموذج 13	179
4-3-14 النموذج 14	184
4-3-15 النموذج 15	189

4-3-16 النموذج 16	193
4-3-17 النموذج 17	197
4-3-18 النموذج 18	203
4-3-19 النموذج 19	207
4-3-20 النموذج 20	211
4-3-21 النموذج 21	212
4-3-22 النموذج 22	216
4-3-23 النموذج 23	220
4-3-24 النموذج 24	223
4-3-25 النموذج 25	228
4-3-26 النموذج 26	231
4-3-27 النموذج 27	235
4-3-28 النموذج 28	239
4-3-29 النموذج 29	243
4-3-30 النموذج 30	247
4-3-31 النموذج 31	250
4-3-32 النموذج 32	255
4-3-33 النموذج 33	257
4-3-34 النموذج 34	261
4-3-35 النموذج 35	264
4-3-36 النموذج 36	269
خلاصة الفصل الرابع	272
خـــــــــاتمـــــة	274
قائمة المصادر والمراجع	279
المراجع باللغة العربية	279

المراجع باللغة الأجنبية	281
Abstract	284
ملخص باللغة العربية	285
مسرد مصطلحات ترجمية ولسانية إنجليزي–عربي	286

مقدمة

تبوّأت الترجمة مكانة خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية واللسانيات وذلك بفضل كونها الرابط الأساسي بين مختلف الشعوب والثقافات وخاصة منذ أواسط القرن العشرين. وقد شملت الترجمة منذ القدم بوصفها حركة لنقل العلوم والمعارف والآداب والفنون كافة مظاهر الحياة الثقافية منها والعلمية والسياسية، حتى إن التراكم العلمي المؤدي إلى تطور العلوم وازدهارها ما كان ليحصل لولا تمكّن المترجمين من نقل مختلف المنجزات العملية بين مختلف اللغات كما يشهد بذلك التاريخ القديم والحديث. وقد تطورت دراسات الترجمة تطورا مطردا جعلها تمثّل مركز اهتمام الباحثين، وجعلها تتميز بميزة تلاقي العديد من الميادين المعرفية فيها على غرار الفلسفة وعلم اللغة والدراسات الثقافية وغيرها. ولعل أبرز ما يدركه دارسو نظرية الترجمة تميزها بالثنائيات التصنيفية منذ ظهور نظريتها، إذ لا يكاد منظر يبدع إلا وقد أضاف تصنيفا إلى الثنائية التي سبقته على غرار (الترجمة الحرفية مقابل الحرة) و(التكافؤ الشكلي مقابل التكافؤ الدينامي) و(الترجمة المضمرة مقابل الترجمة المظهرة) و(الترجمة الدلالية مقابل الترجمة التبليغية) وهو ما يؤشر على اتجاه نظرية الترجمة صوب الثنائيات التصنيفية المبنية على رغبة المترجم وزبون الترجمة على حد سواء.

ويمثل الخطاب السياسي مكانة لا تقل أهمية في مجال العلوم الاجتماعية ذلك أنه يسعى إلى توصيف علاقات القوة والسلطة والممارسة السياسية وكذا لكونه يمتاز بتضمنه القناعة الإيديولوجية لكاتبه أو الجهة التي تصدره.

ومن أجل مواصلة البحث في ميدان الترجمة المتميز بالثراء والسعة والخصوبة وقع اختيارنا على ترجمة الخطاب السياسي سعيا منا إلى تسليط الضوء على هذا النوع من الخطاب وطرائق تناول المترجمين له. ولعل أبرز ما يمتاز به الخطاب السياسي هو تضمنه لإيحاءات إيديولوجية واضحة يسعى من خلالها كاتبه إلى إقناع القارئ باتجاهه الفكري وقناعته.

تعود بداية اهتمامي بالخطاب السياسي إلى مرحلة الليسانس خاصة باللغة الإنجليزية. وقد كان أكثر المقاييس تحفيزا لي على اختيار هذا الموضوع هو مقياس الحضارة العالمية، وذلك لاحتوائه على الأفكار النظرية وعناوين المؤلفات الكبرى للفكر الحضاري وخاصة الشق السياسي منه، فبدا لي اهتمام بمطالعة الكتب والمؤلفات المتناولة لهذا الموضوع وخاصة المؤلفات المعاصرة على غرار كتاب "صراع الحضارات" لصامويل هنتغتون وكذا كتاب The End of History And The Last Man للكاتب الأمريكي فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama الذي اخترته ليكون مدونة لبحثي.

ولعل أكثر ما شجعني على الإقدام على هذا الموضوع هو نقص الاعمال الأكاديمية المتناولة لهذا الميدان من ميادين الترجمة وخاصة باللغة العربية، وأنوي من خلال هذه الدراسة تقديم مساهمة لعلها تكون فاتحة بحوث أخرى تتناول ترجمة الخطاب السياسي في جوانبها المعرفية واللغوية.

ولعل قارئ هذا النوع من الكتب يلاحظ توافرها خاصة بأقسام العلوم السياسية والإنسانية، غير أن دراسات ترجمتها إلى اللغة العربية تتميز بنقص ملحوظ –في حدود ما قرأنا–وهو ما دفعنا إلى دراسة ترجمة الإيديولوجيا في الخطاب السياسي لعل ذلك يرشدنا إلى تحليل يفتح الباب أمام بحوث أخرى تعنى بهذا النوع من النصوص ذات المكانة المتميزة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تنطوي لغة الخطاب السياسي على مصطلحات متخصصة مما يجعل تناولها لدى المترجمين يحتاج إلى معرفة دقيقة بخصائص لغتها، ويزداد الأمر تعقيدا إذا أخذنا في الحسبان أن أي خطاب سياسي هو خطاب مؤدلج بالضرورة، مما يفرض على المترجم بوصفه متلقيا ثان ومرسلا ثانيا في الآن نفسه أن يتعامل مع تعقد هذا الخطاب بنوع من الأمانة والدقة تجعله يحافظ على إيديولوجيا الخطاب السياسي حتى وإن كانت تعارض قناعته.

بالنظر إلى ما سبق وبالاعتماد عليه بنينا الإشكالية التي يسعى موضوع بحثنا إلى تقصيها وفقا للشكل الآتي:

البعد الإيديولوجي في ترجمة الخطاب السياسي.

ويمثّل المنهج الترجمي الذي يسلكه المترجم لدى تعامله مع الإيديولوجيا في الخطاب السياسي التساؤل الرئيس الذي يسعى موضوع بحثنا إلى استقصائه، وعليه فإن السؤال الرئيس الذي يسعى بحثنا للإجابة عليه إنما هو:

كيف يتعامل المترجم مع الإيديولوجيا في الخطاب السياسي؟

لا شك أن سؤالا من هذا النوع لا يمكن التطرق إليه دون تفكيكه إلى أسئلة فرعية تكون تابعة له، وعليه فإن التساؤل الرئيس الذي سبق طرحه نجم عن أسئلة فرعية تداعت على ذهننا نحاول صياغتها فيما يلي:

- ما موقف المترجم أمام الخطاب السياسي؟
- ماهي الإيديولوجيا؟ وما هو تعريفها؟ وما علاقتها بالخطاب السياسي؟
- هل صحيح أن كل خطاب سياسي خطاب مؤدلج بالضرورة؟
- كيف يمكن ترجمة الإيديولوجيا في الخطاب السياسي؟ وهل يمكن نقلها دونما محاولة للتأثر بها أو التأثير فيها؟
- ماهي النظرية أو المنهج الترجمي الأسلم للمحافظة على البعد الإيديولوجي عند ترجمة خطاب يبدو أنه إيديولوجي بطبيعته كالخطاب السياسي؟

- ما نوع الرابطة التي تصل الترجمة ونظريتها بالإيديولوجيا؟ أهي علاقة تأثير أم تأثر؟ أم أنها علاقة تفاعلية؟
- هل للتخصص في العلوم السياسية أي تأثير في التعامل مع الإيديولوجيا عند ترجمة الخطاب السياسي؟

ولأجل الإجابة المؤقتة على التساؤلات التي سبق طرحها فإننا نطرح الفرضيات الآتية:

- يركز المترجم لدى نقله للإيديولوجيا في الخطاب السياسي على أيديولوجيته الخاصة التي تؤثر في منتجه الترجمي إن على مستوى الالفاظ المختارة أو على مستوى الرسالة ككل.
- لا يمكن نقل الإيديولوجيا في الخطاب السياسي دونما محاولة للتأثير فيها بما يتماشى وأيديولوجيا المترجم نفسه.
- ليس هناك من منهج ترجمي كفيل بالمحافظة على الإيديولوجيا في الخطاب السياسي غير التقيد الصارم بالأمانة في مفهومها العام التي تعني نقل معاني النص دونما محاولة للتأثير فيها.
- ترتبط الترجمة بالإيديولوجيا بعدة طرق، لكن أظهر الطرق هي طريقة التأثير، فكل ترجمة هي محاولة للتأثير في إيديولوجيا النص الذي تتعامل معه.

- للتخصص في العلوم السياسية علاقة وثيقة بنقل الإيديولوجيا في الخطاب السياسي.

وبحثا بين المؤلفات المتوفرة في هذا الميدان وقع اختيارنا على كتاب The End Of History And The Last Man للمفكر الأمريكي المعاصر فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama وذلك لكون هذا الكتاب تضمن خطابا سياسيا حاول مؤلفه من خلاله شرح نظريته حول نهاية التاريخ، إلى جانب ترجمتين عربيتين له، أما الأولى فقد صدرت عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة 1993 وأعدها حسين أحمد أمين بعنوان "نهاية التاريخ وخاتم البشر" وأما الثانية فقد صدرت عن مركز الإنماء القومي ببيروت عام 1993 وشارك في إعدادها كل من فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، ليبنى بذلك عنوان بحثنا بالشكل الآتي:

- **البعد الإيديولوجي في ترجمة الخطاب السياسي، دراسة تحليلية مقارنة لترجمتين عربيتين لكتاب The End Of History And The Last Man**

من أجل الإجابة على هذه التساؤلات قسمنا دراستنا إلى أربعة فصول ثلاثة منها نظرية والرابع تطبيقي.

يسعى الفصل النظري الأول إلى ربط العلاقة بين الإيديولوجيا والخطاب السياسي، حيث نبدأ بتعريف الإيديولوجيا (1-1) من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وهو مفهوم معقد يتشارك في تحديد تعريفه جملة من الميادين السياسية والفلسفية النظرية سنسعى إلى التعرض إليها كلها. ثم ننتقل إلى تتبع نشأة هذا المصطلح وتطوره (1-2). كما يتناول المبحث الموالي تأثير الإيديولوجيا في مختلف الميادين المعرفية (1-3) لننتقل بعدها إلى الخطاب السياسي (1-4) بادئين بتعريف الخطاب (1-4-1) ثم السياسة (1-5) لنصل إلى محاولة لرسم مفهوم واضح حول الخطاب السياسي (1-6). وبعد التعرض لهذين المفهومين كل على حدى نمرّ إلى ربط العلاقة بين الإيديولوجيا والخطاب السياسي(1-7) حيث نسعى إلى تحديد تمثلاتها وكيفية تضمينها في الخطاب السياسي وكذا المناهج الكفيلة بدراستها وتحديد الوسائل اللغوية التي يستعين بها المحللون من أجل الكشف عن إيديولوجيا الخطاب السياسي.

وبعد التعرض لمفهوم الإيديولوجيا والخطاب السياسي ومحاولة ربط العلاقة بينهما، ننتقل في الفصل النظري الثاني إلى محاولة ربط هذين المفهومين بنظريات الترجمة، حيث نبدأ برصد أهم الاتجاهات التنظيرية للترجمة بادئين بالمقاربات اللسانية (2-1) التي سعى من خلالها منظروها إلى استخدام مفاهيم اللسانيات ووسائلها التحليلية في ميدان دراسات الترجمة، حيث سنحاول التعرض لأهم

النظريات الترجمية ذات الميول اللسانية، ثم ننتقل إلى مقاربات تحليل الخطاب في نظرية الترجمة (2-2) حيث أثر تحليل الخطاب بوصفه ميدانا تحليليا لسانيا في نظرية الترجمة وتجسد ذلك من خلال عدة مقاربات سنحاول رصد كل واحدة منها بالتفصيل. شهدت نظرية الترجمة أيضا تأثرا بالاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة، وقد ظهر هذا التأثر باديا للعيان من خلال عدة مقاربات ذات ميول وظيفية واضحة (2-3) سنسعى إلى رصد كل واحدة منها على حدى مع تبيان منهج كل منها الترجمي. كما شهدت نظرية الترجمة ظهور مقاربات أخرى أبدعت مفهوما جديدا في الدراسات الترجمية المعاصرة ألا وهو مفهوم المعايير (2-4) حيث نسعى إلى التعرض لأهم المنظرين تناولا لهذا المفهوم لننتقل إلى ربط العلاقة بين الترجمة بالإيديولوجيا (2-5) ثم ربطها بالتحليل النقدي للخطاب الذي يشكل أهم منهج تحليلي يساعد على فك شفرة الإيديولوجيا في الخطاب السياسي (2-6).

يتضمن الفصل النظري الثالث تعريفا بنظرية نهاية التاريخ لصاحبها فرانسيس فوكوياما. لا شك أن نظرية في العلوم السياسية والاجتماعية وليدة ظروف محيطة بها تؤدي إلى ظهورها وإصدارها، حيث نسعى إلى تحديد أهم الظروف الدولية التي صاحبت ظهور هذه النظرية (3-1) ثم ننتقل إلى تتبع جذورها (3-2) وهي متعددة ذات أصول تتنوع بين كونها فلسفية ودينية وسياسية. ثم ننتقل إلى محاولة رصد أهم

مكونات نظرية نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما (3-3) وكذا أهم الانتقادات الموجهة لها (3-4).

أما الفصل الرابع، فهو دراسة تطبيقية للمدونة، وقد حاولت فيه تحليل المدونة من خلال تتبع كيفية تعامل المترجمين مع كتاب ذي صبغة إيديولوجية واضحة. حيث وبعد تقديمنا للمدونة، اخترنا ستة وثلاثين أنموذجا (36) متوزعة على فصول الكتاب حتى يتمكن القارئ من رسم صورة واضحة عن مضمون الكتاب قيد الدراسة. وقد راعينا في تحليلنا بداية تحديد توجه الترجمة إما صوب الأصل أو صوب الهدف قبل محاولة تحليل تعامل كل واحدة منهما مع المؤشرات الإيديولوجية. وسيلاحظ القارئ أن النماذج المختارة طويلة بعض الشيء، وقد كان اختيارنا لها عن قصد لكون مضمون الكتاب سياسيا فكريا نحتاج فيه إلى نماذج تكون متوسطة الطول حتى نتمكن من معرفة طريقة حجاج الكاتب وتعامل الترجمتين مع مضمونه الفكري.

لقد اعتمدنا على طريقة جمعية علم النفس الأمريكية المعروفة اختصارا بـ APA في تقديمنا للمراجع وذلك من أجل أن يتمكن القارئ من الرجوع إلى عناوين الكتب في قائمة المراجع بكل يسر وسهولة ومثال ذلك أن كتاب إيغلتون نشير إليه في المتن بـ (Eagleton, 1991, p. 1) . كما اعتمدنا على النظام نفسه في تقسيم الفصول إلى مباحث مرقمة وفقا لطريقة جمعية علم النفس الأمريكية في نسختها السادسة Sixth edition، وذلك تحريا منا للدقة ولأجل تلافي العموميات التحليلية التي

من الممكن أن تشتت ذهن القارئ. كما يلاحظ القارئ أننا قسمنا المراجع إلى مراجع عربية ومراجع أجنبية وقد كانت هذه المراجع بمثابة المستند الصلب الذي اعتمدت عليه دراستنا، فمنها ما استعنّا به من أجل الاطلاع على المدارس الفكرية من أجل الاطلاع على دورها في تحديد مفهوم الإيديولوجيا ومنها ما استعنّا به في الدراسات التحليلية المستخدمة في تحليل الخطاب السياسي ونظريات الترجمة.

أدرجنا في نهاية البحث ملحقين أحدهما خاص بالمصطلحات الترجمية واللسانية المستخدمة في الترجمة وتحليل الخطاب السياسي والآخر خاص بالمصطلحات السياسية ذات الحضور الواسع في كتاب فرانسيس فوكوياما عن نظريته حول نهاية التاريخ، وذلك حتى يتمكن القارئ غير المتخصص من معرفة هذه المصطلحات ومقابلاتها باللغة العربية.

1-الفصل الأول: الإيديولوجيا والخطاب السياسي

تمهيد

ترتبط الإيديولوجيا عادة بالسياسة عموما وبممارستها الخطابية على وجه الخصوص، ويبدو أنّ أوجه الارتباط بينهما تتعدّد وتتنوّع في شكل علاقات تأثير وتأثر وتجسيد. يهدف هذا الفصل إلى التعرف على الإيديولوجيا وعلاقتها بالخطاب السياسي، حيث نبدأ بتعريف الإيديولوجيا (1-1)، ثم ننتقل إلى مراحل تطورها (1-2) لنرصد كيفية وصول هذا المصطلح إلى وضعه الحاليّ. كما نسعى إلى التعرف على علاقتها ببعض الميادين المعرفية وخاصة الدين (1-3)، لننتقل إلى الخطاب السياسي (1-4) حيث نعرف الخطاب (1-4-1) ثم السياسة (1-5) لنصل إلى مقاربة مفهوم الخطاب السياسي (1-6). ننتقل بعد ذلك إلى ربط الإيديولوجيا بالخطاب السياسي(1-7)، لنصل إلى خلاصة للفصل تكون حوصلة لما قمنا به.

1-1 تعريف الايديولوجيا ideology

يعدّ مفهوم الإيديولوجيا من المفاهيم المعقدة والمتشعّبة التي شغلت حيّزا مهما من أعمال الفلاسفة والمفكرين منذ ظهوره في أوائل القرن التاسع عشر. ولا يمكن أن تشمل مقاربتنا لمفهوم الإيديولوجيا كل ما قدمه الفلاسفة والمفكرون منذ ظهور هذا المصطلح، لذلك نبدأ بتقديم تعريف لغوي لها ثم نقارب مختلف استعمالاتها الاصطلاحية، ثم نعرّج إلى مراحل ظهوره لعلنا نتمكّن من فهم كيفية وصول هذا المصطلح إلى ما هو عليه الآن.

1-1-1 المفهوم اللغوي للإيديولوجيا ideology

يتكون مصطلح إيديولوجيا ideology من جذر لغوي هو Idea التي تعني الفكرة ولاحقة يونانية الأصل هي logy وتعني علم، وتم استخدامه أول مرة في اللغة الفرنسية idéologie على يد الفيلسوف الفرنسي ديستو دي تراسي Destut de Tracy .

وقد جاء في تعريفها في اللغة الإنجليزية تعاريف كثيرة على كثرة القواميس اللغوية، ويبدو أنّ جلّها يدور حول معنيين كما سيأتي.

Ideology:

- A system of ideas and ideals, especially one which forms the basis of a political theory
- *Archaic*, the science of ideas, the study of their origin and nature. (Oxford Living English, s.d.)

أي: «-نظام من الأفكار والمُثل خاصة تلك التي تشكّل قاعدة لنظرية سياسية

-تأثيلي: علم الأفكار، دراسة مناشئها وطبائعها" (ترجمتنا).

تتراوح التعاريف اللغوية لكلمة ideology بين شقين، أحدهما تأثيلي (etimological) وهو المعنى الأصيل للكلمة، ويدل على دراسة الأفكار وطبيعتها ومنشئها وغاياتها، أما الآخر فهو معنى أقرب ما يكون إلى التعريف الاصطلاحي، ويدل على نظام من العقائد والأفكار تتشارك فيه مجموعة بشرية، وعادة ما يكون أساسا مرجعيا للنظرية السياسية.

ويشير بعض المفكرين العرب على غرار **العروي** (العروي، 2003) إلى أن هذا المصطلح دخيل على جميع اللغات الحية بما فيها اللغة الفرنسية التي تعد أصله، ذلك أنّ معناها الأصيل "علم الأفكار" ما لبث أن تغيّر بانتقاله إلى اللغة الألمانية وتضمُّنه معان أخرى غير المعنى الأصيل، ثم رجع إلى اللغة الفرنسية حاملا المعاني التي تم تضمينه إياها. ولعل ذلك ما يفسر عدم اتفاق الكتّاب والمفكرين العرب على مصطلح واحد يكون ترجمة للإيديولوجيا، فمن الممكن أن نجد مقابلات مختلفة من قبيل منظومة فكرية، عقيدة، ذهنية إلخ...، ويبدو أنّ كل واحدة من هذه الترجمات تنقل جانبا من المعاني التي يحيل عليها المصطلح دون الجوانب الأخرى. وبالعودة إلى التراث العربي الإسلامي، تبدو كلمة "دعوة" بإيحاءاتها الإسلامية، أحد المصطلحات العربية التراثية تعبيرا عن مضمون الإيديولوجيا، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان استخداماتها لدى مختلف الفرق التي عرفها الفكر العربي الإسلامي، حيث أنها تشير إلى الأدبيات التي تعتمد عليها الفرقة من جهة، وممارستها الدعائية من أجل تحريض الناس على اعتناق مذهبها من جهة أخرى، لذلك تبدو "دعوة" مصطلحا تراثيا قريبا إلى حد بعيد من المضمون المفاهيمي للإيديولوجيا في بعض استعمالاتها المعاصرة. (العروي، 2003، الصفحات 9-10)

ويقترح **العروي** تعريب هذه اللفظة تعريبا تامّا، وذلك من خلال إدخالها إلى اللغة العربية وإخضاعها إلى الميزان الصرفي العربي "أفعولة" فتكون بذلك أدلوجة.

ويبرر ذلك بانتشار لفظ الإيديولوجيا انتشارا واسعا في الأوساط البحثية من جهة، وبصعوبة إحياء مصطلح "الدعوة" التراثي من جهة أخرى، لذلك يرى أن استخدام الميزان الصرفي العربي "أفعولة" لاستيعاب هذا المصطلح قد يكون كفيلا بوضع حد للخلاف القائم حول ترجمة هذا المصطلح إلى اللغة العربية. (العروي، 2003، صفحة 11)

1-1-2 المفهوم الاصطلاحي للإيديولوجيا:

يرجع الاستعمال الاصطلاحي لمفهوم الإيديولوجيا في أصله إلى ثلاثة اعتبارات منبثقة عن ثلاثة ميادين معرفية هي:

- الاعتبار الأول سياسي محض
- الاعتبار الثاني اجتماعي تاريخي
- الاعتبار الثالث فلسفي نظري

ولا بد من الوقوف عند كل استعمال على حدى، لعل ذلك يساعد على ضبط مفهوم الإيديولوجيا الذي يعدّ مفهوما معقّدا ومتشعبا تتشارك فيه الميادين المعرفية المذكورة آنفا كما سيأتي.

1-1-2-1 الإيديولوجيا بمعناها السياسي

يستخدم مصطلح الإيديولوجيا في الميدان السياسي عند الحديث عن المنافسة بين الأحزاب والتيارات السياسية المختلفة والمتنوعة، فيحيل إلى مجموعة القيم

والمبادئ التي تحكم العمل السياسي عند فريق سياسي ما من جهة، وإلى الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من خلال ممارسته السلطة من جهة أخرى. يكتسي استعمال مصطلح الإيديولوجيا في ميدان الأحزاب والتيارات السياسية طابعا تصنيفيا، فهو يساعد المُحلّل أو الدارس للشؤون السياسية على تصنيف الأحزاب السياسية وفقا لمعايير معينة تشكّل في مجملها القاعدة القيميّة التي يستند إليها الفريق السياسي من أجل تبرير سلوكه السياسي. ويشير بعض المفكرين على غرار إيغلتون (Eagleton) (Eagleton, 1991) إلى أن مصطلح الإيديولوجيا بمعناه السياسي قد يستعمل أيضا مرادفا لمعنى "إضفاء الشرعية" (legitimizing) على سيطرة فريق سياسي ضد فريق سياسي آخر، ويشير إلى أنّ دراسة الظاهرة الإيديولوجية ضمن هذا الإطار تعني تتبع كيفية جعل هيمنة فريق على فريق آخر عملية عادية وفي غاية الشرعية، يقول إيغلتون:

"To study ideology means to study the ways in which meaning serves to sustain relations of domination" (Eagleton, 1991, p. 5)

أي:" تُعنى الإيديولوجيا بدراسة سبل جعل المعاني تعين في المحافظة على علاقات الهيمنة" (ترجمتنا).

يبدو من خلال هذا التعريف أن الإيديولوجيا بمعناها السياسي تشير إلى الهيمنة، حيث أشار إليها ايغلتون بقوله "علاقات الهيمنة"، والتي تعني علاقة المهيمن بالمهيمن عليه. وتمر عملية جعل علاقات الهيمنة أمرا عاديا من خلال عدة

مراحل تبدأ بالقيم (values)، حيث يكون السعي إلى تحقيقها والمحافظة عليها أمرا لا يتحقق إلا من خلال المحافظة على ثنائية المهيمن مهيمن عليه (Dominant/Dominated)، ومن ثم عولمة هذه القيم ذات الطابع السياسي، وذلك من خلال الدفع بمختلف الشعوب إلى المطالبة بها والسعي في سبيل تحقيقها عن طريق محاكاة ما حققه الطرف المهيمن من هذه القيم.

1-1-2-2 الإيديولوجيا بمعناها التاريخي الاجتماعي

تعني الإيديولوجيا بمعناها الاجتماعي التاريخي دراسة المجتمع وخصائصه خلال مرحلة من المراحل التاريخية، ثمّ تتبُّع كيفية تأثير تلك الخصائص على ما تم إنتاجه من علوم وآداب وفنون. فعند تناول الباحث في الإيديولوجيا لأي مفكر وما توصّل إليه من نتائج، فهو يبدأ بالربط بين النتائج التي حققها وبين الخصائص المنبثقة عن الظرف التاريخي الاجتماعي التي كان عليه أن يتقيد بها. وتكون الإيديولوجيا بهذا المعنى مجموعة من العوامل متقيدة بظرف زمني أثرت في علومه ومعارفه وآدابه وفنونه، ويصطلح بعض المفكرين على تسميتها بـ "الأفق الذهني" (العروي، 2003، صفحة 12)، أي الحد الإدراكي الذي ضمنه أنتجت الأفكار والآداب والفنون. ويذهب إيغلتون إلى أن الإيديولوجيا بمعناها الاجتماعي تتمثل في الآلية التي تمكّن من إنتاج المعاني، حيث يقول:

"Ideology may be defined as the process of producing the meanings and signs in a social life". (Eagleton, 1991, p. 1)

أي:" يمكن تعريف مصطلح الإيديولوجيا بأنه عملية إنتاج المعاني ورموزها في سياق اجتماعي ما" (ترجمتنا).

يتضمّن هذا التعريف ربطا واضحا لمفهوم الإيديولوجيا بالجانب الاجتماعي، حيث أن عمليّة "إنتاج المعاني" كما أشار إليها إيغلتون تتمثل في القالب المفاهيمي الذي تشكله القيود الاجتماعية، أي من خلال تأثيرها في كيفية فهم الظواهر المختلفة. وتتمثل القيود الاجتماعية في الظواهر الاجتماعية التي يجعل منها المجتمع مرجعيات يحتكم إليها عند تفسير مختلف الأحداث أو الظواهر والتي تؤثر في رسم المعنى المراد إلحاقه بتلك الظواهر أو الأحداث، وقد تكون تلك المرجعيات ذات طابع ديني، حيث يتم الرجوع إلى الدّين من أجل اتخاذ موقف من ظاهرة أو حدث ما، كما قد تكون ذات طابع تاريخي، حيث يتم الرجوع إلى المسار التاريخي الذي مرّ به المجتمع من أجل الوقوف من ظاهرة ما موقفا إيجابيا أو سلبيا.

1-1-2-3 الإيديولوجيا بمعناها الفلسفي النظري:

يكتسي مصطلح الإيديولوجيا طابعا فلسفيا، ذلك أنه قد يُستخدم محيلا إلى معنى "طريقة ما في النظر إلى الظواهر" (العروي، 2003، صفحة 13) . وتكون الإيديولوجيا بهذا المعنى مبحثا فلسفيا نظريا يسعى إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء تفسير الظواهر المختلفة تفسيرا يخضع إلى قناعات المفسّر أكثر من خضوعه لطبيعة الأشياء المراد تفسيرها. وبهذا المعنى الذي هو "طريقة في النظر إلى

الأشياء" يكون مفهوم الإيديولوجيا على النقيض من "الحقيقة"، ذلك أنّ هذه الأخيرة تعني النظر إلى الظواهر وتفسيرها كما هي على طبيعتها، بخلاف الإيديولوجيا التي تحيل بمعناها الفلسفي إلى تأثير قناعات المفسّر على طريقة تفسيره. ويؤكد إيغلتون هذا التناقض بين الإيديولوجيا والحقيقة قائلا:

"The opposite of ideology then would be 'truth'" (Eagleton, 1991, p. 3)

أي: "تقف الإيديولوجيا بهذا المعنى على النقيض من الحقيقة" (ترجمتنا).

وتؤشر الإيديولوجيا بمعناها النظري الفلسفي النظري على وجود إطار مرجعي يستند إليه الباحث لتفسير كل ما يقع من أحداث، أو لتفسير كل الظواهر تفسيرا مطابقا لما يراه حقيقة، ويفترض امتلاك الحقيقة وحيازتها دون التفاسير المخالفة. ويصف إيغلتون على هذا التعريف بقوله إنه يُشرك مسائل إبستمولوجية حيث يقول:

"Some definitions of ideology may involve epistemological questions –questions concerned with our knowledge of the world-; they involve a sense of not seeing reality properly" (Eagleton, 1991, p. 2) .

أي: "تُشرك بعض تعاريف الإيديولوجيا مسائل ذات طابع إبستمولوجي، أي قضايا على صلة بمعرفتنا بالعالم. إنها تشير إلى معنى رؤية الواقع بطريقة مغايرة لما هو عليه" (ترجمتنا).

يحيل إيغلتون في تعريفه هذا إلى المسائل ذات الطابع المعرفي في فهم مصطلح الإيديولوجيا. وتعدّ هذه المسائل متعلقة أساسا بفهم الواقع بغير ما هو عليه.

يدلّ هذا التعريف على الاستناد إلى أيّ مرجعية من المرجعيات من أجل محاولة فهم الواقع وإعطائه معنى مطابقا لما تقرره هذه المرجعية أو تلك، ولعل استخدام إيغلتون لمصطلح "ابستمولوجيا" من أجل وصف هذه المسائل المؤثرة في تعريف الإيديولوجيا له ما يبرره، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان مسألة عدم مطابقة الفكر للواقع في علم المنطق، والتي يمكن الاستعانة بها من أجل فهم مصطلح الإيديولوجيا وفقا لهذا التعريف. يتم تعريف الإيديولوجيا بهذا المعنى بالاستناد إلى القناعات من أجل فهم الواقع، والتي قد تكون ذات مشارب مختلفة ومتنوعة، فمنها ما هو ديني مثلا، ومنها ما هو مصلحي.

ويمكن أن نصل –من خلال التعاريف السابقة–إلى أنّ استخدام مصطلح الإيديولوجيا ذو طبيعة وصفية أحيانا، وذو طبيعة نقدية أحيانا أخرى. فلدى استخدامه بمعنى تاريخي اجتماعي، يشير هذا المصطلح إلى وصف لخصائص مجتمع من المجتمعات ضمن مرحلة من مراحله التاريخية، وكيفية تأثيرها في الميادين المعرفية المختلفة من فكر وفلسفة وفنون وآداب، كما يكون وصفيا إذا ما أخذنا في الحسبان استخدامه من أجل تتبع كيفية تأثير القيود الاجتماعية في تشكيل عملية فهم الظواهر المختلفة لدى المجتمع. وتكون الإيديولوجيا وصفية إذا ساعدت على تصنيف الأحزاب والتيارات السياسية المختلفة حسب المبادئ التي تحكم سلوكها السياسي وحسب المشاريع والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. ويستخدم مصطلح

الإيديولوجيا استخداما نقديا إذا ما أخذنا في الحسبان الاتكال عليه من أجل تصنيف القناعات والمعتقدات التي تفرض منطقها على آراء الناس ومواقفهم من مختلف القضايا. ويبدو أنه تصنيف بحد ذاته نقديّ، ذلك أنه يستعمل في مقابل "الحقيقة"، هذه الأخيرة التي تعني التقيد بالموضوعية ووصف الظواهر أو وصف الأحداث دون إصدار أي موقف حولها.

1-2 نشأة مصطلح الإيديولوجيا وتطوّره

يبدو من خلال تناولنا لتعاريف مصطلح الإيديولوجيا في جانبها الاصطلاحي أنّ استخدامها ذو غرض وصفي عند الدراسة الموضوعية للأفكار والمفاهيم، وذو غرض نقدي عند الرغبة في اتخاذ موقف تحدّده أطر مرجعية لا تخرج في عمومها عن الاعتبارات الاجتماعية والتاريخية. ويبدو أنّ هذا الإيحاء النقدي أكثر حضورا من الاستعمال الوصفي، ذلك أن الاستخدام الوصفي يكاد يكون حصرا على الدراسات الأكاديمية، بخلاف الاستخدام النقدي المتولّد عن فكر القرن الثامن عشر. إذ شهد ذلك القرن مواقف فكرية تميّزت بالجرأة على المسلّمات (assumptions) والمطلقات خاصة ذات الطابع الديني. ولئن كان من الصعوبة بمكان تتبّع استخدام مصطلح الإيديولوجيا بمعنييها الوصفي والنقدي قبل نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، غير أنّ بعض الملاحظات قد دوّنت قبل ذلك العهد، ولدى مختلف الحضارات، تشير إلى بعض الأنساق النظرية الهادفة إلى التأسيس لمفهوم

نقدي شبيه بالاستخدام النقدي للإيديولوجيا وفقا لما تعرّضنا له في تعاريفها. ونهدف فيما يلي إلى تتبّع نشأة هذا المصطلح، مع التلميح لبعض المحاولات التي كانت قبل استقراره على ما هو عليه منذ استخدامه.

1-2-1 ما قبل الإيديولوجيا

يعود استخدام مصطلح الإيديولوجيا، وفقا لما أسلفنا، إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من ذلك، يبدو من المفيد الوقوف على بعض الحضارات السابقة لهذا العهد، لعلّنا نجد موقفا نظريّا نقديا شبيها بمفهوم الإيديولوجيا، أو لنقف على الأقل على الأسباب الكامنة خلف انعدام ذلك. وتجدر الإشارة إلى أنّنا سنكتفي بالحضارتين اليونانية والإسلامية. ولعلّ مردّ ذلك إلى كون الحضارتين اليونانية والإسلامية تُعدّان من أقدم الحضارات التي مازال إرثها حاضرا من الناحية الفلسفية في العالم المعاصر من جهة، ولكون الجدل الدائر في تراثهما جدلا ذا طبيعة منطقية وفلسفية، خلافا للحضارة الرومانية التي هيمن فيها الجدل الديني. فقد كانت معظم الصراعات الفكرية عند الرومان ناشئة عن فهوم متباينة للكتاب المقدّس. ويبيّن ذلك أنّ هذه الفهوم المتباينة أحيانا والمتناقضة أحيانا أخرى كانت كنسية أكثر من كونها تأملية أو فلسفية، لذلك آثرنا الاقتصار على الحضارتين اليونانية والإسلاميّة.

1-2-1-1 العهد اليوناني

تميّز العهد اليوناني بنشأة الفلسفة التي هي محبّة الحكمة والسعي إلى تحقيقها من خلال ترويض العقل على التفكير السليم، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة. ويمكن تلخيص ذلك في أن العالم الإنساني المعيش صورة عن العالم العلوي من جهة، وعن الفكر الإنساني من جهة ثانية، وعليه، تفترض الفلسفة اليونانية وجود تطابق بين الفكر الانساني والواقع المعيش. ويمكن تبرير هذا التطابق بين الفكر الانساني والواقع بكون الانسان يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة بواسطة عقله الذي لا يمكن أن يشتغل إلا من خلال قوانين مستوحاة من القوانين الكبرى التي تحكم الكون. وإذا حدث أيّ تناقض بين الفكر والواقع فإن مردّ ذلك وفقا لفلسفة سقراط إلى تعطّل الوسيلة التي يستخدمها الانسان، ويقع على عاتق الطبيب أن يصلح تلك الوسيلة أو على عاتق أستاذ المنطق وفقا لأرسطو. وإذا عجز الطبيب وأستاذ المنطق في هذه المهمة، أي إذا عجزا عن تحديد العلة وعلاجها، ينتقل الأمر إلى الغواية، ومعناها أنّ الانسان خاضع لقوة قاهرة تمنعه من إدراك الحقيقة.

يتميّز العهد اليوناني إذن بتبرير عدم تطابق الفكر مع الواقع تبريرا إمّا أن يكون منطقيا يتلخص في المشكلة الطبية أو العقلية، وإمّا أن يكون أخلاقيّا يتلخص في خضوع الانسان إلى قوة قاهرة تحول بينه وبين إدراك الحقيقة. وكلّ ما يمكن أن ينشأ من تناقض بين الفكر والواقع أو عدم تطابقهما على الأقل لا يخرج عن هاتين

العلتين المنطقية أو الأخلاقية. لقد حال هذا التبرير فيما يبدو، وفي حدود ما قرأنا، دون نشوء نظرية تفسّر عدم تطابق الفكر والواقع تفسيرا نقديا يصل حدّ ما يُصطلح عليه بالإيديولوجيا. وعلى الرغم من ذلك، إلا أنّ مجرد الإشارة إلى مفهوم "عدم تطابق الفكر مع الواقع" يُعدّ وصفا لظاهرة شبيهة بأحد مفاهيم الإيديولوجيا التي سبق أن تعرضنا لها، والتي تعني رؤية الواقع بطريقة مغايرة لما هو عليه. (إبراهيم، 1998)

1-2-1-2 العهد الإسلامي

لاحظنا في العهد اليوناني أنّ مفهوم الإيديولوجيا وإن كان غير وارد بلفظه، إلا أنه حاضر من خلال أحد معانيه التي تناولناها وهو "عدم تطابق الفكر مع الواقع" ويبرر ذلك تبريرا منطقيا أو أخلاقيا. وقد سبق أن أشرنا في التعريف اللغوي للإيديولوجيا إلى أنّ بعض المفكرين العرب يرون أنّ استخدام مصطلح "الدعوة" في التراث العربي الإسلامي شبيه إلى حد بعيد ببعض استخدامات مصطلح الإيديولوجيا، بل يلتقيان في أنّ "الدعوة" بإيحاءاتها التراثية تشير إلى القاعدة النظرية والممارسة الدعائية من أجل اعتناق الدين كلّه، أو اعتناق مذهب من مذاهبه. وبعد ازدهار حركة ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية في العصر العباسي، ظهرت العديد من الفرق التي حاولت تجريب ما اصطلح عليه اليونانيون بـ "عدم مطابقة الفكر للواقع". ويُستخدم الواقع في هذا السياق بمعنى المرجعيّة لأنّ كل الفرق التي

شهدها التراث الإسلامي تستوحي قاعدتها النظرية من نص واحد هو النص القرآني، إلا أنّ آراءها وتأويلاتها تعددت مما نتج عنه اختلاف ممارساتها. ومن أشهر الفرق التي مازالت إلى حد الآن مختلفة فرقتا السنّة والشّيعة.

لقد حاول بعض المشتغلين الجامعين بين الفلسفة اليونانية المترجمة وعلوم الدين تفسير هذه الظاهرة، أي ظاهرة اختلاف الفرق الإسلامية مع أنها تأخذ عن أصل واحد هو النص القرآني. ومن بين هؤلاء، نجد أبا حامد الغزالي يحاول تبرير اعتناق بعض المذاهب التي تدعي الأخذ من القرآن مع أنها بعيدة عنه. ويفسر ذلك بأنّ هذه الدعاوى "الباطنية" تنطلق كلها ممّا يصفه "الحقد الدفين" على الاسلام، حيث يقول أن جلّ الشيعة الذين يناصرون الإمام عليّا ورثوا حقد من يسميهم "المجوس" على الإسلام، فاختاروا لنشر دعوتهم طريقة "إفساد عقول الناس". ويوضّح أن هذه الفرق التي يصفها بـ "الباطنية" تستخدم "علمين من أشرف العلوم هما علم اللغة وعلم المنطق"، ويظهر ذلك فيما يسمّيه بـ "التفاسير المحرّفة والقياسات المغلوطة". (الغزالي، 1964، الصفحات 24-28)

ويبدو، من خلال ما سبق، أن التراث الإسلامي يشبه التراث اليوناني في مسألة "عدم تطابق الفكر مع الواقع". ويظهر أنّ ما حال دون نشوء نظرية نقدية شبيهة بالإيديولوجيا هو غلبة التفسيرات الذاتية التي جاءت في التراث الإسلامي على غرار "الحقد الدفين"، إذ هي تفسيرات نفسانية تبدو بعيدة من أن تؤسس لنسق فكري نقدي.

وعلى الرغم من ذلك، إلاّ أنّنا نجد الغزالي قد أشار إلى تعمّد نشر تفاسير مغلوطة للنّص القرآني وهو ما يمكن أن يُدرج فيما يسميه إيغلتون "المسائل الإبستمولوجية" وعلاقتها بالإيديولوجيا.

1-2-2 عصر الأنوار وظهور مصطلح الإيديولوجيا

شهد القرن الثامن عشر صراعا محتدّا بين المؤسسة الكنسيّة وبين مختلف الفلاسفة والمفكرين. إذ يرى الفلاسفة في الكنيسة سلطة ظلامية تحتكر وحدها فهم الكتاب المقدّس وتمارس من خلال ذلك سلطتها الاستبدادية على الناس وذلك بحرمانهم من حق امتلاك الأرض بل حتى من التفكير، فلا تفكير إلا ما رضيت عنه المؤسسة الكنسيّة. بمقابل ذلك، يرى رجال الدين في الفلاسفة أناسا شهوانيين، وشاذّين على التربية الأخلاقية والدينية التي من شأنها أن تزكي النفس من خلال السعي إلى إرضاء الإله. ومن بين مواطن النزاع بين الفلاسفة ورجال الدين مفهوم "الحرية"، إذ يرى الفلاسفة أن قيمة الحرية تعني تحرر الإنسان من كل أشكال القيود خاصة القيود الفكرية، وهي صفة يتميّز بها الإنسان لكونه قادرا على التمييز بين ما ينفعه وما يضرّه. وعلى النقيض من ذلك، ترى المؤسسة الكنسية "الحرية" مكسبا يصل إليه الإنسان بعد أن يطهّر نفسه من الوساوس ومن الشهوات.

وضع ديستو دو تراسي (Destutt de Tracy) مصطلح الإيديولوجيا (idéologie) وفاء لأستاذه كوندياك (Condillac) وفرانسيس بيكون (Bacon) الذي يرجع إليه التنظير

للمنهج التجريبي. يهدف بيكون من خلال المنهج التجريبي إلى الوصول إلى العلم (science) الذي من شأنه التوصل لفهم مختلف الظواهر والتنبؤ بما يمكن أن يقع منها في المستقبل. حافظ كوندياك على منهج أستاذه بيكون لكنه غيّر في سؤاله من "كيف نفكر تفكيرا سليما؟" إلى قوله "كيف نفكر؟". يبدو السؤال الأول ذا طبيعة منطقية صرفة، بينما يفتح السؤال الثاني باب البحث في العوامل التي تؤثر في التفكير مهما كانت طبيعتها، فقد تكون هذه العوامل مرتبطة بالجانب الحسي للإنسان، أو محيطه أو ثقافته. وبناء على ذلك، وضع دو تراسي مصطلح الإيديولوجيا التي يعني بها "علم الأفكار"، أي العلم الذي يبحث في أصل الأفكار وطبيعتها، والبحث في العوامل المؤثرة فيها، غير أنه فتح تسميتها على عدة علوم، فقد تكون منطقا كما قد تكون نحوا عامّا، يقول دو تراسي:

« Cette science peut s'appeler *Idéologie*, si l'on fait attention qu'au sujet, *Grammaire Générale* si l'on a égard qu'au moyen, et *Logique* si l'on ne considère que le but » (Tracy, 1918, p. 21)

أي: "يمكن تسمية هذا العلم بـ 'الإيديولوجيا'، إذا ما أخذنا في الحسبان موضوعه وهو علم الأفكار، كما يمكن تسميته بـ 'النحو العام' إذا ما توجهت أنظارنا صوب الوسيلة المستخدمة في الدراسة، ويمكن تسميته بـ 'المنطق' إذا ما أخذنا في الحسبان الهدف منه" (ترجمتنا).

ويضع دو تراسي من خلال تعريفه ومن خلال تسمياته حدود العلم الذي يقترحه للأفكار، وتتمثل هذه الحدود في الموضوع والوسيلة والغاية. ويمكننا أن نعبّر عن الموضوع وفقا للتعبير العلمي المعاصر بمصطلح "المادة العلمية" أو المدوّنة التي يدرسها العلم، فقد عبّر عنها من خلال الأفكار. أمّا الوسيلة فيمكن أن نعبّر عنها وفقا للتعابير العلميّة المعاصرة بمصطلح "المنهجية"، وهي الخطوات العمليّة التي من شأنها أن تضبط سير دراسة الأفكار، ذلك أن النحو علم من علوم اللغة يتمثل الهدف منه في ضبط استعمال اللغة وفقا لقواعد علميّة صحيحة، وهو ما يريد دو تراسي محاكاته من خلال وضعه لمصطلح الإيديولوجيا، أي دراسة الأفكار وفقا لقواعد مضبوطة من أجل استخراج ما يؤثر في إنتاجها من عوامل بيئية وثقافية. ويهدف دو تراسي بقوله 'المنطق' إلى استخراج القوانين العامة التي تحكم إنتاج الأفكار، فكما أن المنطق يهدف إلى دراسة التفكير ووضع مقدمات سليمة من أجل نتائج سليمة، يهدف دو تراسي إلى استخراج القوانين والقواعد التي تحكم عملية إنتاج الأفكار.

بُني علمُ الأفكار إذن إجابة على سؤالين، أحدهما "كيف نفكر تفكيرا سليما؟" وهو سؤال منطقي محض، وأمّا الآخر فهو مستحدث، وهو بدوره نتيجة لصراع بين فلسفة الانوار والسلطة الكنسيّة وهو "كيف يتأثر الفكر الإنساني بالأفكار التي لا يُعرف مصدرها؟".

لقد استبعد دو تراسي بناء على تكوينه وعلى ظروف عصر الأنوار الذي عاش فيه فرضية "الحقد الدفين" التي مرّت مع الغزالي في التراث الإسلامي، كما استبعد فرضية "الشيطان" التي ظلّت قائمة مع سلطة الكنيسة. اعتمد بذلك على فرضية ثالثة هي نشوء الأفكار الغريبة من حبّ تسلط رجال الكنيسة، وهو دافع إنساني محض مهّد لوضع العلم الذي يدرس الأفكار وخاصة نشوء الأفكار الغريبة وتأثيرها في الفكر الإنساني. (Tracy, 1918, pp. 27-48)

1-2-3 المفهوم الماركسي للإيديولوجيا

يشكّل مفهوم كارل ماركس (Karl Marx) للإيديولوجيا واستخداماته لها أحد الاستخدامات التي لا زالت حاضرة إلى غاية الآن في الأوساط البحثية. ولعلّ ذلك الاستخدام ناتج عن فلسفته النقديّة التي صاغها في ظرف تاريخي شهد تحولات عديدة في الساحة الفكرية الأوروبية وفي ألمانيا بالتحديد. ولعله من الأهمية بمكان أن نشير إلى أنّ ماركس استخدم مصطلح الإيديولوجيا في مؤلفه (The German Ideology) أي "الإيديولوجيا الألمانية" وبنى عليه نظريته حول هذا المفهوم. وتتضمن الأسس التي استند عليها لصياغة مفهومه للإيديولوجيا النظرة إلى التاريخ وإلى تسلسله المنطقي من جهة، واستخدام ذلك من أجل صناعة ما يسمّيه 'وعيا زائفا' (False conciousness) من جهة ثانية. تتضمّن المعرفة –وفقا لكارل ماركس– توجيها خاصّا تقتضيه المصلحة الطبقية وعلاقات الإنتاج. يتضمن هذا المبحث تعريفا

للإيديولوجيا وفقا للأدبيات الماركسية، وذلك من خلال التعرض لمكونات الفكر الماركسي. (Engels, 1968, pp. 38-42)

1-2-3-1 معارضة الفكر اليساري الألماني:

بنى كارل ماركس نظرته إلى الإيديولوجيا على نقد الفكر اليساري الألماني الذي حاول التأسيس لديمقراطية تلغي التسلط والاستبداد تأثرا بالثورة الفرنسية بوصفها حدثا تاريخيا، ومن خلال استخدام قواعد العقل البديهية. ونجد أهم من تناولهم ماركس بالنقد هيجل (Hegel).

يرى ماركس أنّ فكر اليساريّين فكر إيديولوجي، ذلك أنه مجرد رد على الأفكار الداعية إلى الطغيان من خلال نبذ الظروف المحيطة بإنتاج مثل هذه الأفكار.

وركزت الفلسفة المثالية الألمانية التي أسس لها هيجل على الوعي وعلى الأفكار المثالية بوصفها طريقا للتخلص من الاستبداد بكل أنواعه. ويرى هذا الاتجاه أن التغيير نحو الأفضل إنما يتم من خلال تغيير طريقة إدراك الواقع. ويرى ماركس -خلافا لذلك-أن إنتاج الأفكار وطريقة إدراك الواقع إنما هي نتيجة عملية لظروف تاريخية معينة تشترك في رسم معالمها الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص. كما يرى ماركس أنّ معتقدات الناس ومواقفهم وآراءهم مهما تكن

طبيعتها (دينية، اجتماعية، سياسية) هي نتاج حتمي لظروفهم المادية. (Engels, 1968, p. 32)

1-2-3-2 دور الطبقة الاقتصادية في الإيديولوجيا

ينطلق ماركس من اعتقاده أن التاريخ شهد في كل مراحله صراعا بين الطبقات، ليصل إلى أنّ المصلحة الطبقية التي ينتمي إليها الفرد لها أثر بالغ في تشكيل وعيه. ويقصد ماركس بالوعي تلك الآلية الإنسانية التي تساعد في إدراك الحقائق وتمييز ما هو صالح منها مما هو غير صالح. وتؤدي الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج دورا محوريا في عملية تشكيل الوعي، إذ يرى أنّ "القوى التي تملك وسائل الإنتاج (means of production) المادي تملك أيضا وسائل الإنتاج الروحي" (إبراهيم، 1998، صفحة 179)، وعليه تنتج الطبقة المسيطرة من الناحية الاقتصادية الأفكار والقناعات التي تخدم هدفا واحدا وهو الإبقاء على سيطرتها على وسائل الانتاج. وبالمقابل من ذلك، تؤدي الطبقة التي لا تملك وسائل الإنتاج دور المتقبّل أو المتبني للأفكار المنتجة من قبل الطبقة المهيمنة، أي تتبنى أيديولوجيتها.

يستخدم ماركس مصطلح الإيديولوجيا بوصفه مجموعة من الأوهام تنحصر مهمتها في حجب الحقيقة والواقع عن عقل الإنسان. وعادة ما تكون هذه الأوهام إمّا عبارة عن ميراث قديم من الجهود الفكرية التي لا ترتقي -وفقا لماركس-إلى مستوى الفلسفة، بل هي عبارة عن "إيديولوجيا" (العروي، 2003، صفحة 36)، أو عبارة

عن نتاج للصراع بين الطبقات. تغير مفهوم الأيديولوجيا عند ماركس بمقارنته مع المعنى الأصيل لهذا المصطلح وهو "علم الأفكار" الذي سبق التطرق إليه. ولعلّ موطن التغيّر يكمن في طبيعة المصطلح وجوهره، حيث تحول من اسم لعلم يعنى بدراسة الأفكار إلى وصف نقدي يتّصف بها كل نتاج فكري متأثر بعوامل تاريخية واجتماعية تشكّل طريقة إدراك الواقع.

1-3 تأثير الإيديولوجيا في الميادين المعرفية

تؤدي الإيديولوجيا دورا مهما في عدد من الميادين المعرفية المتنوعة. وتؤدي ووفقا للأدبيات الماركسية دور القناع الذي يحجب الحقيقة من جهة، ودور القالب الذي يشكّل الوعي وفقا لمؤثرات ذات علاقة بالاعتبارات الاجتماعية والطبقية. على الرغم من ذلك، فإن الأثر الذي تمارسه الإيديولوجيا يتجاوز هذا المستوى ليصل حدّ التأثير في الميادين المعرفية المنبثقة عن دراسة الظواهر الاجتماعية، ولعل أهمها الظاهرة الدينية. يسعى هذا المبحث إلى التعرف عن قرب على كيفية تأثير الإيديولوجيا في الدين.

1-3-1 الإيديولوجيا والدين

تتمثّل الديانة أو المعتقد في نظام من المعايير والقيم مؤسسة على قواعد ذات صلة بالجانب الروحي للبشر. ويتضمن الدين بوصفه نظاما اجتماعيا تعاليم للأفراد بالالتزام بطاعة قواعد تمتاز بكونها نابعة من المعتقد وليست ناتجة عن المواضعة

الاجتماعيـة. وتعُـدّ بعـض الـديانات خاصـة السـماوية منهـا علـى غـرار اليهوديـة والمسيحية هذه التعاليم صادرة عن الإلـه، وتضـعها بذلك فوق أي نوع من النقاش أو الجدال الذي من الممكن أن يتناولها. ومن شأن الالتزام بهذه التعاليم أو القوانين أن يؤدي بالفرد إلى الارتقاء الروحي.

وأمـا الإيـديولوجيا، فهـي اجتهـاد بشـري فكـري فلسـفي، ناشـئ عـن ظـروف اجتماعيـة وتاريخيـة معيّنـة، يهـدف إلـى رسـم معـالم الفكـر الانسـاني وتشـكيل آلتـه الواعيـة، أي إلـى تشكيل القالـب الـذي يسـاعد علـى صـياغة المفـاهيم والمعـاني مـن جهة، ويساعد على فهم الظواهر وتفسيرها من جهة ثانية.

ويمكـن للظـاهرة الدينيـة أن تتـأثر بالإيـديولوجيا بـالمعنى الـذي أسـلفناه، أي الجانب الفكري الذي يسعى إلى تشكيل الوعي الإنساني. ويبلغ هذا التأثير الحد الذي تتحول فيه الظـاهرة الدينية من جانبها الروحـي إلـى إيديولوجيا محضـة، وينشـأ هذا عادة عن تفاسير معيّنة للنصوص المقدسة. وقد شهد تاريخ الحضـارة الإسـلامية مثل هذا التحول نشأ عن بعض التفاسير التي أعطتها فرق معينـة للنص القرآني أدّت إلـى ظهور مفهوم "الـدعوة" الـذي يعتبره بعض المفكرين المعاصـرين التجسيد الاسـلاميّ لمفهوم الإيديولوجيا. كما شهد الكتاب المقدّس في الديانـة المسيحية عدة تفاسير أدت إلى ظهور فكر ديني يعرف بالفكر الكاثوليكي مارس سلطته على الجانب السياسي للمجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى وسيطر على مختلف الموارد الاقتصادية

باسم سلطة الدين، ولم تنته سيطرته إلا بالنهضة الأوروبية على يد فلاسفة الأنوار.

(Engber, 2018)

1-4 الخطاب

بعد أن تعرضنا لمفهوم الإيديولوجيا، ننتقل إلى تعريف الخطاب السياسي، حيث نبدأ بتعريف تفكيكي، أي بتفكيك هذا الوصف المركّب "خطاب سياسي" بتعريف الخطاب أولا ثم السياسة ثانيا لعلّ ذلك يقودنا إلى مفهوم الخطاب السياسي.

1-4-1 مفهوم الخطاب

يُعدّ مفهوم الخطاب (discourse) من أكثر المصطلحات تداولا في اللسانيات المعاصرة، وبصفة خاصة مع تراجع الاتجاه البنيوي (constructivism) واتجاه الدراسات اللسانية إلى التداولية (pragmatics) . ويستمدّ مفهوم الخطاب قيمته النظرية من كونه يشكل ملتقى بين حقل الدراسات اللسانية والحقول المعرفية الأخرى، غير أن تداول مصطلح "الخطاب" على نطاق واسع تسبب في تعدد مفاهيمه واختلاف دلالاته نظرا لتعدد تصورات الباحثين وتعدد خلفياتهم المعرفية، لذلك لعله من الواجب الوقوف عند هذا المصطلح لعل ذلك يقود إلى تحديد المفهوم الأنسب الذي نقصده في بحثنا.

1-4-1-1 مفهوم الخطاب لغة

ورد في لسان العرب أن مادة "خطب" تدل على مراجعة الكلام بين طرفين، ومنه الخطبة وهي الكلام المنثور المسموع. (ابن منظور، 1968، الصفحات 360-361)

الخطاب مصدر ثان للفعل الرباعي "خاطب"، تقول "خاطبته مخاطبة وخطابا" (ابن دريد، 1987، صفحة 291). وجذره "الخاء والطاء والباء أصلان، أحدهما الكلام بين اثنين" (ابن فارس، 1979، صفحة 198) و"الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام" (ابن سيده، 2000، صفحة 198).

ويذكر الأزهري أنه سمع الفراء يقول "والخطبة مثل الرسالة التي لها أول ولها آخر" (الأزهري، 2001، صفحة 112). والخطب هو الحدث أو الأمر الذي يقع، ويذهب ابن فارس إلى أنه سمي "خطبا لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة" (ابن فارس، 2/1979، صفحة 198).

وقد عرف ابن وهب مادة خطب بقوله، "من الخطبة وهي الكلام المخطوب به والخطاب مشتق منها لأنه مسموع" (ابن وهب، 2007، صفحة 151). ويعرف أبو البقاء الكفوي الخطاب بأنه "الكلام الذي يُقصد منه الإفهام (...) والكلام الذي لا يقصد منه إفهام سامعه لا يسمى خطابا" (الكفوي، 2010، صفحة 419).

وقد ورد ذكر مصطلح الخطاب في النص القرآني في عدة مواضع وبصيغ متنوعة، فجاء بصيغة الفعل "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" (الفرقان:63) كما جاء بصيغة المصدر "وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" (سورة ص:الآية 20). وتدور دلالة لفظ خطاب في هاتين الآيتين وفي عموم النص القرآني ضمن دائرة التكليم والمحاورة.

أما في اللغة العربية المعاصرة، فيعرف الخطاب بأنه: "رسالة أو كلام موجه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات (...) محاورة أو جدال". (عمر، 2008، صفحة 660)

ومن خلال التعاريف السابقة يمكننا الخروج ببعض الملاحظات مختصرة فيما يلي

- أن المفهوم اللغوي للخطاب قد تطور من اقتصاره على اللغة المنطوقة ليتسع في اللغة العربية المعاصرة ويشمل المكتوب والمنطوق معا.
- أن مفهوم الخطاب قديما ينصب على المحاورة والمراجعة، مما يستلزم توفر طرفين على الأقل، وهو مفهوم يبدو قريبا من مفهوم حديث تتبناه مدرسة برمنغهام سنتطرق إليه لاحقا.

أما في اللغة الإنجليزية فنجد في قاموس كامبريدج

Discourse: - communication in speech or writing

- A speech or a piece of writing about a particular, usually a serious subject

- A spoken or a written discussion. (online Camridge Dictionary, 2018)

أي "الخطاب هو اتصال مكتوب او شفوي
كلمة أو كتابة عن موضوع خاص وهام. محاورة مكتوبة أو شفوية"

1-4-1-2 مفهوم الخطاب اصطلاحا

لقد لاحظنا أن مصطلح "خطاب" مصطلح متأصل في الاستعمال اللغوي العربي، ولعل وروده في النص القرآني يوضح ذلك. أما في الاصطلاح، فإن التراث العربي يبدو متضمنا لاستخدامات هذا المصطلح لاسيما عند علماء أصول الفقه، حيث يرد عندهم مصطلح الخطاب أكثر من وروده في الميادين الأخرى، وذلك " لأن الخطاب هو الارضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان محور بحثهم". (الشهري، 2004، صفحة 36)

ويشكل مصطلح الخطاب المقابل العربي لمصطلح discourse في اللسانيات الحديثة، وقد بدأ استعماله مع فاردينانند دو سوسير (Ferdinand de Saussure) حين فرق بين اللغة والكلام (Langue/Parole) مستعملا بذلك الخطاب مرادفا للكلام الذي يؤشر على الممارسة الفعلية للغة كملكة انسانية. (البقاعي، 2009، الصفحات 158-168)

وقد واصل علماء اللسانيات تقديم مفاهيم متعددة ومتنوعة للخطاب، ويبدو سبيلهم في ذلك سبيلا تقابليا(contrastive) ، أي تعريف الخطاب من خلال مقابلته

بمصطلح يكون ضدا له، من أجل إكساب مفهوم الخطاب القيمة المعرفية الدقيقة له، وفيما يلي نحاول رصد أهم الثنائيات التي شكل الخطاب طرفا فيها.

1-4-1-2-1 خطاب مقابل جملة Discourse VS sentence

يمثل الخطاب وفقا لهذه الثنائية وحدة لسانية تتشكل من تسلسل عدد من الجمل، وهو المفهوم الذي سعى إليه هاريس (Harris) وذلك من خلال توسيعه موضوع البحث اللساني توسيعا جعله يتعدى مفهوم الجملة التي كانت تعدّ أكبر وحدة قابلة للتحليل. وقد عرف هاريس الخطاب بأنه "متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض". (يقطين، 2005، صفحة 17)

وقد تعامل هاريس مع الخطاب بالآليات التي يتم بها تحليل الجملة، وذلك من خلال دراسته دراسة تعده متنا مغلقا، عازلا إياه عن ظروف إنتاجه، لأنها في نظره ليست من صميم البحث اللساني. وقد تعرضت منهجيته التحليلية للخطاب إلى جملة من الانتقادات تتعلق في مجملها بالضوابط والآليات التي تبناها في تحليله للخطاب، وأهم ما جاء في تلك الانتقادات أن الضوابط التي تحكم الخطاب ليست دائما نحوية على غرار الجملة، بل هناك الكثير من الضوابط تتعلق بالأسلوب والبنية بوصفها ضوابط لسانية، وضوابط أخرى تتعلق بالدلالات وتحيل إلى عناصر غير لسانية.(عبد الجليل، 2010، صفحة 29).

1-4-1-2-2 خطاب مقابل لغة discourse vs Language

يعد ايميل بنفنست (Benviniste) صاحب هذه الثنائية، وينطلق من اعتبار الجملة أصغر وحدة في الخطاب، مميزا بين اللغة بوصفها نظاما من العلامات التي تعد ملكة يتمتع بها كل من بمقدوره أن يتكلم، وبين الخطاب بوصفه ظهورا لهذه الملكة وتجليا لها من خلال إنجازها في عملية تواصلية. (يقطين، 2005، صفحة 18)

ويستعين بنفنست بمفهوم التلفظ (enonciation) الذي يعرفه بأنه "تسخير اللغة بواسطة الفعل الفردي بغرض الاستعمال" ليعرف الخطاب بكونه "كل تلفظ يفترض وجود متكلم ومستمع، بحيث يكون للمتكلم هدف التأثير على المستمع بطريقة ما" (يقطين، 2005، صفحة 19)

نستخلص من هذه الثنائية أن الخطاب ممارسة عملية يقوم بها المتكلم بغرض التأثير على المستمع، وعليه يكون مفهوم الخطاب قد اتخذ أبعادا أخرى غير لسانية تأخذ في الحسبان ظروف إنتاج الخطاب والغرض من إنتاجه، وهي الأبعاد التي تمهد للدراسة التداولية لهذا المفهوم.

1-4-2 أنماط الخطاب

لا يتوقف الخلاف حول مصطلح الخطاب عند تحديد مفهومه بل يتجاوزه إلى قضية أخرى لا تقل تعقيدا عن مفهومه، وهي تلك المتعلقة بتحديد أنماطه أو

أصنافه. ويبدو أن السبب وراء ذلك هو عدم اتفاق الباحثين حول المعايير التي تجيز لهم تصنيف الخطاب. وقد نتج عن ذلك ظهور عدد من المصطلحات التي تهدف إلى المساهمة في استيعاب الخلاف على غرار "أجناس الخطاب" Genres of discourse، وأنماط الخطاب Types of discourse وتنميط الخطاب Typology of discourse.

ويقترح تنميط الخطاب تصنيفا يأخذ في الحسبان ثلاثة معايير هي: الموضوع والآلية والبنية. (المتوكل، 2010، الصفحات 25-30)

1-4-2-1 الموضوع

يصنف الخطاب وفقا لهذا المعيار بحسب المواضيع التي يتضمنها، وعلى هذا الأساس، يقترن لفظ الخطاب بوصف آخر يحدد موضوعه مثل الخطاب العلمي والخطاب السياسي والخطاب الإعلامي إلخ...

1-4-2-2 الآلية

تعدّ الآلية بمثابة التقنية التي يشتغل الخطاب وفقا لها. ويتم تقسيم الخطاب وفقا لهذا المعيار بحسب التقنية التي تربط بين أجزائه، وعلى هذا الأساس يمكن التفريق بين الخطاب السردي والخطاب الحجاجي والخطاب الوصفي إلخ...

1-4-2-3 البنية:

هي المعيار المستخدم لتصنيف الخطاب على أساس بنيته الفنية، فيمكن وفقا لهذا المعيار التمييز بين الخطاب القصصي الذي هو قصة والخطاب الروائي الذي هو الرواية إلخ...

1-4-3 عناصر الخطاب

يتكون الخطاب من عناصر من عناصر تتفاعل فيما بينها لتكون العملية التخاطبية وهي

1-4-3-1 المخاطب:

وهو المرسل الذي يقوم بإرسال رسالة إلى فئة أخرى تسمى الجمهور، ولا بد من توفره على شروط من بينها الكفاءة اللغوية والمعرفية التي تمكنه من انتاج خطاب قابل للفهم.

1-4-3-2 المخاطب:

وهو المتلقي وهو من تقع عليه العملية التخاطبية، وحاله إما أن يكون قارئا أو مستمعا، وتكمن وظيفته في تفكيك الرسالة اللغوية وفقا لكفاءته اللغوية والثقافية والتأويلية وكذا تجاربه الشخصية.

1-4-3-3 الخطاب:

وهو الرسالة التي يلقيها الطرف المرسل ويستعملها كأداة لتوصيل أفكاره، ويخضع الخطاب إلى قواعد لغوية تنظمه، حيث يتصف الخطاب بأنه "كتلة واحدة متماسكة الأجزاء" (يونس علي،2007: 157). بمعنى أن كل أجزائه مترابطة ومتراصة بحيث يشكل مجموع الكلام كلاما واحدا.

1-5 مفهوم السياسية:

تعد السياسية على غرار مفهوم الخطاب مصطلحا استعصى على الباحثين التوافق حول تعريف واحد له، على أننا سنحاول الوقوف عنده بالمنهج نفسه الذي معرفين إياه تعريفا لغويا ثم اصطلاحيا.

السياسة مصدر للفعل الثلاثي ساس يسوس، وجذره "السين والواو والسين أصلان: أحدهما فساد في شيء والآخر جبلة أو خليقة" (فارس، 1979، صفحة 119). وفي معجم العين جاء أن "السياسة فعل السائس الذي يسوس الدوابّ، يقوم عليها ويروّضها والوالي يسوس الرعية وأمرهم" (الفراهيدي، 2003، صفحة 336).

ولم يتضمن النص القرآني السياسة بلفظها، غير أنّ بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي محمد صرحت بهذا اللفظ، فقد جاء في الحديث "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء" (النووي، 1996، صفحة /3 317)، فدل لفظ السياسة على الرعاية والقيام على المصالح الذي تضمنه المعنى اللغوي المذكور في المعاجم.

وتعرّف السياسة في اللغة العربية المعاصرة بتعاريفها مختلفة منها: "مبادئ معتمدة تتخذ الإجراءات بناء عليها، أو سلوك الحكومة تجاه بعض القضايا، ممارسة تفضي إلى الوصول إلى السلطة" (سياسة https://www.maajim.com/dictionary/).

ويمكن من خلال التعريف اللغوي الخروج ببعض الملاحظات، أهمها:

- أن السياسة بمفهومها الايتيمولوجي أصلان متضادان أحدهما الفساد، والآخر هو الجبلة أو الطبع الذي خلق عليه الانسان، أما معنى ممارسة السلطة فهو مأخوذ من حرفة القيام على الخيل وتربيتها.
- اكتسب مصطلح سياسة معان جديدة في اللغة العربية المعاصرة من خلال التفاعل مع اللغات الأجنبية من جهة، وبعد التطور الذي حصل على الأنظمة السياسية من جهة أخرى.

1-6 الخطاب السياسي

يمثّل الخطاب السياسي في نوع من أنواع الخطاب، مصنّف على حسب الموضوع الذي يتناوله، حيث يتناول في مجمله المسائل المتعلقة بالظواهر السياسية وما يرافقها من جدال مثل مسائل السلطة والمعارضة، وكذا المسائل ذات الخصوصية الاجتماعية السياسية المطروحة، ويعدّ الخطاب السياسي تفاعلا بين عناصر ثلاثة هي:

- الاتّجاه السياسي: وهو إحدى التجليات الخاصة بمفهوم الإيديولوجيا الذي عرفناه سابقا، حيث تعرف الإيديولوجيا بأنّها القاعدة النظرية أو الفكرية التي يستند إليها حزب أو فريق سياسي ما.
- الفعل السياسي: أو الممارسة السياسية، ومعناه ممارسة السياسة في الواقع الاجتماعي، مثل ممارسة السلطة، ممارسة المعارضة، وهو ما يتحدد بموازين القوة بين الفاعلين السياسيين.
- الخطاب: وهو التجسيد اللغوي واللفظي من خلال وسائل اللغة للعنصرين السابقين. (Dijk, 2006, pp. 2-15)

يشكل التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة الخطاب السياسي الذي يُعنى الدارسون واللغويون بتحليله وذلك من خلال ربط الانتاج اللغوي السياسي بالطرف أو الجهة التي أصدرته من جهة، وبالظروف التي صاحبت انتاجه من جهة ثانية. (Dijk, 2006, pp. 2-15)

1-6-1 وظائف الخطاب السياسي

يمتاز الخطاب السياسي من بين أنواع الخطاب المصنفة على أساس موضوعاتها، يمتاز بأنه يهدف إلى الإقناع ومن ثمّ إلى التأثير في الجماهير. ومن أجل هذه الغاية، يسلك عدة وسائل وأساليب لغوية، كما يقوم بوظائف من الصعب حصرها أو تصنيفها. وعلى الرغم من صعوبة تصنيف وظائفه إلا أنّ عددا من الباحثين بذل جهدا في هذا الباب، وأثمرت تلك الجهود في تحديد ما يمكن أن نطلق

عليه محاور تدور حولها وظائف الخطاب السياسي، نذكر منهم شيلتون وشافنار (Schaffner, 1997, pp. 35-45) ، حيث تدور وظائف الخطاب السياسي حول أربعة محاور هي:

1-6-1-1 القمع (coercion):

وهو محور من محاور السياسية يتجلى في الخطاب السياسي بشكل جيد. ويبدو أن تجلياته تكمن في الخطاب المتضمن فرض العقوبات وإعلانات شن الحروب وإصدار التعليمات والأوامر المباشرة من القادة السياسيين.

1-6-1-2 إضفاء الشرعية ونزعها (legitimation/delegitimation):

يتجلى هذا المحور في محاولة الفريق السياسي أو الفاعل السياسي إلى إيجاد كل أنواع المبررات التي تجعل من تصرفاته السياسية أو سلوكياته السياسية أفعالا دفعت إليها الضرورة. ومن بين ما يمكن أن يندرج ضمن هذا المحور تبرير الحروب التي تشنها بعض القوى العظمى بحماية المدنيين أو القضاء على الأنظمة الشمولية أو الحرب على الإرهاب. بمقابل ذلك، يمثّل نزع الشرعية عن الخصوم أحد المحاور التي تحكم وظيفة الخطاب السياسي، حيث يسعى الفريق السياسي أو قائده من خلال الخطاب إلى تبيان بطلان كافة الحجج التي يلجأ إليها الخصم من أجل تبرير موقفه أو سلوكه السياسي، وقد يوظف لأجل ذلك أسلوب السخرية أو أسلوب تبيان الاتجاه السياسي للخصم، أو وصف المبدأ الذي يحكم عمله السياسي.

1-6-1-3 المقاومة والمعارضة (resistance and opposition):

تتمحور وظيفة الخطاب السياسي هذه على إيجاد كل أنواع المبررات التي تدفع بالفريق الذي يرى نفسه مستضعفا إلى معارضة الفريق الذي يراه خصما له، وعادة ما تنتشر هذه الوظيفة في خطب مقاومة الاستعمار أو القوة التي تغزو بلدا. وتتخذ هذه الوظيفة عددا من الاستراتيجيات الخطابية مثل استنهاض الهمم والتذكير بالانتماء للوطن والرغبة في مقاومة القوة الغازية.

1-6-1-4 التضليل: (dissimulation)

تتمثل هذه الوظيفة في إيهام المستمع أو المتلقي بتلقيه الحقيقة كاملة عن الوضع، غير أن الخطيب السياسي عادة ما يلجأ إلى إخفاء التفاصيل التي قد تمكّن المستمع أو المتلقي من تكوين صورة كاملة عن الوضع. كما يلجأ القائد السياسي أو فريقه إلى إيهام المستمعين أو متلقي خطابه بهدف ما غير الهدف الأساسي من سلوكه، ومن ذلك شن الحروب لغايات اقتصادية بحتة مع تضمين الخطاب السياسي أهدافا تتعلق بالقيم ومرافقة الشعوب في مسار تقرير مصيرها.

1-6-2 مناهج دراسة الخطاب السياسي

شهد تطور الاتجاه الوظيفي في اللسانيات (functionalism) ظهور عدة مدارس لسانية تتناول الخطاب ضمن الظروف التي تحيط بعملية إنتاجه وذلك بربطه بالوظائف المختلفة والمتنوعة التي يسعى إلى تأديتها. ومن بين أنماط الخطاب التي

عُني المحللون بدراستها الخطاب السياسي، حيث تم تناوله بالتحليل والدراسة والنقد ضمن مقاربة التحليل النقدي للخطاب (critical discourse analysis) لينبثق عنها ميدان آخر أكثر تخصصا هو تحليل الخطاب السياسي (political discourse analysis) ونسعى فيما يلي إلى التعرض إلى الأصول النظرية لهاتين المقاربتين، وكذا أدواتهما التحليلية. (Wodak R. , 2001)

1-6-2-1 التحليل النقدي للخطاب

التحليل النقدي للخطاب هو الترجمة العربية لمصطلح (critical discourse analysis) الذي يعرف اختصارا بـ (CDA). ولا بد من تمييزه عن مصطلح عربي آخر هو "تحليل الخطاب النقدي" المنتمي إلى ميدان النقد الأدبي بصفة عامة وإلى ميدان النقد الروائي بصفة خاصة.

ينتمي التحليل النقدي للخطاب إلى الاتجاهات الوظيفية في تناول اللغة والخطاب(functionalism) ، ذلك أنه يرفض السلوكيات التحليلية الجاهزة المنبثقة أساسا عن المدرسة البنيوية (structuralism) ويتجاوزها إلى سياق الخطاب ووظيفته وغايته. ويسعى التحليل النقدي للخطاب إلى مقاربة اللغة والخطاب من خلال الاهتمام بصراع القوى الاجتماعية والإرادات والمعتقدات والدعاية والقمع والتشويه والتجميل الذي يظهر من خلال اللغة وبواسطتها، ذلك أنه يعدّ اللغة سلوكا اجتماعيا صرفا، وضمن هذا المعنى تقول ووداك (Wodak):

‘CDA regards language as a social practice and takes into consideration of the context of language use to be crucial’ (Wodak R. , 2001, p. 1)

أي: "يعدّ التحليل النقدي للخطاب اللغة ممارسة اجتماعية آخذا في الحسبان الأهمية البالغة التي يكتسيها سياق استعمال اللغة" (ترجمتنا).

يتجاوز التحليل النقدي للخطاب السياقات اللغوية والنصية للخطاب إلى السياقات الاجتماعية التي ترافق إنتاج الخطاب وتداوله، كما يدرس الخطاب من خلال أخذ مختلف العوامل الاجتماعية والسياسية في الحسبان بل واعتبارها معطيات تؤدي إلى تفسير الخطاب السياسي تفسيرا صحيحا، أي تفسيرا يعطي صورة كاملة عن وسائل هذا النوع من الخطاب والغايات التي يسعى إلى تحقيقها والوظائف التي يؤديها.

تكمن أسس التحليل النقدي للخطاب في اهتمامه بالمسائل الاجتماعية والسياسية خاصة ذات الطابع الجدلي، وينطلق من جملة من المسلّمات أهمها أنّ القوة والسيطرة في المجتمع تستخدم الأساليب اللغوية عند إنتاج خطابها وتعتمد عليها بوصفها إحدى الوسائل المساعدة على ممارسة الهيمنة وتكريسها. كما أن مناهضة الهيمنة يتم بواسطة اللغة عبر إنتاج الخطاب المناهض لخطاب الهيمنة. وتُعدّ اللغة وفقا لأدبيات التحليل النقدي للخطاب عاملا مؤثرا في تشكيل المجتمع والثقافة من جهة، ومتأثرا بهما من جهة أخرى. كما يُعدّ الخطاب حقيقة تاريخية متغيرة وفعلا اجتماعيا مؤثّرا. ويعتبر التحليل النقدي للخطاب أن الوسيط بين الخطاب والمجتمع

هو الإدراك (perception)، ولا تقتصر مهمته على وصف تأثير الخطاب واللغة في المجتمع بل تتجاوزها إلى حد التأويل. (Wodak N. F., 1997, pp. 258-268)

تحتلّ المفاهيم المتداولة في الخطاب السياسي صدارة اهتمام التحليل النقدي للخطاب، وعلى سبيل المثال نجد الاهتمام منصبا على مفاهيم مثل القوة (power) والسلطة (authority) والتحكم أو السيطرة (control) والإيديولوجيا (ideology).وتشير هذه المفاهيم إلى الوسائل التي من خلالها يتمّ التأثير في السلوكيات والأفعال، أو في المواقف والآراء. وعلى الرغم من تعدد المفاهيم المهيمنة على أدبيات التحليل النقدي للخطاب وعلى وسائله التحليلية بين منظريه وممارسيه، إلا أنّ جلها يتروح بين ثلاثة مفاهيم أساسية هي القوة (power)، والتاريخ (History)، والإيديولوجيا (Ideology).

وخلافا للمقاربات السابقة التي سعت إلى ربط النقد اللساني بالظواهر الاجتماعية، مثل مقاربة هودج وكريس (Robert Hodge, 1979) يبدو التحليل النقدي للخطاب متفاديا للتصورات الجاهزة لعلاقة النص والخطاب بسياقه الاجتماعي. وينطلق من مسلّمة مفادها أن كل ممارسة خطابية تخضع لسلّم اجتماعي معيّن، أي أنه صادر من جهة عليا وموجه إلى جهة أسفل منها، كما أن هذه الممارسة الخطابية تصدر في ظرف تاريخي معيّن مما يقود إلى القول أنّ هذا الظرف يؤثر في الخطاب بشكل مزدوج، فهو من جهة يؤثر في عملية إنتاجه، ومؤثر في عملية تأويله من جهة أخرى:

‘Taking into account the insights that discourse is structured by dominance; every discourse is historically produced and interpreted’ (Wodak R. , 2001, p. 2)

أي: "أخذا في الحسبان تحكم مفهوم الهيمنة في عملية بناء الخطاب، فإن الظرف التاريخي يتحكم في إنتاج الخطاب وتأويله" (ترجمتنا).

يظهر هذا الاقتباس أن الظرف التاريخي وما يميّزه من الأحداث والأفكار السائدة خلاله له اليد الطولى على عملية بناء الخطاب، أي أنه يتدخل بشكل ما في صياغة مضامينه وعملية إنتاجه كما أنها تتحكم في عملية تأويله، وذلك بتشكيل المعاني التي تلحق به.

1-6-2-2 تحليل الخطاب السياسي

يمثل تحليل الخطاب السياسي الترجمة العربية لمصطلح political discourse analysis المعروف اختصارا بـ PDA. يستمدّ مفاهيمه النظرية وأدواته التحليلية من التحليل النقدي للخطاب الذي سبق التعرض له، غير أنه يتخصص أكثر بالخطاب السياسي. ويعتمد في مقاربته التحليلية على الوسائل اللغوية التي يستخدمها الخطاب السياسي من أجل بلوغ غايته والقيام بدوره على أحسن وجه، وبذلك تكون دراسة اللغة وأساليب نقد استعمالاتها المختلفة الوسيلة التحليلية التي يستعملها محللو الخطاب السياسي، ومن بين هذه الوسائل ما يلي. (مزيد، 2010، الصفحات 121-130)

. **الاستعارة:** حيث عادة ما يتم استعمالها في الخطاب السياسي لأجل التأثير، ومن مثل ذلك استعمال لفظ "الاصطياد" في وسائل الإعلام الغربية عند الحديث عن مطاردة الإرهابيين أو استعمال لفظ "مصاصي الدماء" عند الحديث عن المجرمين الذين يقومون بعمليات القتل والاغتيال.

التشبيه: يتم استعمال التشبيه عادة للّعب على المخيال الجمعي للمتلقين، ومن مثل ذلك تشبيه الأنظمة الموصوفة بـ "الدكتاتورية" بالنظام النازي في ألمانيا والفاشي في ألمانيا.

الافتراض المسبق: تعتمد هذه الوسيلة اللغوية على طرح الأسئلة وترك الجمهور يبحث عن الإجابة بنفسه، كما تعتمد على التنبؤ برد فعل الجمهور تجاه كلام ما مثل استعمال سؤال "لماذا يكرهوننا" أثناء ما سمته الولايات المتحدة "الحرب على الإرهاب". (مزيد، 2010، صفحة 144)

1-7 علاقة الإيديولوجيا بالخطاب السياسي

تعرض الكثير من المنظرين مثل فان ديجك إلى علاقة الإيديولوجيا بالخطاب السياسي وذلك من خلال تتبع مختلف تمثلاتها فيه. وتكمن علاقة الإيديولوجيا بالخطاب السياسي في رسم معالم فهم الخطاب السياسي من جهة وتحديد شكله وبنيته من جهة أخرى. هي إذن علاقة ذات مستويين، يتمثل المستوى الأول في كيفية فهم الخطاب السياسي وتلقيه وتأويله، فيما يتمثل المستوى الثاني في تضمين

الخطاب السياسي إيحاءات إيديولوجية. وإذا كانت السياسة بمختلف ممارساتها تعبيرا عن إيديولوجيا معينة، وفعلا تمثل الإيديولوجيا محركه الأساسي، فإن الخطاب السياسي يشكل المادة التي يمكن أن تجسد الإيديولوجيا، يقول فان ديجك

"It is largely through discourse that political ideologies are acquired, expressed, learned propagated and contested" (Dijk, 2006, p. 13)

أي: "إن الخطاب يشكّل إلى حد بعيد المادة التي تعرّف الإيديولوجيا وتعبّر عنها وتعلّمها وتروّج لها وتعارضها" (ترجمتنا).

وتشكّل الأساليب اللغوية وسيلة هامة لدراسة تأثير الإيديولوجيا في الخطاب السياسي، حيث عادة ما تتم دراسة ذلك بالاعتماد على بنية الخطاب وتحديد الألفاظ المختارة للتعبير عنه وتحليل بناه التركيبية:

"The relations between discourse and political ideologies can be studied in terms of the structure of political discourse, such as the use of lexical items, syntactic structures such as actives and passives" (Dijk, 2006, p. 14)

أي: "يمكن دراسة العلاقة بين الخطاب والإيديولوجيات السياسية بالاعتماد على بنية الخطاب السياسي مثل استعمال الألفاظ والتراكيب". (ترجمتنا).

وينضاف إلى جانب الوسائل اللغوية والنصية مفهوم السياق السياسي (political context) . حيث يعدّ السياق مؤشرا محوريا على تحديد الشكل الذي تظهر به الإيديولوجيا في الخطاب السياسي. فلا يكفي مثلا معرفة طرفي الخطاب (مرسل

ومرسل إليه)، بل ينبغي التعمق في تحديد الجمهور المعني بالخطاب وكذا الظرف الذي ينتج فيه. تشكّل هذه المكونات الثلاثة (جمهور+سياق+ظرف) ما يصطلح عليه فان ديجك بـ "التفاعل المعرفي" « cognitive interface»، الذي يفضي إلى تشكّل الطريقة التي يتم بها تلقي الخطاب السياسي والتفاعل معه وتأويله. يقول:

"Cognitive interface between political speaker and political receiver leads to the creation of a mental model which defines the way discourse is received and interpreted" (Dijk, 2006, p. 19)

أي: "يؤدي التفاعل المعرفي بين المخاطَب السياسي ومخاطبه إلى تشكل نموذج ذهني من شأنه تحديد طريقة تقبّل الخطاب السياسي وتأويله" (ترجمتنا). يتمثّل النموذج الذهني في طريقة التفاعل مع الخطاب السياسي، حيث عادة ما تكون لمتقبّل الرسالة السياسية وسائل مفاهيمية تساعده على فك شفرة الرسالة والتفاعل معها إما بالإيجاب أو السلب.

خلاصة الفصل الأول

لقد سعينا من خلال هذا الفصل إلى ربط العلاقة بين الإيديولوجيا والخطاب السياسي، وإن كان ذلك من الصعوبة بمكان فإن السبب يكمن في تعدد الأوجه التي تتجسد بها الإيديولوجيا في الخطاب عموما وفي الخطاب السياسي على وجه التحديد. وبكون الإيديولوجيا تتخذ عدة أشكال وتتنوع تعاريفها بين عدد من القوالب بين الفلسفي النظري والاجتماعي التاريخي والسياسي الحزبي، فإن تتبع كيفية

تجسدها في نمط خاص من الخطاب مثل الخطاب السياسي يصبح أمرا من الصعوبة بمكان. لقد حاولنا التركيز على الوسائل اللغوية التي من خلالها يمكن معرفة التوجه الإيديولوجي للخطاب السياسي، وذلك لكون اللغة أبرز مفتاح يمكّن الدارس من تتبّع الجوانب الإيديولوجية للخطاب السياسي، وذلك في سبيل أن تكون هذه المفاتيح اللغوية وسيلة لنا لتحليل المدونة في الفصل التطبيقي.

الفصل الثاني: نظريات الترجمة وعلاقتها بالإيديولوجيا والخطاب السياسي

تمهيد

يصف العديد من المنظرين الترجمة بكونها عمليّة إيديولوجيّة بالضرورة، ذلك أنها تتأثر إما بالاتجاهات الفكريّة والقناعات الشخصية للمترجم، وإمّا بالمتطلبات التي يفرضها زبون الترجمة أو جمهورها على حد سواء. ضمن هذا الإطار يسعى هذا الفصل على دراسة الجوانب النظرية للترجمة، وعلاقتها بالإيديولوجيا والخطاب السياسي. حيث ننوي القيام بدراسة لأهم المقاربات النظرية للترجمة، بادئين بالمقاربات اللسانية (2-2) ثم مقاربات تحليل الخطاب (2-3) ثم المقاربة الوظيفية (2-4) لننتقل بعدها الى مفهوم المعايير والتنظير لمعايير الترجمة (2-5) لننتقل إلى العلاقة بين الإيديولوجيا والترجمة (2-6) ثم إلى دراسات ترجمة الخطاب السياسي (2-7) لنصل بعدها إلى خلاصة للفصل (2-8).

2-1 المقاربات اللسانية

يضم القسم الأول من مقاربات دراسات الترجمة تلك التي تتناول المنتوج الترجمي (النص المترجم)، وهي مقاربات لسانية محضة. ويرى نودي

(Naudé, 2002) أن المفهوم المهيمن على الخطاب النظري للترجمة في هذا الجزء هو مفهوم التكافؤ والذي ما يزال يحظى بحيز هام من الدراسات كما يذكر ذلك هالفرسون (Halverson, 2002) ويلخص مفهوم التكافؤ على أنه اختيار بين ترجمة

تحافظ على الخصائص الشكلية والثقافية للنص الأجنبي مقابل ترجمة تسعى إلى إحداث نوع من التأثير لدى متلقي الترجمة. وبالاعتماد على هذا المفهوم، ظهرت العديد من المقاربات اللسانية المعتمدة على الثنائيات من مثل ثنائية الترجمة الحرفية، المكافئ الشكلي، الترجمة الدلالية، الترجمة المظهرة، التي يمكن ادراجها تحت القسم الأول، بمقابل المكافئ الدينامي والترجمة التبليغية والترجمة المضمرة التي يمكن ادراجها تحت القسم الثاني. ونعكف في هذا المبحث على دراسة أهم المقاربات اللسانية، حيث تندرج ضمن هذه النظريات العديد من المفاهيم التي حاولت التنظير للترجمة منطلقة من علم اللغة والمفاهيم المنتسبة إليه، وهو ما سنتناوله فيما يلي.

2-1-1 ثنائية التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي عند نايداNida

لدى تناوله لهذين المفهومين، ينطلق نايدا Nida من تصنيف لأنماط الترجمة، قائلا إن أنواع الترجمات ترتبط في الغالب بطبيعة النص المترجم ورسالته، والغرض الذي يهدف إليه كاتب النص الأصلي، والجمهور المستهدف بالترجمة وهو قراء الترجمة، يقول نايدا:

"Differences in translations can generally be accounted for by three basic factors in translating: the nature of the message, the purpose or the purposes of the author and of the translator, and the type of the audience" (Venuti, 2000, p. 127)

أي: "ترتبط الفروقات الحاصلة بين الترجمات بثلاثة عوامل رئيسة هي: طبيعة الرسالة في النص الأصلي، والغرض الذي يهدف إليه الكاتب والمترجم، ونمط الجمهور المستهدف بالترجمة." (ترجمتنا).

يشرح **نايدا** هذه العوامل المؤثرة على طبيعة الترجمة وعلى الاختيار الذي يمارسه المترجم عند النقل بالقول إن اختلاف الرسالات –بالنسبة إلى العامل الأول– تكمن في الأهمية التي يجب أن يوليها المترجم إما للشكل أو للمضمون. ويشرح ذلك أن بعض النصوص تفرض على المترجم أن يولي الأهمية للشكل على حساب المضمون مثل النصوص الشعرية والأدبية الراقية، على خلاف النصوص المقدسة التي يفضّل أن تعتمد ترجمتها على المضمون لكونها نصوصا ذات دعوة تهدف إلى تبليغ معانيها إلى القراء أكثر مما تهدف إلى جذبهم إلى جماليتها.

أما العامل الثاني المتمثل في الغاية التي يرمي إليها كاتب النص أو المترجم، فيؤكد **نايدا** أن المفترض هو تطابق هدفي كاتب النص الأصلي والمترجم. غير أن ذلك ليس قاعدة، فيمكن أن تختلف أهدافهما بحسب طبيعة المترجم من جهة وطبيعة الجمهور القارئ من جهة أخرى. ويعطي نايدا أمثلة واقعية عن ذلك، حيث يقول إن ترجمة فيلسوف من الفلاسفة لكتاب من كتب هايدغر لن تخرج عن كونها ترجمة يتطابق فيها هدفا الكاتب والمترجم (الفيلسوف)، حيث يتمثل هدف كل منهما في التعريف بسلوك فلسفي معين، بينما يسعى مترجم الكتاب المقدس إلى فهم واسع وتأثير مكافئ لذلك الذي مارسه النص الأصلي على قرائه بلغته الأصلية.

وأما فيما يتعلق بالعامل الثالث المتمثل في الاختلافات بين الجماهير المستهدفة بالترجمة، فيوضح **نايدا** أن الاختلاف هنا ينحصر أساسا في اهتمامات

قرّاء الترجمة، حيث يرى أن عملية اختيار نص من النصوص للترجمة لابد أن تسبقها دراسة لتوجهات جمهور القرّاء قبل البدء في الترجمة. (Venuti, 2000, pp. 126-128)

يتمثّل التوجهان الأساسيان للترجمة بالنسبة ليوجين نايدا في التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي، حيث تكمن مهمة المترجم في البحث المتواصل الدؤوب عن أقرب أنواع التكافؤ تعبيرا عن مضمون النص الأصلي، ويميز نايدا بين التوجهين الأساسيين للترجمة معرفا كلا منهما على حدى بقوله:

"Formal equivalence focuses attention on the message itself in both form and the content. In such a translation one is concerned with such correspondences as poetry to poetry, sentence to sentence, and concept to concept" (Venuti, 2000, p. 129)

أي: "يركز التكافؤ الشكلي اهتمامه على الرسالة بحد ذاتها سواء من ناحية الشكل أو المضمون، ويشتغل المترجم –في هذا النوع من التكافؤ–على مقابلة كل نوع بمثيل له كمقابلة الشعر بالشعر والجملة بالجملة والمفهوم بالمفهوم" (ترجمتنا).

يوضح **نايدا** من خلال ما سبق أن التكافؤ الشكلي بوصفه استراتيجية من استراتيجيات الترجمة يركز على الرسالة بحد ذاتها، في شقيها المتعلقين بالشكل والمضمون، حيث تكمن مهمة المترجم عند اتباعه لهذه الاستراتيجية في تعويض القصيدة بقصيدة تماثلها مبنى ومعنى، أو في تعويض نص صحفي بنص صحفي مماثل له. باختصار، عند اتخاذ التكافؤ الشكلي استراتيجية للترجمة فاشتغال المترجم

يكون على مستوى الرسالة شكلا ومضمونا دون الأخذ في الحسبان أي عنصر ثالث.

أما الترجمة المعتمدة على التكافؤ الدينامي فهي تهدف إلى جعل النص يبدو وكأنه كتب بلغة الترجمة. حيث تسعى إلى استكمال "طبيعية التعبير". وتسعى ترجمة من هذا النوع إلى ربط القارئ أو مستقبل الترجمة بأساليب الاستجابة والسلوك بلغته الأصلية، فهي لا تعتمد على إفهامه المنحى الثقافي لسياق النص الأصلي، بل تسعى إلى البحث في الثقافة المستهدفة عن الوسائل الكفيلة بإحداث تأثير مكافئ "equivalent response". يقول نايدا:

"A translation of dynamic equivalence aims at complete naturalness of expression, and tries to relate the receptor to modes of behavior relevant within the context of his own culture; it does not insist that he understands the cultural patterns of the source-language context in order to comprehend the message" (Venuti, 2000, p. 129)

أي: "تهدف ترجمة ذات تكافؤ دينامي إلى إكمال طبيعية التعبير، وتسعى إلى ربط متقبّل الترجمة بنماذج سلوكية تنبع من ثقافته الأصلية. وهي بذلك لا تسعى إلى إفهامه المنحى الثقافي لسياق اللغة الأصلية بغاية فهم رسالة النص الأصلي" (ترجمتنا).

2-1-1-1 أهم الانتقادات الموجهة لنايدا

يبدو أن اجتهاد نايدا الوحيد يتمثل في إدخال بعد ثالث في الخطاب التنظيري للترجمة، فلم تعد الترجمة ثنائية الأبعاد (حرفية/ حرة) كما كانت من ذي قبل، ولم

يعد تعامل المترجم مقتصرا على كيفية رسم معالم موقفه من النص إما بالتركيز على شكل النص أو مضمونه، بل وجب عليه –وفقا لنظرية نايدا–أن يأخذ في الحسبان بعدا ثالثا هو استجابة القارئ للمنتوج الترجمي.

رغم ذلك، فإن هذا الجهد لم يشفع له من الانتقاد في الأوساط التنظيرية للترجمة، حيث انتقدت جويل رضوان مقاربته لترجمة الأسلوب في صيغته النهائية مما قد ينتج عنه ترجمة ركيكة لا تولي الأهمية الكافية للأبعاد الأخرى للترجمة مثل البعد الجمالي. (Redouane, 1984, p. 98)

كما تعرض لنقد شديد من قبل **باسنات مكغواير** (Bassnett Mc-Guire) من خلال إبدائها معارضة شديدة للرأي القائل بوجود نظرية ترجمية معيارية وهو ما سعى إليه نايدا من خلال وضعه لمبدئ التأثير المكافئ. وقالت إن محاولته لوضع علم للترجمة إنما هي محاولة فاشلة لتركيزها على نظرية تجريدية وأسس تستند أساسا إلى اجتهاد شخصي من نايدا الذي وضع الترجمة ضمن أسس نظرية يصعب الحديث عنها عند تناول الترجمة من وجهة نظر علمية موضوعية

. (Mc-Guire, 1980, pp. 37-39)

كما تعرض نايدا إلى نقد شديد من قبل **لاروز** (Larose)الذي ركز في نقده على الإبهام المحيط بمبدئ التأثير المعادل، حيث طرح عدة أسئلة نقدية تتمحور حول

كيفية قياس هذا التأثير المعادل ومن مِن القراء سيتأثر به، وكيف يمكن تحقيقه عند ترجمة نص من ثقافة واحدة إلى ثقافات عديدة. هذه الأسئلة وغيرها جعلت **لاروز** يصل إلى نتيجة مفادها أن التأثير المعادل الذي وصفه نايدا في نظريته يمكن الاعتماد عليه كأداة تحليلية للترجمة. غير أن الغموض الذي يلفه يجعل من الصعوبة بمكان اعتبار هذا المبدئ استراتيجية يمكن أن يعتمد عليها المترجم في واقعه العملي. (Larose, 1989, p. 65)

وممن تعرض لنايدا بالنقد الشديد نجد كذلك **ادوين جنتزلر** Edwin Gentzler الذي تناول نظرية نايدا من وجهة نظر تفكيكية، قائلا إنّ المكافئ الدينامي لا يعدو كونه مبدأً ثيولوجيًّا غير بريء، حيث يرمي إلى أغراض دعائية لا يُرجى منها سوى إقناع قرّاء الترجمة بمضمون المسيحية في مذهبها البروتستانتي. (Munday, 2001, p. 43)

وعلى الرغم من ذلك فإن نظرية نايدا تعتبر من أكثر النظريات انتشارا في القرن العشرين، ومفهومه للتكافؤ من أكثر المفاهيم تناولا لدى الكثير من دارسي الترجمة ومنظريها على حد سواء، وهي نظرية إبداعية أثرت في الكثيرين من بعده على غرار بيتر نيومارك Peter Newmark كما سنحاول التطرق إلى ذلك فيما يلي.

2 -1-2 الترجمة الدلالية والترجمة التبليغية عند نيومارك Newmark

تتضمن نظرية بيتر نيومارك في بدايتها نقدا لنظرية نايدا في الترجمة، حيث يعتقد أنها تشكل تواصلا لما بات يعرف بالثنائيات في التنظير للترجمة، بحيث يقول:

"The conflict of loyalties, the gap between emphasis on source and target languages will always remain as the overriding problem in translation theory and practice" (Newmark, 1982, p. 38)

أي: "سيظل صراع الولاء والفجوة القائمة بين التركيز على إحدى اللغتين إما المنقول منها أو المنقول إليها المشكل الأعوص في الترجمة بشقّيها النظريّ والتطبيقيّ" (ترجمتنا).

وإذ يعترف نيومارك ببقاء هذا "الصراع" قائما بين التوجهين إما إلى اللغة المنقول منها أو إلى اللغة المنقول إليها، فيرى أن الحل الأمثل يكمن في تضييق الفجوة بينهما، لكن ليس بالاعتماد على ما ذهب إليه نايدا من "تكافؤ دينامي" يرمي إلى إقحام القارئ في المعادلة الترجمية، بل بطرح هذا المفهوم "الواهم" جانبا والاستعاضة عنه بمفهومين آخرين مستمدين من واقع الترجمة العملي هما الترجمة الدلالية semantic translation والترجمة التبليغية أو التواصلية communicative translation.

وعند تأملنا لهذين المفهومين بنظرة نقدية يمكن أن نلاحظ أنهما يشكلان في حقيقة الأمر تواصلا لنظرية نايدا القائمة على التمييز بين التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي، إذ يقول نيومارك معرفا لنمطي الترجمة:

‘‘Communicative translation attempts to produce on its readers an effect as close as possible to that obtained on the readers of the original" (Newmark, 1982, p. 39)

أي: "تسعى الترجمة التواصلية إلى إحداث تأثير على قرائها أقرب ما يكون من تأثير النص الأصلي على قرائه" (ترجمتنا).

بينما يعرف نيومارك الترجمة الدلالية بقوله:

"Semantic translation attempts to render, as closely as the semantic and syntactic structures of the second language allow, the exact contextual meaning of the original" (Newmark, 1982, p. 39)

أي: "تحاول الترجمة الدلالية نقل المعنى السياقي الدقيق للنص الأصلي بقدر ما تتيحه البنى الدلالية والتركيبية للغة المنقول إليها" (ترجمتنا).

لا يمكن للقارئ إلا أن يلاحظ التشابه بين مفهومي نيومارك للترجمة "الترجمة الدلالية والترجمة التواصلية" وبين مفهومي نايدا للتكافؤ الذين سبق عرضهما سواء من حيث كونهما ثنائية نظرية تكرس النظرة القديمة إلى الترجمة أو من حيث تعريفهما المشابه كثيرا لتعريفي نايدا، غير أن نيومارك يحاول إبعاد نظريته عن نظرية نايدا بقوله إن الترجمة الدلالية والترجمة التواصلية مفهومان أكثر تعبيرا عن واقع الترجمة العملي من مفهوم التكافؤ الذي يصفه بـ "الوهمي".

ويميّز نيومارك بين مفهومه للترجمة الدلالية وبين المفهوم الشائع "الترجمة الحرفية" بالقول إن الترجمة الحرفية منهج يتقيد ببنية النص الأصلي الدلالية والتركيبية تقيُّدا مبالغا فيه بينما تفترض الترجمة الدلالية احتراما لسياق اللغة المنقول إليها وبُناها التركيبية والدلالية. (Munday, 2001, pp. 44-46)

1-2-1-2 أهم الانتقادات الموجهة لـ نيومارك

بحسب مطالعتنا المتواضعة فإن نظرية نيومارك لم تحظ بالنقد الواسع في الأوساط التنظيرية للترجمة على خلاف نظرية نايدا، لكن ذلك لم يمنع من أن نجد بعض المنظرين يوجهون انتقادات إلى نظريته أقل من تلك الموجهة إلى نايدا، فانتقده جيرمي منداي Jeremy Munday بسبب "معياريته المبالغ فيها" "strong prescriptivism" وكذا بسبب استخدامه لمصطلحات فشا استعمالها في المرحلة ما قبل اللسانية لعلم الترجمة. (Munday, 2001:46). كما انتقدته جويل رضوان بقولها أن الحد الفاصل بين نوعي الترجمتين غير واضح المعالم. (Redouane, 1984, p. 82).

1-2-1-3 التغييرات الترجمية عند كاتفورد

ظهر مصطلح التغيرات الترجمية أوّل ما ظهر في كتاب كاتفورد المعنون بـ "نظرية لسانية للترجمة" "A Linguistic Theory Of Translation" (1965). ويصرح كاتفورد باتّباعه لنموذجي فيرث وهاليداي التحليليّين، المبنيّين على تحليل لغوي متعدد المستويات فونولوجي ومورفولوجي ونحوي ومعجمي. (Catford, 1965, p. 15)

ولدى تناوله للترجمة، ينطلق كاتفورد من تفريق واضح بين نوعين من أنواع التكافؤ هما التعادل الصوري أو التقابل الصوري "Formal correspondence" والتكافؤ النصي، "Textual equivalence"، معرّفا كلا منهما بقوله:

"A formal correspondent is any TL category (unit, class, element of structure, etc...) which can be said to occupy, as nearly as possible, the same place in the economy of the TL as the given SL category occupies in the SL" (Munday, 2001, p. 60)

أي: "يعرّف التعادل الشكلي على أنه أي وحدة من اللغة الهدف (وحدة، قسم، عنصر في البنية إلخ...) يمكن أن تشغل المكان نفسه للمكان الذي شغلته نظيرتها في اللغة الأصلية" (ترجمتنا).

أما التكافؤ النصي فيعرفه قائلا:

«Textual equivalence is any text or portion of text which is observed on a particular occasion (...) to be the equivalent of a given SL text or portion of text" (Munday, 2001, p. 60)

أي: "التكافؤ النصي هو أي نص أو جزء من نص يمكن ملاحظة أنه مكافئ لنص أو جزء من نص مكتوب باللغة الأصلية" (ترجمتنا).

وهكذا، يحدد كاتفورد الفرق بين مستويين من مستويات التكافؤ في الترجمة، فيعرف التعادل الصوري على أنه معادلة أداة الجر بأداة الجر مثلا، فلا يجاوز التعادل الصوري كونه ملاحظة أنّ كلمة يمكن تعويضها بكلمة أخرى عند الترجمة. أما المستوى الثاني وهو التكافؤ النصي فيتجاوز حد الكلمة ليرتبط بـ "نص أو جزء من نص" وهو ما قد يكون جملة ففقرة أو عدة فقرات.

أما المفهوم الذي اشتهر عن كاتفورد فهو التغيرات الترجمية "translation shifts' والتي تعني التغييرات التي يمكن ملاحظتها على الكلمة أو البنية اللغوية على مستوى الجملة عند الترجمة. يميّز كاتفورد بين أربعة أنواع من التغييرات هي:

(Munday, 2001, p. 61)

2-1-3-1 التغييرات البنائية:

وهي أكثر أنواع التغييرات حدوثا بالنسبة إلى كاتفورد، وتتعلق بالانتقال من البنية النحوية للغة المنقول منها إلى البنية اللغوية للغة المنقول إليها، مثل الانتقال من بنية "فعل فاعل مفعول به" في اللغة العربية إلى بنية svo باللغة الانجليزية.

2-1-3-2 التغييرات القسمية

ويتعلق بهذا النوع من التغييرات التي قد تطرأ على أقسام الكلمات مثل تغيّر الصفة في اللغة العربية إلى مصدر باللغة الأجنبية أو العكس، ويعطي كاتفورد مثالا بين اللغتين الفرنسية والانجليزية هو un étudiant en médecine: A medical student.

2-1-3-3 تغيرات الوحدة:

ويتعلق الأمر هنا بالتغيرات التي قد تحدث عند الانتقال من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، ويقصد بمفهوم الوحدة 'Unit' المستوى اللغوي السُلّمي من كلمة ومورفيم وجملة وعبارة إلخ...

2-1-3-4 التغيرات داخل النظام:

ويقصد بها التغيرات التي قد تطرأ عند الانتقال بين لغتين تملكان نظامين لغويين متقاربين (مثل الفرنسية والانجليزية)، ويمكن التمثيل على ذلك بالمفرد الذي قد يصير جمعا مثل advice—conseils أو الكلمة النكرة التي قد تصير معرفة مثل il a la jambe cassée—he has a broken leg.

2-1-3-5 أهم الانتقادات الموجهة إلى كاتفورد:

على الرغم من كون كتاب كاتفورد ثورة في مجال الربط بين الظواهر الترجمية اللغوية ومحاولة إعطائها بعدا علميا، إلا أن ذلك لم يشفع له من الانتقاد، فقد انتقده دوليل (Delisle) لكون كتابه مقارنة لسانية جامدة 'static comparative linguistic approach'، غير أن ذلك لم يمنع البعض من منظري الترجمة من الثناء على كتاب كاتفورد، فقد أشاد هنري بعمل كاتفورد المتعامل مع نظرية الترجمة على أساس متين من العلميّة مما أسهم –حسبه–على نقلها إلى مرحلة جديدة بعيدة عن الجدل العقيم حول قابلية الترجمة.

وعلى ذلك انتقده منداي لكون أمثلته منزوعة عن سياقها 'decontextualized' موضوعة من تأليفه وليست مأخوذة من الممارسة الميدانية للغة. (Munday, 2001, p. 62)

2-1-4 كولر (koller) ونظرية أنواع التكافؤ:

يعد كولر من بين المنظرين الرائدين في ميدان الدراسات اللغوية للترجمة، حيث تأثر برأي يوجين نايدا في دراسات الترجمة القائل بالتكافؤ، إلا أن كولر يميز بين عدة مستويات وأنواع للتكافؤ نذكرها يما يلي بشيء من الاختصار. (العناني، 2006، الصفحات 76-77)

2-1-4-1 التكافؤ التحديديdenotative equivalence :

ويتعلق بمستوى الألفاظ والمفردات، حيث يركز هذا النوع من التكافؤ على دلالة الألفاظ والمفردات ومكافئتها في اللغة الهدف.

2-1-4-2 تكافؤ ظلال المعنى connotative equivalence

ويختص هذا النوع من التكافؤ باختيار الألفاظ ذات المعنى المتقارب بين اللغة الأصل واللغة الهدف، حيث عادة ما تتداخل معاني المترادفات في اللغة الواحدة وهو ما يضطر المترجم إلى اختيار أقرب المفردات تعبيرا عن المفردة الواردة في النص الأصل بالاعتماد على ظلال المعنى. (connotation) .

2-1-4-3 تكافؤ النصوص المعياريةnormative textual equivalence :

ويختص بالتكافؤ على مستوى نوع النص وموضوعه والجهد الذي يبذله المترجم لتقمص دور الكاتب والحفاظ على مضمون النص.

2-2 مقاربات تحليل الخطاب

أثار الدور الذي منح للنص المترجم كمعيار وحيد لتقييم الترجمات نقدا واسعا لمقاربات التكافؤ. واعتمد المنتقدون على اهمال مقاربات التكافؤ للظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالعملية الترجمية وكذا متطلبات عملية الاتصال في الثقافة المستهدفة التي تشكل ميزة للدراسات المعيارية للترجمة. (Naudé, 2002) ومقابل هذا، ظهرت النظريات اللسانية للترجمة تحت مقاربة جديدة تعرف بمفهوم

تحليل الخطاب discourse analysis approach. ونجد من بين منظري الترجمة من حمل لواء هذه المقاربة الجديدة مثل حاتم وميسون وكذا منى بكر. (Baker, 1992) وقد انصبت جهود هؤلاء على الربط بين دراسات الترجمة من جهة ولسانيات النصوص وتحليل الخطاب واللسانيات التداولية من جهة أخرى. ويتم التعرض للترجمة وفقا لهذه المقاربة بشكل تكون فيه اللغة –وهي الوسيلة الوحيدة لتحليل الترجمة–أداة للتعبير عن العلاقات الاجتماعية وعلاقات القوة، ولهذا المعنى تكون الترجمة وسيلة لتبليغ نص أجنبي بالاعتماد على جمهور معين من القراء.

وتفترض المقاربة التداولية في دراسات الترجمة قصدا تواصليا (communicative intention) وعلاقة تكافؤ. ويعتمد التكافؤ هنا على التحليل النصي مما يجعله على مستوى نصي وتواصلي بدلا من أن يكون على مستوى الجملة والمفردة كما يذكر ذلك نودي (Naudé, 2002) وقد اعتمد التحليل النصي على أعمال هاليداي التي تركز على استكشاف الخلفيات الثقافية الكامنة في النص بدلا من الاكتفاء بالتحليل اللغوي التقليدي. ونتناول فيما يلي أهم النظريات المنبثقة عن هذا الاتجاه المعتمد على دراسة الترجمة من وجهة نظر تحليل الخطاب.

2-2-1 نموذج هاليداي Halliday

ينبني نموذج هاليداي على ما يسميه النحو الوظيفي النظامي functional‘

systematic grammar' ويعتمد فيه على تقسيم بوهلر (Buhler) للوظائف الثلاثة للغة.

ويفترض هاليداي دراسة اللغة بوصفها عملية تواصل دائم، يكون فيها المعنى الذي يعطيه الكاتب لكلماته مرتبطا بسياق أوسع ذي خصوصية اجتماعية وثقافية.

ويربط هاليداي في أنموذجه بين معنى النص والسجل المستعمل من قبل الكاتب register مقسما إياه إلى ثلاثة مكونات رئيسة هي:

- **الحقل field:** وهو الحقل الذي يكتب فيه الكاتب أو الموضوع الذي يكتب عنه وينتمي إليه نصه.
- **المرسل والمرسل إليه tenor:** ومعناه طرفا الرسالة وهما مرسلها ومستقبلها واللذان من شأنهما التأثير على طبيعة المعنى الممنوح للكلمات.
- **شكل العملية التواصلية form of communication:** وهو الشكل الذي تأخذه العملية التواصلية من شفهي ومكتوب وغيره. (Munday, 2001, p. 91) وترتبط كل من مكونات السجل حسب هاليداي بجانب من جوانب المعنى الذي يريده كاتب النص الأصلي، والتي إن اجتمعت شكلت ما يسميه هاليداي "دلالية الخطاب". لقد أثر هاليداي على بعض منظري الترجمة الذين سعو إلى تطبيق أنموذجه على دراسة الترجمة تقييما وتحليلا بل ورسما لخطط

عملية للترجمة، والذين نحاول فيما يلي تناول نماذجهم.

2-2-2 نموذج منى بكر Mona Baker :

تعرف نظرية منى بكر بالتعادل التداولي pragmatic equivalence. وتضمن كتابها أيضا نظرة جديدة إلى مفهوم التعادل والتكافؤ، يتوزع على مستويات عديدة انطلاقا من التعادل على مستوى الكلمة ثم النحو ثم الموضوع ثم التعادل التداولي.

وتعرف منى بكر التداولية كما يلي:

> "Pragmatics is the study of language in use. It is the study of meaning not as generated by linguistic system but as conveyed and manipulated by participants in a communicative situation" (Baker, 1992, p. 217)

أي "التداولية هي دراسة اللغة في واقع استعمالها. وهي دراسة المعنى المنبثق عن الاستعمال في الواقع التواصلي لا دراسة المعنى الناتج عن النظم اللغوية" (ترجمتنا).

تركز التداولية إذن على الاستعمال اللغوي في الواقع كمصدر أساسي لدراسة المعنى مستبعدة بذلك المعاني الجاهزة التي تنتج عن دراسة النظم اللسانية المعيارية ولتحقيق ذلك تركز منى بكر على ثلاثة محاور هي:

إتساق النص: والذي يرجع إلى تماسك النص ويرجع إلى خبرة القارئ وتجربته

(العناني، 2006، صفحة 189)، ولذلك فقد يجد المترجم نفسه مجبرا على إضافة ما يحتاجه من معلومات مفيدة.

الافتراض المسبق: ومعناه قدرة القارئ على استنباط معنى الكلام لا من سياق النص وحده بل من الظروف المحيطة بالعملية التواصلية "شفاهة وكتابة" (العناني، 2006، صفحة 190).

التضمين: ومعناه ما يقتبسه المتكلم في كلامه من رموز اجتماعية وثقافية تحكم عملية بناء المعنى وتحكم بذلك الاستعمال اللغوي.

2-2-3 المستوى السيميائي عند حاتم وميسون(Hatim and Mason) :

يرى كل من حاتم وميسون أن الأسس اللازمة لبناء نموذج لتحليل النصوص تشتمل على التحليل من القاعدة إلى القمة ومن القمة إلى القاعدة لابد أن يتم بالاعتماد على المستوى السيميوطيقي للنص. وتنطلق نظريتهما من أن اللغة والنصوص تجسيد لرسائل اجتماعية وثقافية وعلاقات السلطة وهو ما يمثل الخطاب بأوسع معانيه

ويعرف حاتم وميسون الخطاب على أنه:

'Modes of speaking and writing which involve social groups in adopting a particular attitude towards areas of socio-cultural activity' (Mason, 1997, p. 74)

أي: "طرائق الكلام والكتابة التي تؤدي بفئات من المجتمع الى تبني موقف ما في الانشطة الاجتماعية والثقافية" (ترجمتنا).

وأما المستوى السيميوطيقي فيتجاوز التحليل الدقيق او الجزئي إلى المستوى الكلي للغة على نحو نقل الفصحى إلى الفصحى والعامية إلى العامية.

وقد بذل كل من حاتم وميسون جهودا معتبرة في تبني مقاربة هاليداي في تحليل الترجمة خاصة مع إعطائهما بعدا خاصا لترجمة الأيديولوجيا. (Mason, 1997, pp. 63-143)

2-2-4 أهم الانتقادات الموجهة لنظريات تحليل الخطاب

على الرغم من تحقيقه السبق في مجال إدخال مقاربات تحليل الخطاب إلى دراسات الترجمة، إلا أن نموذج هاليداي تعرض إلى نقد من قبل العديد من المنظرين. فقد انتقده فيش لكونه نموذجا بالغ التعقيد يعتمد على ربط غير مطواع لنماذج نحوية بمقابلاتها في اللغة الهدف. (Munday, 2001, p. 92).

وانتقد كذلك لورانس فينوتي نماذج تحليل الخطاب بصفة عامة لكونها نماذج ستؤدي لا محالة إلى تحديد دراسات الترجمة، وعدم السماح للجوانب الثقافية للعملية الترجمية بالبروز مما يجعل دراسة النص المترجم دراسة مقيدة إلى أبعد الحدود من

جهة ومن جهة أخرى يحرم الترجمة بوصفها عملية من "الإبداع و التغيير" (Venuti, 2000, p. 180)

2-3 المقاربة الوظيفية

ظهرت المقاربة الوظيفية في دراسات الترجمة هادفة الى تحرير المترجمين من "التقيد المفرط بالنص الأصلي" حسبما ذكر نودي، حيث قال:

'an excessively servile adherence to the source text' (Naudé, 2002, p. 50)

أي "المترجم متقيد مفرط بالنص الأصلي" (ترجمتنا).

وتهدف كذلك الى النظر الى الترجمة على أنها فعل هادف يحدد هدفه بالنظر الى زبائن المترجمين وجمهور القراء. لقد أسست نظرية السكوبوس لصاحبها جوزيف هانس فيرمير (Vermeer) التي ظهرت في سنوات السبعينات لنظرة جديدة الى الترجمة تأخذ في الحسبان النص المترجم في سياق اللغة الهدف.

وقد جاءت نظرية السكوبوس كرد فعل على النظريات التكافؤية المهيمنة في ذلك الوقت مبينة أنه ليس للنص المترجم أن يحدد طرائق الترجمة والاستراتيجية المعتمدة من قبل المترجم عند النقل بل الوظيفة المقصودة من وراء الترجمة هي من يحدد ذلك.

ويكمن الفرق بين المقاربات اللسانية وبين المقاربة الوظيفية للترجمة في موقف كل منهما تجاه النص الأصلي. فبينما تعتبره المقاربات اللسانية مصدرا وحيدا للمعايير والقيود الترجمية، تعتبر المقاربة الوظيفية النص الأصلي عاملا تنضاف إليه عوامل أخرى مثل رغبة الزبون والوظيفة المنتظرة من النص المترجم وجمهور الترجمة المستهدف. (Naudé, 2002, p. 51)

إضافة الى ذلك، فان مفهوم الثقافة بوصفه كلاّ يشمل المعرفة والادراك أمر ضروري ومفهوم جوهري في المقاربة الوظيفية لدراسات الترجمة وهي شكل من أشكال التواصل مع الآخر من خلال الترجمة بمقابل الانتقال اللغوي الذي يطغى على خطاب المقاربات ذات التوجه اللساني، كما أشارت إلى ذلك ماري سنال هورنبي (Snell-Hornbey, 2006, p. 54)

ونتناول فيما يلي أهم النظريات الوظيفية تأثيرا في مجال نظريات الترجمة وهي: نظرية أنماط النصوص ونظرية السكوبوس ونظرية الفعل الترجمي.

2-3-1 نظرية أنماط النصوص:

واقترحت **رايس** Reiss بالاعتماد على مفهوم الوظيفية function تصنيفا منهجيا للنصوص (text typology) يختص بكل نمط منهج للترجمة ومن بين هذه النظريات نظرية أنماط النصوص ونظرية السكوبوس ويمكن اعتبار الجديد الذي أثرت به الساحة التنظيرية هو تخلّصها من الفكرة القديمة القائلة بأن النص المبتغى ترجمته يشكل

العنصر الرئيس في عملية الترجمة translation process بل تعتبر النص المنقول أو المترجم كيانا قائما بذاته قد تختلف وظيفته عن وظيفة النص الأول كما سيأتي محاوله بيانه فيما يلي.

اقترحت المنظرة كاترينا رايس Kathrina Reiss في بداية 1970 مفهوم النص المكافئ equivalent textللنص المبتغى ترجمته كما جاء ذلك في كتاب لورانس فينوتي Lawrence Venutiمحصلة في أعمالها مدى نجاح الترجمة في خلق نوع من التواصل والمستوى الذي يجب على المترجم الاعتماد عليه في تحقيق التكافؤ equivalence، ولعل ما ركزت عليه رايس هو الوصول إلى عملية نظامية Systematic Process لتقييم الترجمة تعتمد في أساسها على أنماط النصوص مع ربط كل نمط بوظيفة "function» خاصة به. (Venuti, 2000, pp. 160-171).

وتعرف رايس الترجمة على أنها عملية تواصل ثنائية اللغة bilingual تهدف في عمومها إلى إعادة إنتاج نص مكافئ an equivalent text للنص المبتغى ترجمته من وجهة نظر وظيفية وتحتوي هذه العملية على الوسيلة "means" وهي النص المبتغى نقله و النص المنقول مع وسيط أو وسيطه "medium" و هو المترجم الذي يصبح بدوره مراسلا ثانيا secondary sender أي أن الترجمة هنا عملية تواصل ثانوية. (Venuti, 2000 :160-171)

وتؤكد رايس أن استعمال لغتين طبيعيتين two Natural languagesووسيط medium من شأنه حتما تغيير الرسالة أثناء عملية التواصل –الترجمة–وتشير إلى هذا

المبدأ بالاعتماد على بديهية عالم الاتصال أوتو هاسلوف Otto Hasloff القائلة إن التواصل المثالي Ideal Communication نادر الوقوع بلغة واحدة نظرا لاختلاف المكتسبات القبلية و الإيحاءات بين كل من المرسل و المرسل إليه. (Venuti, 2000)

وتُعرفُ هذه الظاهرة بالاختلاف التواصلي communicative difference وقد تكون هذه الاختلافات قصدية intentionalأو غير قصدية non intentional وقد تتسبب فيها اختلافات البنى اللغوية language structual differences أو كفاءة المترجم في نقل الرسالة، أما الاختلافات القصدية فقد تظهر حين تتباين وظيفة النص المبتغى ترجمته في الوظيفة التي يحددها المترجم لعمله.

وكما تحدد رايس فإنه طالما يقع تغيير على مستوى وظيفة النص التواصلية فسينتج عن ذلك تغيير على مستوى الهدف المنشود من الترجمة وهو التكافؤ على مستوى الوظيفة functional equivalence إلى محاولة إعادة التعبير المناسب adequat expression للنص المراد ترجمته في اللغة المنقول إليها.

وتنطلق رايس من بديهية إمكانية ترجمة النصوص إلى أنماط لان لغات العالم كلها تقريبا وثقافاته تستعمل نفس أنماط النصوص وتصنف النصوص حسب وظيفتها إلى نصوص ناقلة للمعلومة informative texts ونصوص تعبيرية expressive texts ونصوص عاملة أو مؤثرة operational texts.

وتحتوي النصوص الناقلة للمعلومة informative texts على معلومات ومعارف وآراء...إلخ مكتوبة بلغة منطقية logical language أو لغة مرجعية referential language (عند نقل الآراء). أما النصوص العاملة أو المؤثرة operational texts فتصنف حسب رايس في النصوص الإبداعية creative texts أي النصوص الأدبية الراقية من شعر ومسرح ورواية، المتميزة بحضور قوي للكاتب والتي تشكل فيها العناصر الجمالية والبلاغية العنصر الأهم الذي يجب على المترجم مراعاته من أجل الحصول على التكافؤ من وجهة النظر الوظيفية بلغة أخرى. إن العناصر الجمالية والبلاغية ما يمكن أن يضيف التكافؤ الوظيفي بالنسبة لهذا النمط من النصوص.

وأما النصوص العاملة أو المؤثرة operational texts فتعمل على إحداث نوع من التأثير على سلوك مستقبل الرسالة reciever أي قارئ الترجمة فيلجأ الكاتب في هذا النوع من النصوص إلى اللغة الحوارية، وتعتبر رايس نمطا رابعا لم تسمه من النصوص يتعلق بالأفلام وما شابهها التي تنتج من خلال الصحافة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية وتزود هذا النمط بما يساعد على تأدية وظيفتها من موسيقى وصور وغيرها (Munday, 2001, pp. 73-75)

ولكل من الأنماط الثلاثة مقاربة محددة للترجمة عند رايس، فلو كان النص المبتغى ترجمته ناقلا للمعلومة، فينبغي الاعتماد على محتواه أثناء عملية النقل، وتقترح منهجية دالة لترجمة مثل هذه النصوص تمكن من المحافظة على عدم تنوع

المحتوى content invariability وقد يتطلب هذا حسبها إضمار المظهر أو إظهار المضمر في النصين، بسبب اختلاف البنى اللغوية أو بسبب اختلاف الميراث التواصلي بين مستعملي اللغتين، تقول رايس Reiss للتعبير عن ذلك:

"If the functional equivalence is sought during the process of translation, this means :
If the SL text is written to convey contents, these contents should also be conveyed in the TL text.

Mode of translating :translation according to the sense and meaning, in order to maintain the invariability of the content. To this end it may be necessary that what is conveyed implicitly in the SL text should be explicited and vice versa. This necessity arises, on the one hand, from structural differences in the two languages involved, and, on the other hand, from differences in the collective pragmatics of the two language communities involved" (Venuti, 2000, p. 167)

أي: "إذا تم البحث عن التكافؤ الوظيفي أثناء الترجمة، بمعنى أن النص الأصلي كُتب لأجل أن يقوم بوظيفة مضامين يجب ان تترجم إلى اللغة الهدف.

طريقة الترجمة: الترجمة بالتركيز على المعنى وذلك من أجل الحفاظ على وحدة المضمون. ومن أجل القيام بذلك فمن الممكن إضمار المظهر أو إظهار المضمر. وقد تنبع هذه الحاجة من اختلاف البنى اللغوية بين لغتي العمل أو عن اختلاف التقاليد التواصلية للمتكلمين بهما" (م. نفسه، ترجمتنا).

وإذا كان النص المبتغى ترجمته أدبيا و راقيا و تعبيريا expressive فينبغي على المترجم الاجتهاد في إيجاد قالب فني مكافئ يمكن من نقل النص نقلا يوازي وظيفته الأصلية، و تقترح كاتارينا رايس كمنهج موصل إلى مثل هذه الترجمة، الترجمة

بالتعريف translation by identifying ينبني على وصول المترجم إلى إدراك القصد الفني للكاتب artistic intention من أجل إنتاج النوعية الإبداعية المكافئة equivalent "artistic quality

"The translator identifies with the artistic and creative intention of the SL author in order to maintain the artistic quality of the text" (Venuti, 2000, p. 167)

أي: " يتعرّف المترجم على القصد الفنّيّ والإبداعي لكاتب النّص الأصل حتّى يحافظ على النّوعيّة الفنّية له" (ترجمتنا).

وأما عن تميز النص بنظام داخلي يهدف إلى إحداث سلوك معين في قارئه operational فتقترح رايس على المترجم التكييف adaptation في مثال بجملة black is beautiful التي تكيَّفُ إن كان القارئ من جنوب افريقيا مثلا، تقول رايس:

"Mode of translating: adaptive translating. The physiological mechanisms of the use of persuasive language should be adapted to the needs of the new language community." (Venuti, 2000, p. 168)

أي: "طريقة التّرجمة: الترجمة بالتكييف. ينبغي أن تُكيّف الآليات الفيزيولوجية للّغة الإقناعية وفقا لحاجيات أهل اللغة المنقول إليها" (ترجمتنا).

2-3-2 نظرية السكوبوس

تُنسب نظرية السكوبوس إلى نظرية الفعل الترجمي Action theory التي اقترحتها هولز منتاري Holtz-Manttari وترى أن عملية الترجمة فعل خاص يعتمد على النص المبتغى نقله. (Venuti, 2000, pp. 220-232)

أما مصطلح سكوبوس SKOPOS فهو مصطلح يوناني الأصل يعني الهدف أو الغاية و قد ظهر في دراسات الترجمة خلال سنوات 1970 من خلال أعمال المنظر الألماني هانس جوزيف فرمير Hans joseph Vermeer و استعملته هذه النّظريّة باعتباره مصطلحا تقنيا يعبر عن الغاية المنشودة وراء ترجمة أي نص من النصوص بالاعتماد على مبدأ مفاده إنّ الترجمة فعل كلامي أو خطابي لا بد أن يسبقه قصد أو نية، و ينطلق فيرمير Vermeer من هذه البديهية ليثبت أن من يحدد الوظيفة أو الغاية هو المترجم، إضافة إلى أنّ أي فعل تتحقق عنه نتيجة ما تتمثّل في وضعية جديدة أو حدث ما أو أي شيء، و في حالة الترجمة يتحقق عنها نص جديد يسميه فرمير translatum.

ومن الجدير ملاحظة أن نظرية السكوبوس تسمح باختلاف الوظائف بين النصين في لغتي عمل المترجم، فيحدد فرمير أن للنص المبتغى نقله والنص المنقول أن يختلفا ليس من حيث المحتوى وتوزعه فحسب بل إن الاختلاف قد يصل إلى أهدافهما التي تحدد كيفية تنظيم محتوييهما. وفي كتاب فينوتي Venuti ما يدلّلُ على ذلك،

" … . It therefore follows that source and target texts may diverge quite considerably, not only in the formulation and distribution of the content but also as regards the goals which are set for each, and in terms of which the arrangment of the content is in fact determined" (Venuti, 2000, p. 223)

".... إنّها إذن (النظرية) تتيح لكل من النص وترجمته أن يختلفا بشكل معتبر، ولا يتوقّف هذا الاختلاف عند تشكُل المحتوى وتوزيعه بل يتعدّاه إلى ما يتعلّق بالأهداف المسطّرة لكلّ نص منهما التي بدورها تنظّم المحتوى فيهما" (ترجمتنا).

تركز نظرية السكوبوس على هدف الترجمة الذي يحدد المناهج و الاستراتيجيات الحقيقة بأن تحدث النتيجة المناسبة من الناحية الوظيفية، و يحدد فرمير Vermeer أن العملية التي من شانها الإيصال إلى النص المترجم translatum يجب أن تسبقها عملية مفاوضة مع الزبون الذي يحدد للمترجم الغاية من ترجمته و الظروف المحيطة بالعمليتين، بما فيها مواطن النجاح و مواطن الفشل، و يشكل المترجم خبيرا في الفعل الترجمي translational action expert ، و هو المسؤول الحصري عن المهمة التي أوكلت إليه، و إن مهمة المترجم معرفة وظيفة النص الذي سينتجه فيصبح عندها النص المبتغى ترجمته نقطة مَعلمِيّة يشكل المترجم على أساسها جدولا للعناصر التي تحدد شكل النص الذي سينتجه. (Venuti, 2000, p. 223).

2-4 نماذج المعايير في نظريات الترجمة

كما رأينا في التحليل السابق للمقاربة الوظيفية، فإنها تأخذ في الحسبان توجها أقرب إلى الهدف منه إلى النص الأصلي، حيث أنها تعتمد على زبون الترجمة وعلى وظيفة النص في الثقافة المستهدفة عند التعامل مع النص. وكرد على ذلك، يعتمد جدعون توري مفهوما جديدا في دراسات الترجمة يسميه مفهوم

المعايير، مؤثرا بذلك على الكثيرين من بعده.

2-4-1 المعايير عند توري (Toury)

المعيار عند توري مفهوم مفتاحي على علاقة وطيدة بالنظام الاجتماعي. ويوضح توري أنه بتطبيق المعيار على السلوك الترجمي، فإنه يوفر خيارات للمترجم إما بالتقيد بمعايير النص الأصل أو باتباع معايير النص الهدف، هذا على الرغم من أن الممارسة العملية للترجمة عادة ما تفرض المزاوجة بين هذين الحدين. (Toury, 1995, pp. 55-95)

وبالإضافة الى المعيار الذي تتم دراسته على المستوى الكلي، فان توري يركز على مفهوم المعايير العملية التي تنبني على التغيرات الحاصلة بين النص الاصلي والنص المترجم، هادفا بذلك الى وضع دراسات ذات طابع وصفي للترجمة. ويتوزع اهتمام نظرية المعايير لتوري على مستويين، أما المستوى الأول فهو تحليل الوحدات المتغيرة أثناء الترجمة بهدف تقديم صورة أكثر وصفية عن المنتوج الترجمي. ومن جهة أخرى فإن مفهوم المعيار الترجمي يهدف بشكل أساسي إلى الوصول الى عملية اتخاذ القرار عند المترجمين، وذلك من خلال تحليل النصوص والتركيز عند تحليلها على المناهج التي يتبناها المترجمون.

2-4-1-1 المعايير الابتدائية initial norms

يقترح توري هذا النوع من المعايير كوسيلة لتحديد توجه الترجمة، ويتعلق الأمر بمعرفة ما إن كانت متجهة صوب اللغة الأصلية والثقافة الأصلية source oriented أم أنها متجهة صوب اللغة المستهدفة و الثقافة المستهدفة target oriented. ويذكر توري أن هذا التوجه قد يكون نتيجة لقرار متسرع اتخذه المترجم وأنه قد يغير من وجهة ترجمته أثناء قيامه بها. ويحتوي النص المترجم على جملة من المؤشرات والخطوط العريضة التي من شأنها تمكين الدارس أو الناقد من تحديد التوجه.

إذا تبنى المترجم منهجية متجهة صوب اللغة الاصل وثقافتها فإن الترجمة تتضمن معايير وعناصر غريبة عن اللغة الهدف أقرب إلى اللغة الأصل. ويتعلق الأمر في هذه الحالة بكتابة نص باللغة الهدف ذي علاقة قوية باللغة الأصل. والعكس بالعكس، فإذا كان النص المترجم متوجها صوب اللغة المستهدفة وثقافتها فإنه يتضمن مؤشرات لغوية خاصة بها تكون خصوصيتها ألا يستغربها القارئ.

وينبّه المعيارُ الابتدائي الباحث الناقد للترجمة إلى عناصر لغوية ونصية من شأنها البروز في الترجمة دافعا إياه إلى المقارنة بينها. وقد تكون هذه العناصر في النص الأصل والنص المترجم معا كما قد تكون ظاهرة في أحدهما مضمرة

في الآخر. كما أن المعيار الابتدائي من شأنه تحديد مدى مقبولية الترجمة من خلال تحديده لتوجهها، فكلما كانت الترجمة قريبة من الأصل متجهة صوبه قلّت درجة مقبوليتها. ويشير توري إلى ان الفائدة العملية لكلا التوجهين تظهر في كون التوجه نحو الأصل ينبّه إلى درجة التناسب adequation بين النص الأصلي والنص المترجم بينما يحدد التوجه نحو الهدف درجة مقبولية acceptability النص المترجم داخل الثقافة الهدف.

ويحدد توري أن المعيار الابتدائي يشكل وسيلة شرح وتفسير لا تخضع لأي منطق زمني أثناء تحليل الترجمة. ذلك أن المعايير التي تليه لا تمت له بأية صلة زمنية بل هو رؤية عامة ممهدة لمعايير أكثر دقة منه. ويجب التعامل مع المعايير، وفقا لتوري، بشيء من السلاسة، فحتى إن ظهر أن توجه الترجمة صوب الأصل فإن ذلك لا يعني أن كل قرارات المترجم خاضعة لهذا المعيار. بعبارة أخرى، تتمثل المعايير في وسائل تفيد في تحليل الترجمة بالنسبة للناقدين، وليست مخطط عمل يمكن للمترجم أن يعتمد عليه.

تتضمن القرارات التي يتخذها المترجم أثناء عمله، والتي تصير نتائجها مادة للتحليل عند الباحثين والنقاد، تتضمن جمعا بين توجهي الترجمة سواء نحو الاصل أم نحو الهدف. ويقترح توري تطبيق مبدأ التوجه من أجل التعرف على الأسس النظرية والمنهجية التي بنيت عليها الترجمة، وذلك من خلال التمييز بين التغيرات

التي تطرأ على النص المترجم لدى مقارنته بالأصل. أي أن مفهوم التوجه يشكل أفضل وسيلة للمقارنة بين النص الأصل و النص المترجم.

2-4-1-2 المعايير التمهيدية preliminary norms

يقترح توري هذه المعايير لتحليل اعتبارين متداخلين وهما وجود سياسة خاصة بالترجمة وطبيعة هذه السياسات وكذا مقبولية الترجمات غير المباشرة ويسمّيها بـ "سياسة الترجمة وتوجيه الترجمة" translation policy and directness of translation ويشرح مصطلح سياسة الترجمة بأنها جملة من العناصر التي ترافق عملية الترجمة وتسيّرها مثل النصوص المختارة واللغات المختارة للترجمة منها والفترة أو المرحلة الزمنية التي تشهد عملية الترجمة.

يكمن القول بوجود سياسة للترجمة في حالة ما إذا كان اختيار النصوص غير عبثي ولا يخضع لمنطق الصدفة، وتتحكم جملة من العوامل في السياسة الترجمية مثل جمهور الترجمة وطبيعة النصوص المعنية بها وكذا الوكلاء المعنيين بنشر الترجمة –دور النشر–.

تجدر الإشارة إلى أن بلورة هذا المنهج التحليلي كان بالاعتماد على نوع محدد من الترجمة وهو الترجمة الأدبية مما يقود إلى إيراد إمكانية أن هذا المنهج قد لا يصلح للأنواع الأخرى من النصوص.

ويحدد توري مفهوم توجيه الترجمة directness of translation بأنه الترجمة من لغة ثانية غير اللغة الأصلية للنص أو ترجمة الترجمة. يفيد هذا المعيار التحليلي إذا ما كان يقود إلى معرفة مؤشرات مثل ما إذا كانت الترجمة الثانية أمرا مسموحا به وكذا معرفة اللغات التي يسمح جمهور الترجمة بالترجمة عنها وهل هذا التسامح مجرد ميول من قبل جمهور الترجمة أم هو قيد يضعه، كل هذه الأسئلة معالم تحليلية تمكّن من معرفة توجيه الترجمة وما ينجرّ على ذلك من سلوكيات تؤثر على القرار الذي يتخذه المترجم.

2-4-1-3 المعايير العملية operational norms

يُقصد بها مجموع المؤشرات التي تسير القرارات التي يتخذها المترجم أثناء الواقع العملي للترجمة، فهي المعايير التي تتحكم في كيفية إنجاز النص المترجم، أي مناهج توزيع العناصر اللغوية في النص. وتتعلق بالخصوص بالقواعد التركيبية وطرق ترتيب الألفاظ في اللغة المستهدفة. وبالتالي تتحكم هذه المعايير في العلاقة العمليّة بين النص الأصل والنص المترجم، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال تمييزها بين العناصر اللغوية التي لم تتغير من العناصر اللغوية التي تغيرت، وكذا تحليل خلفية ذلك.

لقد أدت هذه النظرة الجديدة لدراسات الترجمة إلى بروز توجه جديد أشبه ما يكون بالبحث التجريبي في الترجمة، وذلك عن طريق التفاعل مع المترجمين وكل

من يشارك في عملية اتخاذ القرار. وعلى الرغم من المساهمة الفعالة التي قدمتها نظرية المعايير الترجمية لصاحبها توري، إلا أن معظم النقد الموجه لها يرتكز على وجود الصبغة المعيارية prescriptive وكذا تركيزها على السلوكيات الشخصية 'idiosyncrasy. وبالإضافة إلى ذلك فإن استخدام مصطلح التكافؤ في هذه النظرية عند التحليل المقارن للنصوص المترجمة يضفي نوعا من الغموض على ما يهدف إليه توري وهو الدراسة الوصفية للترجمة.

ومن أجل اضفاء الصبغة الوصفية أكثر على مفهوم المعيار الترجمي وربطه أكثر بالممارسة الاجتماعية العملية، ظهرت محاولات أخرى للتنظير للمعيار الترجمي من وجهات نظر مختلفة، حيث نجد من بين المنظرين الرائدين في تفسير المعيار الترجمي تشاسترمان المركز أكثر على الجوانب الثقافية والمعرفية لمفهوم المعيار. (Chesterman, 1997)

2-4-2 المعايير عند تشترمان (Chesterman)

يركز تشاسترمان على مفهوم المعيار مقسما إياه إلى قسمين كبيرين وهما:

2-4-2-1 معايير المنتوج Product norms

وتتعلق أساسا بجملة من التوقعات حول ظهور الترجمة لدى القراء. حيث يركز على مفهوم كيفية استقبال الترجمة عند القراء كمؤشر بارز يحكم العملية الترجمية. ويوضح تشاسترمان أن العوامل المتحكمة في هذا المعيار تتمثل أساسا

في تقاليد الترجمة في لدى جمهور القراء، والأعراف المتداولة حول نمط النص المترجم إضافة إلى الجانب الإيديولوجي الذي قد ينطوي عليه النص الأصلي. (Chesterman, 1997, p. 68)

2-4-2-2 المعايير المهنية professional norms

وتشتمل على جملة من الكفاءات الواجب توفرها لدى المترجم، كالجانب الاجتماعي، حيث يتوجب على المترجم أن يكون على قدر كبير من الكفاءة التواصلية حتى يستطيع رسم إطار ثقافي لنصه. ويضيف إلى هذه الكفاءة "معيار العلاقة" التي تسمح للمترجم بإيجاد علاقة بين النص الأصلي والنص المترجم، ويستبعد تشاسترمان العلاقة المعيارية القائمة على مفهوم التكافؤ المتمثل حسبه في مفهوم ضيق ينبني على عناصر لغوية بحتة. (Chesterman, 1997, pp. 69-70)

2-5 علاقة الايديولوجيا بالترجمة

من المفيد أن نتذكر أن جل النصوص تحتوي على عنصر إيديولوجي ما، مع تفاوت في الدرجة. غير أن تناولنا لعلاقة الايديولوجيا بالترجمة في هذا المبحث إنما هو على مستويين أو من وجهتي نظر. يتعلق المستوى الأول بطريقة تعامل المترجم مع نصوص ذات طبيعة إيديولوجية، بينما يتعلق الثاني بطريقة تعامل المترجم إزاء التداخل الحاصل بين إيديولوجيته الشخصية والترجمة بوصفها واقعا عمليا (the process of translation).

على الرغم من تناولنا لمفهوم الايديولوجيا في الفصل السابق، غير أنه من الجدير إعادة ضبط مفهومها من وجهة نظر ترجمية، وذلك حتى يتسنى لنا استكشاف عدد من العناصر التي من شأنها التأثير على الخيارات العملية للمترجم، سواء كان ذلك بقصد منه أم دون قصد.

يعرف ايان ميسون (Ian Mason) الايديولوجيا على أنها:

« A set of beliefs and values which inform an individual or institutions view of the world and assist their interpretation of events, facts etc...” (Mason, 1997, p. 25)

" هي نظام من العقائد والقيم التي من شأنها إفهام فرد أو مؤسسة عن العالم ومساعدتهم على تفسير الأحداث والحقائق وغيرها" (ترجمتنا).

ولم يقف بعض علماء الترجمة عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى الحد الذي يتم عندهم تعريف الترجمة على أنها عمل مخطط وغير بريء كما ذهب إلى ذلك ويل Will الذي يقول:

“Translation is a conscious, planned activity, performed in a controlled manner and aims at establishing communication between different cultural environments” (Will, 1977).

" الترجمة عبارة عن نشاط واع ومخطط له، منجز بطريقة متحكم بها، يهدف إلى ربط الصلة بين بيئات ثقافية مختلفة" (ترجمتنا).

يشير قوله "ربط الصلة بين ثقافات مختلفة" إلى تأثر الترجمة بالطريقة التي تتم بها عملية ربط الصلة هذه، هذا التأثر هو ما يمكن أن يصطلح عليه بـ "إيديولوجيا الترجمة" على حد تعبير حاتم وميسون.

وتشير بعض الاعمال المتناولة لعلاقة الايديولوجيا بالترجمة إلى وجود رابطة قوية بين إيديولوجيا المترجم ومنتجه الترجمي، وضمن هذا السياق يقول روبنسون

"The translator lets the knowledge govern the behaviour of the target readership, and that knowledge is imperatively ideological" (Robinson, 2004, p. 49)

" يترك المترجم المعرفة الإيديولوجية بالضرورة تتحكم بسلوكيات الجمهور القارئ للترجمة" (ترجمتنا).

يتعمد المترجم حسب روبنسون ترك بعض الآثار الخفية في منتجه الترجمي بغاية توجيه القراء توجيها ما، أي التأثير فيهم.

2 -5-1 الإيديولوجيا ودراسات الترجمة

توجهت العديد من الدراسات الترجمية المعاصرة إلى دراسة المنتج الترجمي دراسة من وجهة نظر إيديولوجية، أي تلك الدراسة المنهجية التي تربط بين النص المترجم والعوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وتنطلق جل تلك الدراسات من واقع تجاوزها للعناصر اللغوية في الترجمة إلى اعتبارها أن الترجمة عملية متأثرة بالأيديولوجيا من خلال صفتين، إما من خلال تأثير ايديولوجيا المترجم على النص،

أو بتـأثير المعـايير الاخلاقيـة والثقافيـة للجمهـور القـارئ للترجمـة. وينـتج عـن هـذا التفاعل المعقد بين إيديولوجيتين اختلاف على مستوى المنتج الترجمي وهو ما يمكن ملاحظته عند تداخل ما يسميه فاوسات "ذاتية المترجم".

وتشير ماريا كـلازاد بيراز Maria Calzada Perez إلـى أن الـربط بين ثقافات متعـددة مـن خـلال الترجمـة هـو عمليـة متـأثرة بشـكل مـن أشـكال الايـديولوجيا عبـر التـاريخ، وتقول إن هذا التأثير لا يـزال سـاريا إلـى يومنـا هذا وإن كـان تحـت مسمى جديد هو العولمة التي تعبرها نوعا من الاستعمار المقنع.

وتستعير بيراز مفاهيم التحليل النقدي للخطاب الذي يعتبر كل استخدام للغة استخداما ايديولوجيا، لتقول إن الترجمة لا يمكن أن تشذ عن القاعدة لكونها شكلا من أشكال استخدام اللغـة. (Perez, 2003, p. 110). كمـا يشـير فاوسـات إلـى أن وجـود الترجمة بحد ذاته يشكل أقوى دليل على أنها عملية إيديولوجية فيقول:

“Translation, simply because of its existence, has always been ideological" (Fawcett, 1997, p. 107)

أي: " بسبب وجودها، كانت الترجمة دوما إيديولوجية" (ترجمتنا).

كـذلك يـرى عـدد مـن علمـاء الترجمـة أن الترجمـة متـأثرة بالإيـديولوجيا إذا مـا أخذنا في الحسبان أن اختيار النص الذي سيترجم وكيفيات استعمال ترجمته عوامل

تحـددها اهتمامـات الطبقـة الاجتماعيـة التـي تشـكل جمهـورا قارئـا للترجمـة، هـذه الاهتمامات هي وفقا لفاوسات (Fawcett) بحد ذاتها ايديولوجيا.

ويميّز حاتم وميسون بين إيديولوجيا الترجمة Ideology of translation وترجمة الإيـديولوجيا The translation of ideology . وتعنـي ايـديولوجيا الترجمـة وفقـا لهمـا التوجهات الأساسية التي يجد المترجم نفسه مجبرا على التقيد بها أثناء القيام بعمله، وذلك لكونها توجهات نابعة من السياق الاجتماعي والثقافي الذي يشتغل ضمنه. أما ترجمـة الإيـديولوجيا فتعنـي بالنسـبة للبـاحثين تـدخل قناعـات المتـرجم ومعارفـه أثنـاء الترجمة، هذا التدخل يتحكم فيه ما يسميانه التأمل « mediation » ويعرفانه بـ:

"Mediation is the extent to which translators intervene in the transfer process, feeding their own knowledge and beliefs into processing the text" (Hatim, 2004, p. 104)

" التأمل هو عبارة عن المدى الذي من خلاله يمكن قياس تدخل المترجم عن طريق معارفه وعقائده لمعالجة النص الذي يترجمه" (ترجمتنا).

(Schaffner, Third Ways and New Centers. Ideological Unity or Difference, 2003)

تـؤدي الإيـديولوجيا إذن دورا محوريـا فـي عمليـة الترجمـة، ويمكـن تتبـع أثرهـا علـى عـدة مستويات وبطـرق مختلفـة مـن بينهـا عمليـة اختيـار الـنص المـراد ترجمتـه واسـتراتيجية الترجمـة، وكـذا موضـوع الـنص المتـرجم. وهنـاك العديـد مـن الطـرق التـي اقترحها عدد من الباحثين تساعد على تحديد ايديولوجيا الترجمة، فقد ذكرت شافنار

أن المظـاهر الإيديولوجيـة فـي الـنص المتـرجم يمكـن تحديـدها علـى مسـتويين همـا المستوى المفرداتي والمستوى النحوي، تقول شافنار:

"Ideological aspect of translation can be determined within a text itself ; both at the lexical level (reflected for example in a choice of a given word) and at the grammatical level (for example the use of passive voice to avoid an expression of agency" (Schaffner, 2003, p. 23).

أي: "يمكن تحديد المظهر الايديولوجي للترجمة من خلال النص نفسه على المستوى المفرداتي lexical level (مثل اختيار كلمة ما بعينها) أو على المستوى النحوي (مثل استخدام المبني للمجهول لتفادي ذكر الفاعل" (ترجمتنا).

ويمكن للمظاهر الإيديولوجية وفقا لشافنار أن تكون بادية يتم التعرف إليها بسهولة كما يمكن أن تكون أقل وضوحا وذلك ما يحدده النص المترجم ونمطه genre وغرضه التواصلي communicative purpose.

وتضـيف شـافنار أن المتـرجم يعمـل ضـمن سـياق تصـفه بـ "السياسـي الاجتمـاعي" منتجا بذلك نصوصا تخضع في جملتها إلى الأغراض التواصلية التي يحددها زبون الترجمة، وتنعكس هذه الشروط على البنى اللغوية للنص المترجم أي أن هذه البنى اللغوية عن وجود قيود و "معايير" ذات طابع اجتماعي وثقافي التزم بها المترجم، وهذا التأثير بحد ذاته نوع من أنواع التداخل بين الإيديولوجيا والترجمة.

يشير لوفوفير إلى أن الترجمة عملية ايديولوجية محضة، ويشرح ذلك قائلا:

« Translation is, of course, a rewriting of an original text. All rewritings, whatever their intention, reflect a certain ideology; and as such manipulate the translated text in a given way in a given society" (Lefevere, 1992, p. V)

أي: " الترجمة بطبيعتها عملية إعادة كتابة لنص أصلي، وكل إعادة كتابة مهما كان القصد منها تعكس أيديولوجيا ما، موجهة بذلك النص المترجم وجهة معينة" (ترجمتنا).

أي أن الترجمة وفقا لـ (لوفوفير) محكومة بعاملين اثنين أحدهما هو ايديولوجيا المترجم والآخر هو إيديولوجيا المجتمع الذي تتوجه إليه الترجمة.

2-6 دراسات الترجمة وعلاقتها بالتحليل النقدي للخطاب والخطاب السياسي

لقد تم تناول تحليل الخطاب discourse analysis في دراسات الترجمة منذ ظهور المقاربة الوظيفية التي سعت بالاضافة إلى تحليل النصوص المترجمة تحليلا وظيفيا، سعت إلى تحليل نماط النصوص ووظائف لغتها والأثر الذي تمارسه في متلقيها. (Munday, 2001, p. 73) واستفادت مقاربة تحليل الخطاب في دراسات الترجمة من أعمال هاليداي Michael Halliday التي كانت موجهة بالأساس إلى تحليل الوظائف التداولية للغة ووحداتها في كل من النص الأصلي والنص المترجم، ومن بين المنظرين المتأثرين بهذه المقاربة نجد كلا من مونا بكر Mona Baker وخوليان هاوس Juliane House. ويعنى التحليل النقدي للخطاب بتحليل العوامل اللغوية للغة ما

وثقافة ما، وأما فيما يتعلق بالترجمة فإن هذا التحليل لا بد أن يأخذ في الحسبان انطباقه على النص الأصلي والنص المترجم.

وتركز معظم البحوث الترجمية المستفيدة من التحليل النقدي للخطاب على الترجمة بوصفها عملا اجتماعيا محاولة بذلك الاجابة على أسئلة من قبيل من يترجم؟ ولمن يترجم؟ وفي أي ظروف؟ وهل للممارسة الترجمية أي أثر؟ وهل للعوامل الثقافية مساهمة في ذلك؟ (Schaffner, 2003, p. 29)

ويرى فاليدون Valedon أن التحليل النقدي للخطاب وسيلة مفيدة في عملية اتخاذ القرار الترجمي translational decision making، بحيث أنه يزود المترجم بمفاهيم مفيدة تساعده على ضبط الفروق بين النص الأصلي والنص المترجم وكذا الفروق الاجتماعية والثقافية بين قراء النص الأصلي وقراء النص المترجم. كما يشكل التحليل النقدي للخطاب وسيلة تحليلية تساعد على فهم كيفية مساهمة الترجمة في تفسير المعنى الذي تضمنه النص الأصلي، مع دراسة كل تغيير، يخص كل تغيير يمكن أن يقوم به (Valdeon,2007 :100).

وترى كريستينا شافنار Christina Shaffner أن الوظيفة الانسانية المتمثلة في التواصل هي ما يمكن اعتباره القاسم المشترك بين دراسات الترجمة والتحليل النقدي للخطاب وأن النصوص والخطاب عامة هي ما يمكن اعتباره نتاجا لهذه العملية. (Schaffner, , 2004, p. 136)

وبذلك لا يكون المترجم مجرد وسيط بين طرفين، بل يمكن اعتباره ينتج خطابا جديدا في اللغة المنقول إليها. فعلى خلاف محلل الخطاب، يقوم المترجم بإنشاء عملية تواصل جديدة في اللغة المنقول إليها بالاعتماد على خلفيته الثقافية والمعرفية. يركز التحليل النقدي للنصوص المترجمة إذن على دور المترجم في نقل المعلومة أو تحويرها، وكذا على دراسة التغييرات التي من الممكن أن يقررها المترجم بناء على معرفة مسبقة بخصائص قراء الترجمة وخاصة من النواحي الثقافية (Schaffner, 2004, p. 138)

ومن بين مقاربات التحليل النقدي للخطاب، تبدو مقاربة فايركلاف و فان ديجك الأنسب لمثل دراستنا. وبناء على أن دراستنا تسعى إلى تحليل المنتج الترجمي أو النص المترجم، فإننا سنحاول قدر الإمكان الاستفادة من الأدوات التحليلية التي يقترحها المنظران وبشكل خاص فايركلاف الذي يبني إطاره التحليلي للخطاب على ثلاثة أسس هي النص، الممارسة الخطابية، الممارسة الاجتماعية.

2-6-1 لمحة عن دراسات ترجمة الخطاب السياسي

بالمقارنة بين نصوص سياسية مترجمة بأصلها، توضح شافنار أن الترجمة السياسية عملية وسيطة لإنتاج الخطاب السياسي بينما يعتمد الخطاب السياسي على الترجمة كمرحلة هامة من مراحل تكوين الخطاب المعد للتأثير. وتركز على استكشاف الآثار المترتبة عن الترجمة من خلال ربط الترجمات بسياقها

الاجتماعي. لكن يبدو أن الآلية التي من شأنها ربط الترجمات بظروفها الاجتماعية لا تحظى بالنقاش الجاد والمسؤول من قبل منظري الترجمة. ومن المفيد معرفة أن شافنار تعترف ان تحليل الخطاب النقدي، على غرار الترجمة، يتوسط بين البنى اللغوية والسياقات السياسية والاجتماعية لإنتاج النصوص وتلقيها. على الرغم من ذلك تبقى العلاقة التي تربط بين الترجمة وتحليل الخطاب النقدي علاقة مبهمة، ولا يبدو عليها أنها علاقة مؤسسة خصوصا فيما يتعلق بربط البنى اللغوية بالعوامل الاجتماعية.

وقد قدمت شافنار اسهامات أخرى حول دراسات ترجمة الخطاب السياسي. فقد اقترحت استراتيجيات لترجمة النصوص السياسة من وجهة نظر وظيفية. (Schaffner, 1998, p. 5)وتناهض في عملها هذا الحاجة الى الالتزام بالأعراف والتقاليد المنتهجة لدى قراء النص الهدف لان النصوص السياسية نادرا ما تحتوي على خصائص متشابهة.

وكذا بالنسبة لها، فإن "أهم عامل يحدد ما يجب القيام به من تحسينات على النص الهدف هو وظيفته لدى قراء اللغة المستهدفة" (م.ن، 138 ترجمتنا). ويمكن استخلاص الخصائص الوظيفية للنص الأصلي والنص المترجم من خلال مفهوم "نمط النص" typology. وأخذا في الحسبان أن كل نص سياسي له نمطه الخاص به وسياقه الذي يرد من خلاله، فإنه من الطبيعي أن تتعدد الاستراتيجيات

المستعملة في القيام بوظيفة النص المترجم التي عادة ما تكون مختلفة عن وظيفة النص الأصلي.

ويعرف تروسبورغ (Trosborg) ترجمة نص ذي خصوصية في سياق مؤسساتي في الاتحاد الأوروبي على أنها ترجمة هجينة، والنصوص السياسية الهجينة هي تلك النصوص التي يتم إنتاجها في منظمة فوق قومية supranational organization كنتاج لعملية معقدة من المفاوضات بين الثقافات والمعايير والأعراف. (Trosborg, 1997, pp. 146-150)

وفي مقال لها بعنوان Political Texts as Sensitive Texts ترى شافنار ممارسة الترجمة في حقل النصوص السياسية من وجهة نظر حادة أكثر. فمفهوم الحساسية 'sensitivity' يتعدى المشاكل التقليدية للترجمة التي عادة ما تنشأ عن جوانب لغوية. وترى شافنار أن هذا المفهوم مفهوم وظيفي بالدرجة الأولى، وترى أن النص الأصلي والنص المترجم يؤديان وظيفتين مختلفتين في سياقيهما وثقافتيهما. وتصرح باكتشافها عددا من الحالات التي يتجسد فيها مفهوم الحساسية في النصوص السياسية تتعلق أساسا بتغير الوظيفتين بين الثقافتين الأصلية والهدف، وكذا تأثير المفاوضات الديبلوماسية على عملية انتاج النصوص السياسية المترجمة وكذا المسائل المتعلقة بتغيير المصطلحات من أجل ملائمة خطاب مؤسساتي ما.

ومن المفيد أن نلاحظ ما للتناص من أهمية في تحليل الترجمات السياسية، حيث تصرح شافنار أن انتاج النصوص السياسية المترجمة يتميز باعتماده على النص الأصلي نصوص مترجمة في اللغة المستهدفة سبقته تقوم مقام المرجع الذي يستند إليه النص السياسي المترجم تقول شافنار:

'The TT production can be characterised as induced both by the ST and by previous TTs which function as target language reference points' (Schaffner, 1998, p. 136)

أي "يمكن وصف إنتاج النصوص السياسية المترجمة أنها مستقرئة من النص الأصلي من جهة، ومن جهة أخرى من نصوص مترجمة أخرى تقوم مقام المراجع بالنسبة له". (ترجمتنا).

ويمكن فهم هذا الاقتباس من شافنار على أنه تنظير لدور التناص في الترجمة السياسية، ذلك أن النصوص السياسية غالبا ما تستعير من بعضها عديد المصطلحات لكون مضامينها تتبني على بعضها البعض.

خلاصة الفصل الثاني

نستنتج من هذا الفصل الثراء الذي تتميز به التيارات التنظيرية للترجمة، وكذا سعتها وتلاقي الكثير من العلوم والمعارف فيها، حيث تتميز دراسات الترجمة بتعدد المشارب الفكرية لحامليها، فمنها ما هو فلسفي ومنها ما هو لساني ومنها ما هو أدبي ومنها ما هو ناتج عن خبرة عملية لمترجمين محترفين، غير أن ما يبدو ثابتا

هو التأثير الكبير لتطور اللسانيات على دراسات الترجمة واستقلالها. لقد سعينا في هذا الفصل الى التعرض بشيء من التفصيل الى المقاربات النظرية لدراسات الترجمة، كما سعينا إلى ربطها بالإيديولوجيا. ويبدو أن التفاعل بين الإيديولوجيا والترجمة تفاعل معقّد ومتشعب حاولنا فيه التطرق إلى الخطوط العريضة له، تاركين تحليل كيفية حدوثه إلى الفصل التطبيقي من دراستنا. ولعلّ مردّ ذلك –في حدود ما قرأنا–تعدّد تأثير الإيديولوجيا في الترجمة بين النص الأدبي والنص الروائي والخطاب السياسي والخطاب الديني، لذلك آثرنا ترك كيفية حدوثه إلى الفصل التطبيقي. ويبدو أن عددا من الدراسات قد توجهت إلى دراسة ترجمة الخطاب السياسي، وهو ما حاولنا التعرض له.

الفصل الثالث التعريف بنظرية نهاية التاريخ

تمهيد:

شهد مطلع العقد الأخير من القرن العشرين نهاية الحرب الباردة بوصفها صراعا مريرا بين قوتين عظميين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي. وكان جوهر الصراع بينهما وأصله صراعا ذا طبيعة إيديولوجية سياسية بين الفلسفة السياسية الليبرالية التي تبناها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والفلسفة السياسية الشيوعية التي تبناها الشرق بقيادة الاتحاد السوفياتي. وترى كلتا الفلسفتين أن التاريخ الإنساني متوجه صوب النهاية والاكتمال، غير أن تصور كل منهما كان مختلفا عن الأخرى وذلك لاختلاف المنطلقات الفكرية لكل منهما وكذا لتناقض رؤيتهما للشكل المثالي الذي يجب أن ينتهي إليه التاريخ البشري بوصفه سلسلة من التراكمات ستفضي في النهاية إلى مرحلة تدرك فيها التجربة التاريخية البشرية مرحلتها النهائية والختامية. يعكف هذا الفصل على تتبع أصول نظرية التاريخ التي أعلن عنها فرانسيس فوكوياما، حيث نبدأ بظروف صدروها (3-1)، لننتقل إلى تتبع جذورها التاريخية (3-2) التي تتراوح بين كونها دينية وفلسفية. ثم نمر إلى شرح مكونات نظرية نهاية التاريخ عند فوكوياما (3-3) لننتقل إلى أهم الانتقادات الموجهة لها من قبل النقاد وفلاسفة التاريخ (3-4) لنصل إلى خلاصة للفصل نحاول أن نجعلها حوصلة لما تم عرضه.

3-1 ظروف صدور نظرية نهاية التاريخ

من البديهي أن تناول أي نظرية فلسفية كالتي بين أيدينا لا بد أن يتم أولا بوضعها ضمن سياقها التاريخي والسياسي والاجتماعي الذي صدرت فيه، وذلك في سبيل الإحاطة بالظروف التي صاحبت نشوء هذه النظرية وصدورها لنحاول إدراك كيفية تأثيرها فيها.

صدرت هذه النظرية أولا في شكل مقال مطول معنونا بـ "نهاية التاريخ" 'The End Of History' غير أن صاحبها فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) طورها إلى شكل كتاب يحمل عنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" 'The End Of History And The Last Man' سنة 1992. وقد حاول المؤلف عبر صفحات كتابه أن يقنع القراء أن الذي حدث سنة 1989 بانهيار جدار برلين وسقوط المعسكر الاشتراكي لا يتوقف عند كونه نهاية للحرب الباردة التي شهدت فترات عصيبة من الصراع بين الغرب والشرق، بل إن ما حدث هو اختتام للمسيرة البشرية التاريخية 'an end of history'. ولا يُقصد بالتاريخ سلسلة الاحداث المتواصلة والمترابطة، بل هو مسيرة البشر منذ العصور القديمة إلى غاية اليوم. أي أن البشر منذ وجودهم على الأرض وهم يسعون أفرادا وجماعات نحو النهاية ونحو الكمال الذي لابد أن يتجسد في نموذج إنساني قائم على القيم الحضارية والمدنية مثل الحرية والتعدد واحترام الاختلافات وغيرها. ويدعم المؤلف أطروحته هذه بقوله أن أي نهاية لابد تنبثق عن

صراع بين طرفين، إلى أن وصل الأمر إلى صراع الغرب المتبني لفلسفة الديمقراطية الليبرالية والشرق المتبني لفلسفة الديمقراطية الشعبية، فانتصرت الديمقراطية الليبرالية لتشكل بذلك نقطة نهاية في مسيرة التاريخ البشري كاملا بوصفه مسارا تراكميا بُنيت خلاله الحضارة جزء على جزء، أي بنقل كل أمة عن سابقتها أو سابقاتها قيمها وإضافتها للجديد، حتى بلغ الأمر حد النموذج الأمريكي الليبرالي الذي خاض معركة وجود على المستوى العالمي ضد نظيره الشيوعي، لينتصر في النهاية ويقدّم الختام للمسيرة البشرية التاريخية في بحثها على الكمال وسعيها إليه.

خصص المؤلف مقدمة كتابه ليشرح أهم ما جاء في المقالة التي صدرت سنة 1989 شارحا فحوى أطروحته حول نهاية التاريخ بقوله إن نهاية التاريخ تعني توقف التطور المؤدي إلى نموذج حضاري يكون النموذج الختامي، يقول فوكوياما:

‘The end of history refers to what I think still remains, the question of whether that evolution culminates in a certain kind of civilization that will be the last civilization that mankind will achieve because it’s the right one; it’s the one that fits the human nature in an appropriate way. And what I argue in the book is that liberal democracy comes much closer to fitting human nature than any other form of government or political organization.’ (Fukuyama, 1992, p. IX)

أي" تعود نهاية التاريخ إلى ما أراها مسألة لا تزال قائمة، إنها مسألة ما إن كانت مسيرة التطور ستختتم بنموذج حضاري سيكون آخر نموذج تدركه البشرية لكونه النموذج الأصلح والأصحّ. إنه النموذج الحضاري الذي يناسب الطبيعة البشرية

بالطريقة المناسبة. وما سأحجج عنه في كتابي هو أن الديمقراطية الليبرالية أقرب تلاؤما مع الطبيعة البشرية من أي نظام حكم آخر أو تنظيم سياسي آخر" (ترجمتنا).

هو ظرف نهاية الحرب الباردة إذن ما دفع بالمؤلف إلى أن يعلن عن نظرية التاريخ، على أننا سنحاول التعرض لمكونات هذه النظرية، وسنحاول استقصاء جذورها التاريخية والفكرية كما سنسعى إلى رصد أهم الانتقادات الموجهة إليها.

3-2 جذور نظرية نهاية التاريخ

تعد نظرية التاريخ من أهم النظريات في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع السياسي ولعلّه من الأفضل الوقوف عند تعريفها تعريفا تفكيكيا بتعريف النهاية أولا ثم التاريخ.

النهاية: يقصد منها الخاتمة التي لن يأتي بعدها أي جديد، فالنهاية هي انتهاء الأمر إلى شكله النهائي وصيغته الختامية التي لن يكون بعدها أي جديد.

التاريخ: لا يُقصد من التاريخ الأحداث اليومية التي يعيشها الانسان العادي، إنما المقصود منه تطور المسيرة البشرية نحو الأفضل، واختراع الجديد على مستوى الوجود الإنساني خاصة إذا تعلق الأمر بالأفكار والمفاهيم والتصورات والتحاليل التي تؤدي بالبشر إلى بناء معارفهم بعضها على بعض.

المقصود إذن من نهاية التاريخ هو ختام مسيرة البشر تطوّرا وتجديدا وإبداعا، لكن، هل ابتدع فرانسيس فوكوياما هذه الفكرة أم أن لها جذورا قبله؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عليه فيما يلي. (كفيف، 2008)

تلتقي عدد من الفلسفات مع الديانات في تصور نهاية تختتم مسيرة الفكر البشري في رحلته نحو الكمال، فتصوّر الديانات السماويّة "الجنّة" على أنها النهاية الطبيعيّة السعيدة لأتباعها ومعتنقيها. بمقابل ذلك، طرحت الفلسفات المثاليّة منذ عهد أفلاطون نهايات سعيدة للفكر الانساني في رحلته نحو البحث عن الكمال معبّرة عنه بمفهوم المدينة الفاضلة أو اليوتوبيا 'Utopia'. (كفيف، 2008، صفحة 12).

تأثر فرانسيس فوكوياما بالنزعة التاريخانية (historicism) لبعض الفلاسفة خاصة الفيلسوف الألماني هيجل. وترى هذه النزعة أن البشرية قد خضعت لنوع من التطور على مستوى وعيها، منذ المراحل البدائية إلى غاية الوقت الحاضر (أي عصر هيجل الذي عاش في القرن التاسع عشر). ويعتقد هيجل أن النهاية الحتمية للتاريخ تكمن في انتصار الشكل العقلاني والمنطقي للسلطة والمجتمع على حد سواء. يرى هيجل أن التاريخ قد أدرك نهايته الفعلية سنة 1806 بهزيمة النظام الملكي البروسي (بروسيا هي ألمانيا حاليا) من قبل نابليون بونابرت في معركة (جنا) وهو ما شكل بالنسبة له انتصارا لقيم الثورة الفرنسية ومُثلها على

نظـام استبدادي ملكـي. لكـن هنـاك مـن الـنظم السياسـية فـي العـالم مـا لـن يقبـل بمبادئ الثورة الفرنسية ومُثلها وقيمها كشكل نهائي ومرجعي للدولة والمجتمع على حد سواء. وبعد شرح نظريـة هيجـل، يتخـذ فوكوياما مـن مقولـة 'نهايـة التـاريخ' مرجعـا لتبريـر نظريتـه وتصـوره للشـكل النهـائي مـن التـاريخ، ليقـول إن النهايـة ستكون فـي شكل دولـة ليبراليـة ديمقراطيـة تقرّ بـالحقوق العالميـة للإنسـان خاصـة حق الحريـة وحق الـرأي، وذلـك لعجـز البشـرية عـن انتـاج نمـوذج آخـر يمكـن أن يضيف شيئا إلى النظام القانوني الليبرالي الضامن لكافة حقوق الإنسان.

يقدّم فوكوياما شرحه لمراحل التاريخ الإنساني بقوله إنه شهد في كلّ مراحله وجود تناقضات، ويستدل على ذلك بقوله إن العلاقات الإنسانية في كل مراحل التاريخ شهدت صراعا من أجل الاعتراف المتبادل 'mutual recognition' وكذا الصـراع بـين السـادة والعبيـد. غيـر أن الحكومـة الليبراليـة الديمقراطيـة العالميـة بنظامهـا القـانوني سـتتمكن مـن حـل كـل الإشـكالات الكبـرى كمـا سـتتمكن مـن الإجابـة علـى كـل الأسـئلة الإنسـانية الكبـرى، وعليـه سـيجد الكـائن الإنسـاني لأول مـرة فـي تاريخـه المنـاخ المناسـب الـذي سـيوفر لـه حاجياتـه الماديـة والمعنويـة. وبوصـول هـذه التناقضـات الكبـرى التـي شـهدها التـاريخ الفكـري الإنسـاني، يؤكـد فوكوياما على صحة نظرية هيجل المثالية والقيمية. كما رجع فوكوياما كثيرا في معرض دفاعه عن نظريته إلى الفيلسوف الفرنسي كوجيف (Kojeve) الذي يعدّ

أبرز الشراح المعاصرين لفلسفة هيجل، حيث يرى أن نهاية التاريخ المتجسدة في 'دولة متجانسة عالمية' 'Homogeneous universal state' قد تحققت في دول أوروبا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

3-3 مكونات نظرية نهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما

تقوم نظرية فوكوياما على مبادئ كما بينها:

- أن الشكل الحالي للديمقراطية الغربية قد بدأ في النمو منذ القرن التاسع عشر ميلادي وانتشر بالتدرج كبديل حضاري للأنظمة الديكتاتورية.
- أن فكرة الصراع التاريخي المتكرر بين السادة والعبيد لا يمكن أن يجد له نهاية واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية واقتصاد السوق الحر.
- أن الاشتراكية والشيوعية الراديكالية بوصفها المنافس الوحيد للديمقراطية قد أثبتت عجزها عن أن تكون بديلا محتملا للديمقراطية وعليه فإن المستقبل للديمقراطية سياسيا والرأسمالية اقتصاديا وحرية المبادرة الفردية والإبداع الفردي اجتماعيا. (بوتشيش، 2018، صفحة 03)

تعد مقولة نهاية التاريخ آخر صيحة عالمية استفاق عليها الفكر الإنساني المعاصر. وإلقاء نظرة على مجمل ما ورد في كتاب نهاية التاريخ وخاتم البشر يكشف عن مجموعة من الأفكار والتصورات التي صاغها فوكوياما يمكن إبراز خطوطها العريضة الآتية:

يرى المؤلف أن سقوط الاتحاد السوفياتي واكتساح الديموقراطية الليبرالية أرجاء العالم، وانهيار الأنظمة الشمولية، وانتصار فكرة الأسواق الحرة، كل ذلك وصد باب التاريخ وأدى إلى نهايته الأبدية التي لن يبرز في أفقها أي مؤشر جديد.

يرتكز في تحليله للديموقراطية على المرجعية التاريخية فيعود إلى أحداث القرن 19م الذي يعتبره قرن الاستقرار والسلام بفضل ما جناه من ثمار الثورة الفرنسية التي ركزت مبادئ الديموقراطية. لكنه ينتقد أحداث القرن العشرين التي أدت في نظره إلى تراجع المبادئ الديموقراطية بسبب الحربين العالميتين وظهور الأنظمة الديكتاتورية واليسارية الشمولية. ثم يعرج على الفترة المعاصرة ليفسر كيفية تحول الدول الديكتاتورية إلى دول ديموقراطية وسقوط الأنظمة الاشتراكية، وتحولها إلى أنظمة تنحو نحو وجهة الاقتصاد الحر بسبب عجزها عن حل مشاكلها الاقتصادية.

في مواضع أخرى من الكتاب، يضع المؤلف الأصبع على فكرة التاريخ الكوني، فيستعرض مختلف النظريات التاريخية لفلاسفة التاريخ والآلية التي تحرك التاريخ العالمي، والمتمثلة في نظره في الآلة العسكرية والتكنولوجية وسعي الإنسان المعاصر للسيطرة على الطبيعة، معتبرا أن التاريخ يسير نحو تاريخ عالمي متجانس بهدف تكوين الدولة العالمية، مستبعدا أن يكون التاريخ الكوني تاريخا دوريا يقضي على المنجزات الحديثة ليرجع للمرحلة السابقة. إلا أن أهم ما يميز فكر فوكوياما في باب التاريخ العالمي يكمن في رؤيته بأن الاتجاه نحو الدولة العالمية المتجانسة يؤدي إلى

نشأة مجتمع خال من الطبقات، ويعكس آخر مرحلة مرضية من التاريخ الإنساني، منها سيكون الاتجاه نحو نهاية التاريخ.

ولم يفته الإشارة إلى ما ينجم عن التطور التكنولوجي من دمار للبيئة معبرا عن تشاؤمه الشديد في هذا المجال من المجهودات التي تقوم بها الجمعيات ومنظمات من أنصار البيئة. وحول الاقتصاد الاشتراكي، أبرز أوجه قصوره، خاصة من ناحية اعتماد الدول الاشتراكية على فكرة الخطط الاقتصادية التي لم تعد ملائمة في نظره للتغيرات الاقتصادية السريعة وتبدل الأسعار، ومن ثم يعتبرها معيقة للتطور التكنولوجي، ويقرن الثورة العلمية بالديموقراطية الليبرالية الحرة.

يلاحظ قارئ كتاب نهاية التاريخ أن مؤلفه كثيرا ما يعود إلى الفيلسوفين الألمانيّين ماركس وهيجل، وذلك لكونهما من الفلاسفة القائلين بوجود نهاية لابد أن تدركها المسيرة البشرية التاريخية. وتتسم هذه النهاية ببلوغ البشرية شكلا مجتمعيا يحقق أهدافها الأساسية. ولكن الاختلاف بين بينهما هو أن هيجل يرى في الدولة الليبرالية النهاية الطبيعية والمنطقية للتاريخ بينما يرى ماركس أن المجتمع الشيوعي الذي تسوده المساواة هو النموذج الأمثل الذي ستدركه البشرية ولو بعد حين. ومعنى ذلك أنّ النهاية هي توقف أي تطوّر على مستوى المبادئ والمؤسسات لأن الشكل المجتمعي الختامي يجيب عن معظم الأسئلة الكبرى المطروحة. ويعلّل فوكوياما توجه التاريخ الإنساني نحو الديمقراطية الليبرالية كشكل نهائي للتاريخ بقوله إن ذلك

راجع لسببين: السبب الأول اقتصادي محض، والسبب الثاني هو ما يسميه بـ "الكفاح من أجل الاعتراف" 'Struggle for recognition'. ففيما يتعلق بالسبب الأول، يرى فوكوياما أن المجتمعات البشرية تزداد ارتباطا ببعضها البعض بواسطة الأسواق العالمية، وفشوّ ثقافة الاستهلاك، كما أن العلوم الطبيعية الحديثة وتأثيرها وسرعة انتشارها بين الأمم بمختلف انتماءاتها العرقية والدينية تؤدي إلى حدوث تغييرات اجتماعية واحدة أو موحّدة 'uniform social changes'. وأما فيما يتعلق بالسبب الثاني وهو السعي نحو الاعتراف، فقد استمده فوكوياما من الفيلسوف الألماني هيجل. ويرى أن هذا الكفاح من أجل الاعتراف هو المحرك الأساسي لعجلة التاريخ الانسانيّ، ذلك أن البشر لطالما سعوا إلى الاعتراف بهم كمسيطرين على الكون بواسطة سعيهم إلى ترويض الطبيعة والتفوق الكوني على كل الكائنات عن طريق التحكم في العلوم والمعارف المختلفة. وبوصول التاريخ إلى انتصار الديمقراطية الليبرالية، يرى فوكوياما أن هذه الفلسفة أكثر الفلسفات تعبيرا عن الإقرار للبشر كبشر، فلن يكون هناك أي سعي من الإنسان المعاصر إلى الاعتراف بإنسانيته لأن الليبرالية أنصفته.

ويطرح في مواضع أخرى وجهات نظر تتعلق بفلسفة التاريخ، خاصة آراء هيجل كما فسرها كوجيف حول الحرية والإنسان، معتبرا أن الحرية تظهر عندما يقدر الإنسان على تجاهل وجوده الطبيعي الحيواني وخلق ذات جديدة لنفسه. وفي

هذا الإطار يخصص فصلا لمعالجة السيادة والعبودية، فيرى أن خدمة العبد لسيده أصبحت تستفيد من التطور التكنولوجي، مما جعل العبد حرا بفضل تغلبه على صعوبة الخدمات السائدة قبل العصر التكنولوجي، ومطالبا بالمزيد من الحرية والمساواة.

وفي تحليله للكائن البشري، يرى أن انفعالات الإنسان من خلال رغبته في العرفان والتمايز والحفاظ على النفس والكرامة، يؤدي به إلى الدخول في مجتمع مدني حيث الدستور يقر بحقوق كل إنسان، ويقدم شرحا لمفهوم الشهامة اعتمادا على آراء الفلاسفة الأقدمين، منتقدا النظام الشيوعي الذي جعل الجزء الشهواني من النفس ضد الجزء الحيوي فيها، وذلك بإجبار الناس العاديين على جعل العديد من التافهين أكثر اتفاقا من طبائعهم.

ويلاحظ أن فكرة الديموقراطية تأخذ حيزا هاما من اهتمامات المؤلف الذي يرى أن غيابها يسفر عن مشاكل لا حصر لها داخل المجتمع، ويمكن أن تلعب دورها إذا وضعت في الحسبان الخصوصيات الثقافية لشعب أو أمة. ويذهب إلى أن الديموقراطية تتجه نحو وجهة عالمية تتميز بالتجانس، ليخرج بنتيجة قطعية في نظره، وهي أن التاريخ يقود الإنسان بطريق أو بآخر إلى الديموقراطية الحرة.

ويستند فوكوياما في الدفاع عن أطروحة التوجه الكوني نحو الديموقراطية على الثورة الحالية لتكنولوجية الإعلام، فالانفجار التكنولوجي في المجال الإعلامي الذي

نجح في غزو أكثر المناطق انزواء في العالم، سيعطي –في نظره–الأفراد مزيدا من القدرات ويسرع من وتيرة الدمقرطة.

وبهذه الأفكار التي أبرزنا خطوطها العريضة كما أوردها فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ وخاتم البشر، يبرر أطروحته حول نهاية التاريخ الذي لن يطرأ في نظره أي مؤشر جديد يغيره أو يؤدي به إلى مسار جديد.

3-4 أهم الانتقادات الموجهة لنظرية نهاية التاريخ

لاقت نظرية فوكوياما نقدا واسعا حاول فيه أصحابه إثبات بطلان فكرته حول نهاية التاريخ من الناحيتين الذاتية والموضوعية. فمن الناحية الذاتية يرى ناقدوه أنّ مجمل كتابه لا يرقى لأن يكون كتابا ذا محتوى فكري أو فلسفي أو فكري فلسفي، إنما هو محاولة لإعطاء بعد فلسفي لأمر واقع هو انتصار الولايات المتحدة الأمريكية على الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة. وأكبر دليل على ذلك –بحسبهم–هو قراءته الاختزالية والانتقائية لفلسفة هيجل وتوكفيل الذين يلاحظ القارئ لهم حضورا قويا في معرض استدلال فوكوياما على صحة نظريته.

أما من الناحية الموضوعية، فتبشير فوكوياما بالليبرالية كأفضل نموذج بشري تتوقف معه سيرورة التاريخ الإنساني، فالواقع يثبت عكس ذلك. فعوض أن تنشر القيم الليبرالية كما وعد الكاتب في كافة أنحاء العالم، يشهد العالم صعودا مطردا لحركات

مناوئة للديمقراطية الليبرالية مثل صعود الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط وكذا صعود الحركات اليسارية في أمريكا الجنوبية.

لاقت نظرية نهاية التاريخ انتقادا فكريا واسعا من قبل المنظرين وعلماء الاجتماع وهو ما سنحاول تلخيصه فيما يلي.

تتمثل نظريته في نظرة أحادية التوجه، ذلك أن تصوره لنهاية التاريخ بتقسيمه التاريخ الإنساني إلى مراحل ليست من بنات أفكاره، إنما هي إعادة صياغة وتمثُّل لفلاسفة سبقوه خاصة فيلسوفا القرن التاسع عشر الرائدين ماركس وهيجل، وعليه لا تعدّ نظريته وفقا لكثير من فلاسفة السياسة نظرية جديدة إبداعية بقدر ما هي تحيين وإعادة صياغة لما تمّ أثناء القرن التاسع عشر.

كما تم التعرض لنظريته من زاوية توجهها الإنساني، فتصوره للتاريخ البشري المتناسق ونهايته الحتمية إلى الدولة الليبرالية الديمقراطية بوصفها أرقى النماذج البشرية قد أخذ في الحسبان تاريخ الحضارة الغربية وحدها، مما جعل فلاسفة التاريخ يطرحون أسئلة تتعلق أساسا بـ "إنسانية" نظرة فوكوياما للتاريخ. وبذلك، يرى عدد من النقاد أنّها نظرية تتجاهل كافة المساهمات الكبرى التي تقدمت بها المجتمعات البشرية على مر التاريخ خاصة القديم منه، كما أنها تنفي بشكل قطعي أيه إمكانية لقيام بديل للحضارة الغربية بقيمها الليبرالية أو الديمقراطية في المستقبل المنظور أو البعيد.

وقد تعرضت تحاليل فوكوياما إلى نقد يتعلق بمنهجيتها، وذلك لاعتباره المجتمعات غير الغربية لا دور لها سوى أن تكون متغيرات تابعة 'dependent variables' لانتشار المؤسسات الغربية وقيمها. وكنتيجة لهذه النظرة الاختزالية، فإن تجارب الحضارة الغربية ستتم عولمتها بشكل مطلق. وقد جعلت هذه المنهجية فلاسفة التاريخ يصلون إلى حد اعتبار منهجية فوكوياما التحليلية للتاريخ منهجية ذاتية 'subjective' وقائمة على مركزية إثنية 'ethno-centric'. (Davutoglo, 1994, p. 1)

كما يعتبر عدد من النقاد أن نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما لا تعتمد على قوة فكرتها بقدر ما تعتمد على ظرف صدورها، ذلك لأنها تعتمد على نهاية الحرب الباردة وتفرّد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على العالم هيمنة كلية دون وجود أية قوة إيديولوجية كانت أو عسكرية يمكن أن تشكل مكافئا حقيقيا لها يضمن مقاسمتها النفوذ على العالم. هذه النقطة بالذات جعلت نظرية نهاية التاريخ لصاحبها فوكوياما لا تتسم –عند كثير من النقاد–بكونها بحثا فكريا أو حجة فلسفية بقدر ما هي وثيقة أصدرتها الليبرالية الأمريكية بعد انتصارها على الإيديولوجيا الشيوعية. (صفدي، 1994، صفحة 4).

وضمن هذا المعنى يرى صفدي أن نظرية نهاية التاريخ "خطاب أمريكي متعطش إلى إعادة التأسيس، ذلك أنه يفتقر إلى الأبنية الفكرية الكبرى، وتحت هذا الطلب الملح، عاد فوكوياما إلى الأسرة الأوروبية وانزرع في تربتها وانغرس في

عرينها الألماني خاصة" (صفدي، 1994، صفحة 6). وبهذا الوصف نزع صفدي عن نظرية نهاية التاريخ أحد أبرز مميزات الفلسفة السياسية ألا وهو الأصالة.

كما يرى عدد من النقاد أن فكرة كمال التاريخ ووصوله إلى مرحلة الانقضاء فكرة يمكن تقبلها من داخل منطق الفيلسوف الألماني هيجل، أما في حالة فوكوياما فهو يحاول أن يجعل التاريخ "ينتهي عند أمريكا" وهنا "يظهر الفخ الإيديولوجي الذي ينصبه لقرائه" فهو لا يناقش هذه النهاية بناء على قاعدة فكرية صلبة، بل يعدّها أمرا حتميا وواقعا. (صفدي، 1994، صفحة 19)

3-4-1 نظرية إسقاطية وقراءة موجهة للتاريخ:

إن أطروحة فوكوياما هي أطروحة إسقاطية تنطلق من انتماء واضح للنموذج الأمريكي المسيطر على العالم، ذلك أن تأليف الكتاب ورواجه تزامن مع القطبية الأمريكية وتفردها بزعامة العالم، وسعيها إلى الاستفادة القصوى من تهاوي الأنظمة الاشتراكية، واستغلال ذلك للمزيد من تعميق أزمة الفكر الاشتراكي وتحويله إلى فكر جامد أو ميت لا يقدر على تجديد نفسه. (ظاهر، 1998، صفحة 35)

تندرج نظرية فوكوياما وفقا لعدد من النقاد ضمن المقاربة الإنتهائية 'endism' الشائعة لدى الفلاسفة الغربيين، ذلك أنها تحاول تطوير تعاريف جديدة للدين والإيديولوجيا والتاريخ تطويرا يتماشى مع النظرة الاستعلائية للغرب. هذا التطوير عادة ما يضع نفسه ضمن إطار زماني ومكاني لا يتعدى الغرب المتمثل في أوروبا وأمريكا، فلا تسعى هذه المقاربة الإنتهائية إلا لتبرير استمرار الوضع القائم المتسم

فـي حالـة فوكوياما بهيمنـة أمريكـا وتفردهـا بقيـادة عـالم مـا بعـد الحـرب البـاردة. (Davutoglo, 1994, p. 4)

وبذلك وضع فوكوياما نفسه في موقع قبلي مسبق يحاول الدفاع عنه والبحث عن كل المسلكيات التي تؤكد صحة توجهات النظام الدولي الجديد؛ فهو ينظر إلى منطق الأشياء انطلاقا من مرجعية معينة تتمثل في تحليل الأحداث والتغيرات التي عرفها المجتمع المعاصر من خلال الانتماء إلى النموذج الأمريكي المهيمن، فتصبح الليبرالية الديموقراطية –تبعا لهذا الاتجاه– لا تناقش انطلاقا من بنيتها وعناصرها الداخلية سلبا وإيجابا، بل تتحول في نظر صاحب نهاية التاريخ إلى نموذج ناجح في صفته، بل لا يمكن تصور نموذج آخر أنجح منه، مع إغماض العين عن سلبيات هذا النموذج وتناقضاته الداخلية التي أفرزت مجموعة من الأزمات العالمية، خاصة أزمة العرقيات، وضحايا المجاعات والحصار باسم الشرعية الدولية التي أقامها هذا النظام نفسه. ناهيك عن نظرة فوكوياما إلى النظام الدولي الجديد على أساس مادي بمعزل عن الأساس الروحي الذي أصبح يغرق هو الآخر في أوحال أزمة خانقة، علما بأن التقدم المادي لأي نظام هو مسلك خادع على حد تعبير مؤرخ الحضارات أرنولد توينبي؛ وهكذا تكون قراءة فوكوياما للنظام الدولي الجديد قراءة موجهة، وتحليقاته في فضاء النظام الجديد تحليقات عرجاء وتخريجات إسقاطية مبنية على مواقف قبلية موجهة.

3-4-2 أطروحة فكرية في خدمة السياسة الأمريكية:

تنطلق أطروحة فوكوياما من إيديولوجية تبناها النظام الدولي في ظروف جديدة حتمت عليه الدخول في ترتيبات جديدة بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ودخول العالم منعطفا جديدا. ومعلوم أن كل نظام جديد يمثل منظومة فكرية متكاملة لا بد أن يستند على رؤية معرفية وغطاء فكري يبرراه ويروجان لديمومته، وهذا ما يفسر بروز مجموعة من النظريات التي صاحبت هذا التحول، من أكثرها شيوعا نظرية صموئيل هانتجتون القائلة بصدام الحضارات، ونظرية ما بعد الحداثة ونظرية تسارع التاريخ، وكلها نظريات روجت لفكرة الليبرالية الديموقراطية وحتمية سيادتها في النظام الدولي الجديد. ولم تخرج نظرية فوكوياما عن هذا المسار، إذا اتخذت على عاتقها مسؤولية الترويج لفكرة الإجماع العالمي حول مسألة الديموقراطية والالتفاف حول النظام الليبرالي كحل نهائي تنشده الإنسانية، وبذلك انتهت الحرب الباردة ومسألة الصراع الإيديولوجي لينتهي معها التاريخ. وهكذا يصبح فوكوياما مجرد أداة يستخدمها النظام الدولي الجديد وبوق دعاية لهذا النظام في مرحلته التأسيسية، وتتحول نظريته من نظرية فلسفية إلى خطاب سياسي إيديولوجي يبشر بأبدية الرأسمالية في ثوبها الجديد، وانتفاء إمكانية مناهضتها بسبب قوة المنتصر وديمومته وهزمه النهائي لنقيضه، وبالتالي فإن نهاية التاريخ تعني بالضرورة نهاية السياسة كما تعني نهاية الإيديولوجية، لأن التناقض لم يصبح حقيقة قائمة. (الدراج، 1999، صفحة 96)

نقطة الضعف المعترف بها في الأطروحة: رغم إصرار فوكوياما على صحة أفكاره ودفاعه المتواصل عنها، لم يجد مناصا من الاعتراف بما أجمع عليه النقاد حول نقطة ضعف أطروحته، وهي أن التاريخ لن ينتهي ما دامت العلوم الطبيعية المعاصرة لم تبلغ غايتها ونهايتها بعد، وأنه لا يمكن وضع حد للعلم، والعلم هو وحده الذي يقوم الصيرورة التاريخية. وبالتالي فإن التاريخ لن ينتهي في مجتمع لا يزال ينتج العلوم، بل إنه –باعتراف فوكوياما نفسه–تشكل اللحظة الراهنة زمنا متميزا تعرف خلاله البشرية صحوة تكنولوجية وتجديدا هائلا في شتى علوم الحياة، مما يشي ببداية تاريخ جديد سيستمر بعطاءات إنسانية جديدة وإبداعات بشرية خلاقة بدل أن يكون نهاية حتمية مزعومة. (Fukuyama, interview avec Fukuyama, 2004)

خلاصة الفصل الثالث

لم تحدث أي نظرية في العصر المعاصر، كما مر معنا، من الضجة والسجال الفكري مثل ما أحدثته نظرية نهاية التاريخ لاحبها فرانسيس فوكوياما. ولعل سبب ذلك في كونها نظرية تجد لها بعض التأسيس والتأصيل الفلسفي من جهة والديني السماوي من جهة ثانية. أي أن الديانات خاصة السماوية منها تؤمن بوجود مرحلة سينتهي إليها التاريخ البشري إن عاجلا أو آجلا. غير أن موضع الاختلاف هو أن الديانات السماوية تؤمن بنهاية سعيدة لأتباعها، بينما تؤمن الفلسفات المثالية بوجود مرحلة ما من التاريخ سيدرك خلالها البشر جميعا السعادة وذلك عند سواد القيم والمُثل الإنسانية بوصفها محركات أثبت التاريخ أن الإنسان قد ناضل لأجلها

خلال كل مراحل وجوده. ولعل أهم ما يميز نظرية فوكوياما هو كونها تبشر بحدوث هذه النهاية بمجرد انتصار الفلسفة الليبرالية على نظيراتها من الفلسفات وهو ما جعل النقاد وفلاسفة التاريخ يصفونها بكونها نهاية إيديولوجية تمهد لعولمة القيم الأمريكية وتحاول إسقاط القراءات الفلسفية الإنتهائية على أمر واقع هو هيمنة أمريكا بشكل مطلق على عالم ما بعد الحرب الباردة. لقد نفت هذه النظرية أية إمكانية لقيام أي جهد بشري آخر يمكن أن يواصل التجربة الإنسانية التاريخية وينتج منظومة أفكار يمكن أن ينتج عنها نظام آخر يحقق للبشرية القيم التي تبحث عنها من عدل ومساواة وتكافؤ فرص، مما جعل النقاد يصفون نهاية التاريخ وفقا لأطروحة فوكوياما بالأطروحة الاختزالية والإثنية التي لا يمكن أن تتماشى إلا مع الغرب الليبرالي. ومما لا شك فيه أن التعامل الترجمي مع مثل هذه النظرية سيطرح إشكالات كثيرة خاصة إلى اللغة العربية التي هي ناقل لقيم حضارة شرقية قد تصل إلى حد التناقض مع ما تبشر به الليبرالية، وهو ما سنتعرض له في الفصل التطبيقي الموالي.

الفصل الرابع: دراسة تحليلية ومقارنة للمدونة

تمهيد

لقد لاحظنا من خلال ما تناولناه في الفصل السابق أن كتاب نهاية التاريخ كتاب مفعم بالإيديولوجيا حتى أن أغلب الدارسين للمذاهب الفكرية والسياسية على وجه الخصوص اعتبروه محاولة لفلسفة أمر واقع هو انتصار الليبرالية على الشيوعية الشرقية. نعكف في هذا الفصل على رصد كيفية تأثير القناعات الإيديولوجية للمترجمين في ترجمة كتاب ذي صبغة إيديولوجية أصلا، حيث نبدأ بالتعريف بالمدونة (4-1)، مع التعريف بالترجمتين والمترجمين القائمين على إعدادهما، لننتقل إلى تبيان منهجية التحليل (4-2) لننتقل إلى تحليل النماذج (4-3) المتمثلة في ستة وثلاثين (36) نموذجا لنصل إلى خلاصة للفصل تكون حوصلة لما قمنا به (4-4).

4-1 التعريف بالمدونة

نعكف فيما يلي على التعريف بالمدونة التي اخترناها لبحثنا

4-1-1 ملخص المدونة

صدر كتاب The End of History And The Last Man عن دار The Free Press سنة 1992 لكاتبه فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama وهو كتاب يحمل تصورات

الكاتب لعالم ما بعد الحرب الباردة المتميز بانتصار الديمقراطية الليبرالية على الشيوعية وتفرد الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا بقيادة العالم.

يتكون الكتاب من خمسة أجزاء، يبيّن فيه الكاتب أن مفهوم نهاية التاريخ لا يقصد بها توقف استمرار الأحداث اليومية، بل هي نهاية لمفهوم التاريخ بشكل أوسع، تتعلق أساسا بتوقف تطور التجربة البشرية بشكل متصل ومتماسك، حيث أن مفهوم التراكم الحضاري وتعاقب الحضارات واستفادتها من بعضها قد أدرك حده النهائي بانتصار الديمقراطية الليبرالية الغربية. ويعتقد الكاتب أن هذا المفهوم يتطابق إلى حد كبير مع نظرة الفيلسوف الألماني هيجل، فالحياة ستستمر والأحداث اليومية ستتواصل لكن الذي انتهى هو أي تقدم أو أي إضافة لما وصلت إليه الليبرالية الغربية فيما بتعلق بالعقائد السياسية والمبادئ والمؤسسات.

يذكر الكاتب في معرض شرحه لنظريته أن ما شهده العالم عقب الحرب الباردة ليس نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى، بل هي تشبع نهائي للتاريخ بوصفه تجربة بشرية تقوم على التحسين والتطوير والتعديل والاستفادة من التجارب البشرية الأخرى، ويعلل ذلك بقوله أن قيم الديمقراطية الليبرالية الغربية تشكل أقصى وأفضل ما يمكن أن يصل إليه الفكر البشري عبر تاريخه الطويل.

4-1-2 تقديم فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama :

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما Yoshihiro Francis Fukuyama هو عالم وفيلسوف سياسي أمريكي من أصول يابانية، ولد يوم 27 أكتوبر 1952 في مدينة شيكاغو الأمريكية، تحصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد في عام 1979 بأطروحة حول مخاطر التهديدات السوفييتية الناتجة عن التدخل في الشرق الأوسط. يعمل فوكوياما منذ سنة 2010 في مركز الديمقراطية والتنمية وسيادة القانون بجامعة ستانفورد وعمل قبل ذلك أستاذا ومديرا لبرنامج التنمية الدولية بكلية الدراسات الدولية بجامعة جونز هوبكنز. تتمحور أطروحاته ومؤلفاته حول التنمية و السياسات الدولية ومن مؤلفاته كتاب نهاية التاريخ والانسان الأخير The End of history And The last Man، وكتاب 'النظام السياسي و الاضمحلال السياسي' Political Order and Political Decay، وكذا كتاب 'أصول النظام السياسي' The Origins Of Political Order.

4-1-3التعريف بالترجمات المعتمدة في الدراسة:

تتضمن المباحث الآتية تعريفا بالترجمات التي اعتمدناها في بحثنا.

4-1-3-1 تقديم ترجمة حسين أحمد أمين:

صدرت ترجمة حسين أحمد أمين بعنوان "نهاية التاريخ وخاتم البشر" عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة 1993، ويصرح المترجم باعتماده على الأصل الانجليزي وحده في النقل، دونما رجوع إلى أي من ترجمات الكتاب إلى اللغات

الأخرى. والملاحظ على هذه الترجمة التزام الكاتب ببنية الكتاب الأصلي كما جاءت دون إضافة أي مقدمة خاصة به، كما هو حال المترجمين عادة، حيث عادة ما تتضمن النسخة المترجمة للكتاب مقدمة خاصة بالمترجم تتضمن أساسا تعريفا بالكتاب والدوافع التي حرضته على ترجمته، وهو ما لا نجده في ترجمة حسين أحمد أمين.

4-1-3-2 تقديم ترجمة رضا الشايبي وفؤاد شاهين وجميل قاسم:

صدرت هذه الترجمة لكتاب فرانسيس فوكوياما سنة 1993 عن مركز الإنماء القومي ببيروت عاصمة لبنان. وعلى خلاف الترجمة السابقة، تتضمن هذه الترجمة تصريحا باعتماد المترجمين الثلاثة على الأصل الإنجليزي والترجمة الفرنسية للكتاب، ولعل ذلك ما يمكن اعتباره مؤشرا بالغ الأهمية بل قد يصلح عدُّه معيارا ذا تأثير بليغ على القرارات الترجمية التي سنحاول التعرف عليها عن كثب خلال التحليل. وقد أشرف على هذه الترجمة مطاع صفدي الذي يشغل في الوقت نفسه مديرا لمركز الإنماء القومي، دار النشر التي أصدرت الترجمة.

تتضمن هذه الترجمة مقدمة –على خلاف ترجمة حسين أحمد أمين–حرّرها الكاتب والمفكر مطاع صفدي، الذي أشرف على إعداد الترجمة. ويلاحظ قارئ هذه المقدمة أنها بمثابة نقد تفكيكي لنظرية فرانسيس فوكوياما بأكملها، حيث أن الكاتب مطاع صفدي لم يضمن مقدمته معلومات عن كاتب النص الأصلي وظروف كتابته

مثل نهاية الحرب الباردة وانتصار الولايات المتحدة، بقدر ما حاول إبطال نظرية نهاية التاريخ من منطلق فلسفي محض. وقد أكد مطاع صفدي في مقدمته، أن لغة الكتاب لغة إعلامية صرفة لكنها ذات طابع متفلسف من خلال الاستشهادات المتكررة بفلاسفة من طراز هيجل وتوكفيل وغيرهم.

4-1-4 تقديم المترجمين

نعرف فيما يلي المترجمين الذين قاموا على إعداد الترجمتين اللتين اتخذناهما مدونة لبحثنا.

4-1-4-1 التعريف بحسين أحمد أمين

هو ابن الكاتب والمؤرخ والأديب المصري أحمد أمين، ولد يوم 19 جوان 1932 بالقاهرة، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام 1953 ثم انتقل إلى دراسة الأدب الإنجليزي بجامعة لندن. اشتغل بأسلاك عديدة كالمحاماة والصحافة والسلك الدبلوماسي المصري، حيث عُيّن سفيرا سنة 1986. له العديد من المؤلفات من بينها "ألف حكاية وحكاية من الأدب العربي القديم" وكذا "دليل المسلم الحزين". كما اشتغل بالترجمة من الانجليزية الى العربية، وأهم ما ترجمه هو كتل فوكوياما الذي يشكل مدونة لدراستنا، وكذا كتاب "فضل الإسلام على الحضارة الغربية" لمؤلفه "مونتكمري واط".

توفي يوم 18 أفريل سنة 2014 بالقاهرة عن عمر يناهز 82 عاما

4-1-4-2 التعريف برضا الشايبي:

مترجم وفيلسوف تونسي، تحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون بباريس، درّس في المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية وعمل محاضرا مشاركا بغالبية الجامعات العربية مثل جامعة دمشق وجامعة القيروان. له العديد من المؤلفات من بينها كتاب "تاريخ الدولة العثمانية" وكذا مشاركته في إعداد ترجمة كتاب فوكوياما الذي يعتبر مدونة بحثنا. توفي إثر حادث مرور بتونس يوم 21 أكتوبر 2010.

4-1-4-3 مطاع صفدي:

فيلسوف ومفكر سوري ولد سنة 1929 بدمشق، وهو مؤسس مركز الانماء القومي. أظهر مطاع صفدي تأثرا بالفلسفة الوجودية منذ الخمسينات من القرن العشرين، وخاصة بالفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر، تبنى فكرة القومية العربية منهجا للتحرر الحضاري للعالم العربي، ونتمى الى حزب البعث العربي الاشتراكي. لكنه سرعان ما انسحب منه تنظيميا، مع محافظته على انتمائه الإيديولوجي للقومية منهجا للنهضة العربية. أقام مركز الإنماء القومي سنة 1981 ومجلة الفكر العربي سنة 1979 وهما المنبران اللذان كان يعبر من خلالهما عن فكره. توفي يوم 6 جوان 2016 مخلفا وراءه عدة مؤلفات فكرية وأدبية من بينها "فلسفة القلق" "الثورة في

التجربة" "استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية" و "نقد العقل الغربي: الحداثة ما بعد الحداثة" وقد تضمنت حياته التأليفية جملة من المؤلفات الأدبية من بينها "جيل القدر" "ثائر محترف" و "أشباح أبطال".

4-2 منهجية التحليل:

تتبني منهجيتنا على تحليل النماذج المختارة تحليلا مقارنا نحاول فيه الاعتماد على توجه الترجمتين صوب الأصل source oriented وصوب الهدف target oriented وذلك من خلال التعرف عن كثب على المعايير التي اعتمد عليها المترجمون لاتخاذ قراراتهم العملية.

ولعل اعتمادنا على المعايير الترجمية في التحليل مرده إلى اعتمادنا في الفصول النظرية على نظريات ترجمة الخطاب السياسي التي تعتمد على تحليل المعايير الترجمية منهجا للتعرف على سلوك مترجم الخطاب السياسي ومن بينها نظرية جدعون توري، ونظرية هرمانز، ونظرية تشسترمان. هذا التحليل المعتمد على المعايير الترجمية من شأنه أن يقودنا إلى معرفة تمثلات القناعات الإيديولوجية في الترجمتين المعتمدتين. يتضمن تحليلنا إشارة إلى بعض المفاهيم الواردة في نظريات الترجمة على غرار مصطلح "التكافؤ"، غير أن تركيزنا سيحاول أن ينصب على طريقة تعامل الترجمتين مع كتاب مفعم بالشحنة الإيديولوجية القائلة بتفرد الهيمنة الأمريكية على العالم وعدم قابلية الإنسانية لفكر جديد يمكن أن يضيف شيئا لما

توصلت إليه الحضارة الغربية. ومن بين النماذج التي سنحاول الاعتماد عليها نماذج التحليل النقدي للخطاب التي تعرضت لتحليل الخطاب السياسي، حيث أن النماذج المذكورة في الفصل النظري الأول من شأنها قيادتنا إلى التعرف على كيفية تعامل الترجمتين مع كتاب ذي صبغة إيديولوجية واضحة. وتجدر الإشارة إلى استخدامنا لعبارة "الترجمة 1" فيما يخص ترجمة حسين أحمد أمين وعبارة ''الترجمة 2" فيما يتعلق بترجمة كل من فؤاد شاهين ورضا الشايبي وجميل قاسم، وذلك على سبيل الاختصار على القارئ وعدم تكرار أسماء المترجمين في كل موضع من مواضع التحليل. وسيتضمن تحليلنا المتواضع بعض النقد وبعض الاقتراحات في حينها، خاصة على مستوى الألفاظ المختارة أو على مستوى الحذف إن حدث في أي من الترجمتين.

4-3 نماذج تحليل من المدونة

نركز فيما يلي على التحليل التطبيقي للنماذج التي وقع اختيارنا عليها لنرصد كيفية تأثير البعد الإيديولوجي على الترجمتين اللتين اخترناهما مدونة لبحثنا.

4-3-1 النموذج 1:

The End of History and The Last Man

الترجمة 1 "نهاية التاريخ و**خاتم البشر"**

الترجمة 2 ''نهاية التاريخ و**الإنسان الأخير"**

هو عنوان الكتاب الذي اخترناه مدونة لبحثنا، وقد جاءت ترجمته مختلفة كما هو واضح من خلال ما سبق، ومكمن الاختلاف في العبارة الأخيرة التي اختار لها فريق الترجمة المكون من فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي " الانسان الأخير"، فيما فضل حسين أحمد أمين عبارة "خاتم البشر".

تؤشر الترجمة 2 على اتجاه حرفي مبالغ فيه ارتضاه فريق الترجمة المكون من فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي ، ولعل مردّ ذلك إلى رغبتهم في نقل المعنى المراد مع المحافظة على شكله، وذلك يظهر في الصياغة التي يبدو أنها التزمت ببنية العنوان الأصلي للكتاب بل حتى بكلماته، فكلمة Man التي وردت في النص الأصل تدل على الإنسان من حيث هو لفظ قد يدل على الفرد كما قد يدل على الجماعة البشرية، حتى وإن كان اللفظ في ظاهره مفردا، فهو قد يدل على الجماعة البشرية، في هذا السياق، وهذا مما تقبل به أصول وقواعد اللغتين العربية والإنجليزية، فاللفظة الإنجليزية في هذا السياق تدل على الجماعة البشرية، وحتى وإن سلك في نقله المترجمون اتجاها حرفيا، فهو اختيار له ما يبرره بالنظر إلى أن اللغة العربية أو المتكلم باللغة العربية يعي أن لفظة "الإنسان" قد يراد بها البشري كاملا والأمثلة على هذا الاستعمال كثيرة، ويكفينا منها في هذا المقام أن نذكّر بأن سورة قرآنية حملت هذا الاسم "سورة الانسان" دالة بذلك على المفهوم الواسع لهذه اللفظة

الذي يشمل الإنسان الكبير والصغير والحي والميت والذكر والانثى والفرد والجماعة إلخ...

غير أن الكلمة الأخيرة في الترجمة 2 وهي كلمة "الأخير" توحي بمعنى متسع عند مقارنته باللفظ الوارد في النص الأصلي، ذلك أن الأخير في اللغة العربية من حيث الصياغة صفة لموصوف ما جاء في الأخير بمقارنته مع من سبقه في تلك الصفة. ثم، لدى أخذنا لمحة عن مضمون الكتاب وما ورد فيه من أفكار وتحليلات، يتضح لنا أن لفظة the last تدل على الجنس البشري الأخير الذي لن يكون بعده أي جنس بشري آخر أكثر تطورا منه أو على الأقل لن يكون هناك جديد تأتي به الجماعات البشرية الأخرى، مما يدلنا إلى افتراض أنه كان من الأفضل للمترجمين الثلاثة اختيار لفظ "الآخِر" من أجل تحديد تلك الصفة خدمة للغرض وهو تضمين النص المترجم أقرب المضامين تعبيرا من نظيره الأصلي.

ويظهر لنا في الترجمة 1 التي قام بها حسين أحمد أمين أن المترجم قد ابتعد عن النص الأصلي في العبارة الثانية مع أنه لم يتصرف في المعنى. يبدو أن المترجم قد تصرف في بنية النص الأصلي وذلك من خلال تحويرها من موصوف متبوع بصفة إلى صفة على وزن اسم الفاعل ثم مضاف إليه، وهذا الصوغ في اللغة العربية عادة ما يحيل إلى استئثار الفاعل بما أسند إليه، وفي هذه الحالة التي بين أيدينا كأن العنوان يقول إن هذا الذي في الكتاب المترجم هو الذي **سيختتم** المسيرة البشرية،

ولعل اختيار المترجم لدى ترجمته للفظة the last للصيغة الصرفية "اسم الفاعل" له ما يبرره بالنظر إلى أن بنيتها النحوية تدل على استئثار هؤلاء "البشر" بصفة الاختتام. ويجب في هذا المقام بالتحديد ألا نغفل ما للفظة "**خاتم**" من مكنون خاص يتمثل في الخلفية الثقافية للقارئ العربي وهي البعد الدينيّ على وجه التحديد، فـ "خاتم البشر" التي اختارها المترجم لنقل المعنى الذي أراده الكاتب الأصلي، وهو يبرهن على ختاميّة النموذج الأمريكي في الحياة، لها ما يبررها، ذلك أن القارئ يلاحظ أن عبارة "خاتم البشر" تتضمن استيحاءً لعبارة "خاتم النبيين" وهي عبارة قرآنية يستدل بها على أن النبي محمدا هو آخر الأنبياء. يقودنا ذلك إلى أن نفهم أن المترجم يحاكي هذه العبارة القرآنية لأجل جعلها مكافئا للمضمون الذي يتناوله الكتاب والذي يختصره عنوانه في هذه العبارة بالتحديد وما لها من إيحاءات.

بالمقارنة بين الترجمتين، يبدو أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف وذلك من خلال عملها على نقل أقرب عبارات النص الأصلي في قالب يجعله يبدو وكأنه نص مكتوب أصلا باللغة العربية، على خلاف الترجمة 2 التي تبدو متجهة صوب الأصل وذلك من خلال محافظتها –شكلا على الأقل–على بنية النص الأصلي. لعل ذلك له ما يبرره لدى المترجمين الثلاثة خاصة وهم يصرحون في بداية الترجمة أنها تمت بالاعتماد على الأصل الإنجليزي وعلى الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب ثم إذا أخذنا في الحسبان أن مُراجع الترجمة متخصص في العلوم السياسية والفلسفة

السياسية، نصل بذلك إلى أن كل هذه العناصر كانت بمثابة معايير أثرت بشكل واضح في توجه الترجمة نحو الأصل.

أما ترجمة حسين أحمد أمين، فمن الواضح أنها سعت إلى تقريب وجهة النظر المعبر عنها في الكتاب إلى القارئ العربي، وإذا علمنا أن البيئة التي سيتجه إليها الكتاب المترجم هي بيئة أدبية بشكل أو بآخر، فإن ذلك يقودنا إلى أن هذه الصفة الأدبية بالذات إذا ما أضيفت إلى عامل آخر وهو أنّ جمهور الترجمة القارئين هو المجتمع المصري في المقام الأول، وهو مجتمع أقل اطلاعا على اللغات الأجنبية من المجتمع الأول وهو المجتمع اللبناني فإن ذلك يمكن أن يكون بمثابة معايير اجتماعية ثم ثقافية أثرت على صياغة الترجمة.

لقد أثرت العوامل المهنية على ظهور الترجمة 1 متأثرة بمهنة القائمين عليها وبصفة خاصة المشرف عليها، بينما أثرت العوامل الإيديولوجية متمثلة في شقها الديني بصفة خاصة في ترجمة حسين أحمد أمين الذي فضل عبارة خاتم البشر.

4-3-2 النموذج 2:

‘ The wentieth century, it is safe to say, has made all of us into deep historical pessimists.

As individuals, **we can of course be optimistic** concerning our prospects for health and happiness. By long-standing tradition, Americans as people are said to be continually hopeful about the future. But **when we come to larger questions**, such as

whether there has been or will be progress in history, the veridict is decidedly different. **The soberest and deepest thinkers of this century** have seen no reason to think that the world is moving toward what we, in the West consider decent and humane political institutions-that is, liberal democracy-. Our deepest thinkers have concluded that there is no such thing as History- that is a meaningful order to the board sweep of human events. Our own experience has taught us, seemingly, that the future is more likely than not to contain new and unemagined evils, **from fanatical dictatorships** and bloody genocides to the banalization of life through modern consumerism, and the unprecedented disasters await us from nuclear winter to global warming. (Fukuyama 1992, 3-4)

الترجمة 1:

"يمكن القول في ثقة أن القرن العشرين قد **غرس فينا تشاؤما تاريخيا** عميقا.

باستطاعتنا –بطبيعة الحال كأفراد–أن نستشعر التفاؤل فيما يتصل **بتوقعاتنا** الخاصة عن الصحة والسعادة. **كذلك** يوصف الأمريكيون بأنهم دائما، وبحكم تكوينهم، متفائلون بالنسبة للمستقبل. غير أننا متى طرقنا موضوعات أوسع، كموضوع ما إذا كان أو سيكون ثمة تقدم في طيات التاريخ، وجدنا الإجابة مختلفة بكل تأكيد. فأكثر أهل القرن تعقلا وأعمقهم فكرا لم يروا سببا يدفعهم إلى الاعتقاد بأن العالم يتقدم نحو ما يراه الغرب مؤسسات سياسية انسانية فاضلة تمثلها الديمقراطية الليبرالية. وقد استخلص أعمق مفكرينا من ذلك أنه ليس ثمة ما يمكن أن ندعوه بالتاريخ، أي أنه ليس ثمة نظام له مغزاه يحكم تيار الأحداث البشرية واسعة النطاق،

والظاهر أن تجاربنا علمتنا أنه من الأرجح أن يحمل المستقبل في طياته شرورا جديدة لا يمكن تخيّلها، **كالديكتاتوريات القائمة على التعصب**، وعمليات الإبادة الدموية الجماعية، أو ابتذال الحياة بسبب غلبة الروح الاستهلاكية على المجتمع الحديث، وأنّ في انتظارنا كوارث لم تُعهد من قبل، بدءا بالشتاء النووي نتيجة استخدام الأسلحة النووية أو الاحترار العالمي بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض تدريجيا."

الترجمة 2:

"يمكن التأكيد دون أن نتعرض كثيرا للخطأ بأن القرن العشرين جعل منا جميعا متشائمين في العمق.

إننا كأفراد، نستطيع الاحتفاظ "بتفاؤلنا"، فيما يتعلق بآفاق الصحة والسعادة. هناك مثلا تقليد ثابت يجعل من الأمريكيين شهيرين لكونهم يحتفظون بالأمل المتعلق بمستقبلهم الشخصي، ولكن **عندما** نصل إلى مسائل أشمل من ذلك، كمثل ما إذا كان يقع التقدم في ماضي التاريخ، وكذلك في المستقبل، فإن الحكم يصبح مختلفا تماما. **فالعقول الأكثر اتزانا والأكثر جدية** في هذا القرن لم تجد أي سبب للاعتقاد بأن العالم يتجه نحو ما نعتبره في الغرب مؤسسات سياسة لائقة وإنسانية، أي الديمقراطية الليبرالية، لقد استنتج أكبر مفكرينا أنه لا يوجد شيء يشبه التاريخ، أي ما يشبه نظاما متماسكا ورشيدا في ورشة الأحداث الانسانية الواسعة. لقد علمتنا تجربتنا

الذاتية على ما يبدو، أن المستقبل يخفي مؤامرات جديدة لا يمكن تصورها أكثر مما يخفي شيئا آخر، بدء من **الأنظمة السياسية القوية** والمذابح الدامية وصولا إلى جعل الحياة مبتذلة بواسطة الاستهلاك الحديث، لم يسبق لها مثيل تنتظرنا، ابتداء من الشتاء النووي وانتهاء بالسخونة العامة للكرة الأرضية."

يورد الكاتب هذه الفقرة من كتابه في الجزء الأول المعنون "إعادة طرح أسئلة قديمة" وهي الفقرة الأولى من فصل "تشاؤمنا" وهو الفصل الأول من الجزء الأول من الكتاب الذي اخترناه ليكون مدونة لبحثنا. يتناول الكاتب في هذا الفصل الأسئلة الكبرى التي عكف علماء السياسة وعلماء العلاقات الدولية على الإجابة عليها، وهي أسئلة شغلت اهتمامهم حول الوضع الدولي طيلة القرن التاسع عشر. ويحاول صاحب الكتاب إعادة طرحها وافتراض أجوبة لها بناء على ما استجدّ من أحداث على الصعيد الدولي.

يبدو للمتناول للترجمتين بالتحليل أن الترجمة 1 قد تميزت بما يشبه الصبغة الأدبية وذلك من ناحية التعابير الواردة فيها. فنقل المترجم حسين أحمد أمين للعبارة الأولى بقوله "غرس فينا تشاؤما تاريخيا عميقا" يبدو ابتعادا عن خصوصية لغة العلوم السياسية التي تتميز بالأساس بلغة واقعية تقوم على تحليل الوقائع أكثر مما تميل إلى التعابير الأدبية التي يسمح فيها الأديب لنفسه بتصور المعاني وصياغتها في القالب الذي يريد. كذلك يبدو أن المترجم قد سار على هذا النهج عند ملاحظة

ترجمته لعبارة we can of course be optimistic حيث ترجمها وفق ما تقتضيه قواعد البلاغة العربية من إيجاز حيث عبر عنها بقوله "نستشعر التفاؤل" ثم ضمّنها جملة اعتراضية على سبيل من يرغب بالاحتفاظ بانتباه القارئ وتركيزه وهو منهج القدماء من الكُتّاب.

غير أن نزعة المترجم الأدبية التي هي ظاهرة في ترجمته قد كان لها بعض من العودة غير الدقيقة إلى لغة النص الأصلي، فهو يعبر عن prospects بقوله "توقعات" وذلك ما يبدو تعبيرا غير كامل الدقة عن المعنى الذي أراده كاتب النص الأصلي وهو معنى الآمال و الطموحات أو المطامح أو المشاريع التي يخطط لها الإنسان المتعلقة بحياته الخاصة أو حياته العائلية.

وسمح المترجم لنفسه أن يضيف **"كذلك"** رغم عدم وجود ما يوحي برغبة الكاتب في الإضافة أو الربط بين هذه الجملة والجملة السابقة لها، ولعل ذلك له ما يبرره إذا ما أخذنا في الحسبان إضفاء التناسق على النص، حيث أن السياق هنا يسمح لكاتب النص الأصل عدم إظهار أداة الربط، بينما السياق العربي يفترض في الكاتب هذا الإضفاء. ولقد تميزت كذلك ترجمة حسين أحمد أمين بميلها إلى التكافؤ خاصة على المستوى النحوي منه حيث ترجم عبارة « The soberest and deepest thinkers of our century » بقوله **"أكثر أهل القرن عقلا وأعمقهم فكرا"**، حيث أن صيغة أفعل التفضيل في هذا المقام أدت الوظيفة نفسها لما جاء في النص الأصلي،

دون أن نغفل البنية التي صيغت فيها هذه الفكرة حيث أتبعها المترجم بالتمييز رغبة في التعبير عن تفوّق المفكرين في صفة عمق أفكارهم. غير أن عبارة "أكثر...عقلا" تبدو على نحو من الغموض خاصة وأنّنا نعلم أن صفة العقل صفة مشتركة لدى كل البشر، وربّما يفيد في هذا المقام وصف "التعقّل" ذلك أنه وصف أكثر تعبيرا عن الاتّزان ورويّة الفكر، وهو المعنى الذي يبدو كاتب النص الأصلي معبّرا عنه.

ويسعى المترجمون في الترجمة 2 إلى نقل هذه الفقرة متخذين في ذلك منهجا غير المنهج السابق، فلغة تعبيرهم أقرب إلى اللغة الواقعية الإعلامية التي تميّزت بها لغة النص الأصلي. غير أنّ بعضا من الملاحظات يجد القارئ نفسه يلاحظها تظهر بالتحديد لدى تناول المترجمين للجملة when we come to larger questions حيث تم التعبير عنها بأداة "عندما"، وهي أداة من العادة أن يتم استخدامها في اللغة العربية للتعبير عن الزمن مع تضمنها معنى الشرط. وإذا دققنا في النص الأصلي في عبارته هذه بالتحديد فإننا نلاحظ أن الكاتب يقصد الشرط أكثر مما يقصد التعبير عن الزمن، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الاستعاضة عن when بالأداة if. من خلال ذلك، يبدو أن المترجمين قد انتبهوا إلى هذه الجزئية عن طريق التعبير عن المعنى بأداة تجمع بين الشرط والزمن، على سبيل الرغبة في احداث تكافؤ على مستوى هذه الجزئية.

ونلاحظ كذلك على المترجمين توجههم نحو محاكاة التعابير التي جاءت في النص الأصلي، على غرار تعبيرهم عن صيغة التفاضل التي حاولنا تناولها بالتحليل في الترجمة1 بقولهم **"الأكثر اتّزانا والأكثر جدية"** وهو ما يبدو ابتعادا عن صيغة أفعل التفضيل التي تملك اللغة العربية قاعدة في التعبير عنه، ويبدو هذا الابتعاد في صيغة **"الأكثر جدية"**، حيث الجدية صفتها الجادّ وأفعل تفضيلها "الأجدّ"، كأن يقول المترجمون هنا "أجدّ المفكرين في هذا القرن"، وذلك من قبيل التمثيل منّا لا من قبيل اصدار الحكم. غير أن ذلك لم يمنع في الترجمة 2 من ظهور بعض الإشارات التي تدل على نوع من التكافؤ، كما هو الحال لدى ملاحظة أول عبارة في الجملة الثانية، **"إننا كأفراد نستطيع الاحتفاظ بتفاؤلنا"** حيث اتخذ المترجمون قرار التعبير عن **of course** باستخدام أداة التوكيد "إنّ" وذلك ما يبدو تكافؤا على مستوى الأسلوب التعبيري.

يتراءى لنا لدى افتراض توجه النصين إلى قارئ عربي لا يعرف اللغة الإنجليزية أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف وذلك ما يظهر من خلال لجوئها إلى إضافة أداة الربط لإضفاء التناسق وإخراج النص في صبغة وكأنها عربية أصلا، غير أن ذلك أثر على الطابع الأصلي للنص الأصلي الذي يبدو نصا سياسيا فكريا بلغة أقرب ما تكون إلى القراء العاديين، ولعل ما يقف وراء ذلك هي المعايير الاجتماعية والثقافية في مصر التي تحافظ على نظرتها إلى الترجمة كعمل ذي

خصوصية أدبية بالدرجة الأولى وهو ما كان له الأثر الواضح في الترجمة1. خلافا لذلك، بدت الترجمة 2 أكثر محافظة على النص الأصلي وهي بذلك متجهة صوب الأصل، وذلك يظهر لدى تناولنا للغتها التي اقتربت من لغة وسائل الإعلام المعبرة باللغة العربية إلى حدّ ما، ومع ذلك ظهرت بعض المؤشرات في الترجمة 2 توحي بتوجهها نحو التكافؤ، وذلك ما يبدو في المثال الذي سبق التطرق إليه. ويبدو أن هناك نوعا آخر من التكافؤ على مستوى الترجمة 2 يبدو في المستوى العام للغة الترجمة حيث كانت أقرب إلى لغة وسائل الإعلام، كما هو الحال مع لغة النص الأصلي التي هي مبتعدة عن التعابير الأدبية الصرفة.

وأما من ناحية إيديولوجيا الترجمتين، فإن الترجمة 01 قد توجهت صوب المحافظة على المعاني الواردة في النص الأصلي دونما أي تغيير فيها وخاصة لدى قول الكاتب 'fanatic dictatorships' حيث أن المترجم في الترجمة 01 قد نقلها مستخدما المعنى المعجمي للوحدات اللغوية المستخدمة في هذا التعبير. خلافا لذلك توجهت الترجمة 02 صوب التحريف الكامل لهذا النص وذلك من خلال تحويره على مستوى هذه العبارة من موقف سلبي يتخذه الكاتب من الأنظمة السياسية التي يتوقع نشوءها ونماءها إلى موقف إيجابي تماما حيث أن المترجمين نقلوا عبار الدكتاتورية التي هي وصف نقدي سلبي للأنظمة التي يتوقع المؤلف نشأتها إلى قولهم 'الأنظمة السياسية القوية' وهو ما يمكن اعتباره تحويرا أدى إلى تحريف المعنى بشكل كامل.

ويرجع ذلك فيما يبدو على الاتجاه اليساري الذي ينتمي إليه المترجمون الثلاثة بالإضافة إلى المشرف على الترجمة، حيث أن وصف الدكتاتورية في الأدبيات السياسية الامريكية خصوصا عادة ما يرد في توصيف الأنظمة ذات التوجه الشيوعي اليساري. لقد أدى هذا التحوير إلى التحريف الكامل للمعنى بناء على معطيات إيديولوجية صرفة فيما يبدو.

4-3-3 النموذج 3:

'The extreme pessimism of our century is due at least in part to the cruelty with which these earlier expectations were shattered. The First World War was a critical event in the undermining of Europe's self-confidence. The war of course brought down the old political order represented by the German, Austrian, and Russian monarchies, but its deeper impact was psychological. Four years of indescribably horrible trench warfare, in which tens of thousands died in a single day over a few yards of devastated territory, was, in the words of Paul Fussel, « a hideous embarassement of the prevailing Helionist myth which had dominated public conciousness for a century », reversing « the idea of progress ». The virtues of loyalty, hard work, perserverence, and patriotism were brought to bear in the systematic and pointless slaughter of other men, thereby discrediting the entire bourgois world which had created these values. (….) The notion that the industrial progress of Europe could be turned to war without moral redemption or meaning led to bitter denunciations of all attempts to find larger patterns or meaning in history. Thus, the renowned British historian H.A.L Fisher could write in 1934 that « Men wiser and more learned than I have discerned in history a plot, a rhythm, a predetermined pattern. These harmonies

are concealed from me. I can see only one emergency following upon another as wave follows upon wave.' (Fukuyama 1992, 5)

الترجمة 1:

" ويرجع التشاؤم المتطرف في قرننا هذا –جزئيا على الأقل–إلى قسوة انهيار تلك المطامح السابقة وتبدد تلك التطلعات. وقد كانت الحرب العالمية الأولى عاملا حاسما في زعزعة ثقة أوروبا بنفسها. صحيح أن الحرب أسقطت النظام السياسي القديم الذي كانت تمثله الامبراطوريات الألمانية والنمساوية والروسية، غير أن تأثيرها الأعمق كان نفسيا. فسنوات أربع من حرب خنادق مروعة على نحو يفوق الوصف شهدت مصرع عشرات الآلاف خلال يوم واحد منها من أجل بضع ياردات من أرض خراب، كانت –على حد تعبير بول فوسير–"نقضا رهيبا محرجا لخرافة ميليور الشائعة التي ظلت لمدة قرن بأكمله تهيمن على وعي الجماهير"، وعكست "فكرة التقدم". وقد استغلت فضائل الولاء والعمل الجاد والمثابرة والوطنية في عمليات قتل الآخرين بطريقة منظمة وخالية من أي معنى، بحيث أفقدت الناس الثقة في العالم البرجوازي كله الذي خلق مثل هذه القيم. (...). ففكرة استغلال التقدم الصناعي في أوروبا في شن حرب لا مبرر لها ولا معنى من الأخلاقيات، أدت إلى استنكار مرير لكافة المحاولات الساعية إلى استنباط المعنى أو الأنماط الأكبر في التاريخ. وكان بوسع المؤرخ البريطاني الشهير هـ.أ.ل فيشر أن يكتب عام 1934 فيقول "لقد رأى

أناس أكثر مني حكمة وعلما أن في التاريخ خطة وإيقاعا منتظما ونمطا محددا، وكلها أمور خافية عني. كل ما أراه في التاريخ هو حدث طارئ يتبع حدثا طارئا كما تتتابع الأمواج في البحر."

الترجمة 2:

"إن التشاؤم الكبير في عصرنا يرجع جزئيا على الأقل إلى الصدمة القاسية العائدة إلى الخيبة التي لاقتها تلك التوقعات. فالحرب العالمية الأولى قد وضعت موضع الشك ثقة أوروبا بنفسها وذلك بشكل جذري. إذ أنها أطاحت بالنظام السياسي القديم الذي كانت تمثله الأنظمة الملكية النمساوية والألمانية والروسية، ولكن الصدمة الأكثر عمقا التي أحدثتها كانت أساسا ذات طابع نفساني. فتلك الحرب مثلت أربع سنوات من المجزرة الوحشية في حرب خنادق، حيث كان يموت عشرات الألاف من الأشخاص في اليوم الواحد من اجل بضعة أمتار مربعة من الأراضي المكتسحة، هذه السنوات الأربع شكلت بحسب كلمات فوسيل "تناقضا رهيبا في أسطورة التحسن المضطرد التي سيطرت على الوعي العام خلال قرن"، وهدما قلب "فكرة التقدم". لقد سخرت فضائل الإخلاص والعمل المضني والمثابرة والوطنية في خدمة المذبحة المنتظمة والعبثية بحق الناس الآخرين، مما أفقد الثقة بالعالم البرجوازي الذي خلق هذه القيم. (...). إن الفكرة القائلة بأن التقدم الصناعي في أروبا يمكن أن ينحرف باتجاه حرب لا خلاص فيها ولا مبرر أخلاقي لها، هذه الفكرة أدت إلى استنكار

مرير لكل المحاولات من أجل إيجاد نماذج أكبر أو دروس في التاريخ. هذا وقد كتب المؤرخ الانكليزي المشهور فيشر عام 1934 ما يلي "بعض الناس الأكثر حكمة والأكثر ثقافة مني ميزوا في التاريخ مسارا أو وتيرة أو صورة محددة مسبقا. هذه المطابقات تبقى خفية بنظري. لم أستطع أن أرى إلا طارئا آخر كما تلي الموجة الموجة الأخرى."

يواصل المترجم حسين أحمد أمين الابتعاد عن لغة النص الأصلي رغم عدم ابتعاده عن المعاني التي يعبر عنها. ولعل ذلك ما يبدو من خلال لجوئه إلى الاطناب و التفصيل لدى ترجمته لعبارة 'expectations were shattered " فيقول معبرا عنها "انهيار تلك المطامح السابقة وتبدد تلك التطلعات"، ويبدو أنه تعبير أدبي بلاغي بامتياز فضّل فيه المترجم التعبير من خلال استخدام الاستعارة، وسيرا على منهج المترجم الذي فضله، فكان من الأفضل أن يعبر عن فكرة at least in part بقوله ولو بشكل جزئيّ، غير أنه ارتأى التعبير بقوله "جزئيا على الأقل" مما يؤشر على اقترابه من التوجه نحو الأصل في هذه العبارة على الأقل. وبالإضافة إلى ذلك، اتخذ المترجم قرار التعبير عن monarchies بقوله "الامبراطوريات" وهي ترجمة متحررة من النص الأصلي ولكن بشكل زائد نوعا ما، ذلك أن مصطلح "الإمبراطورية" لا يدل على نظام سياسي معين له خصوصياته التي تميزه عن غيره، بل هو وصف للدول القوية التي تتميز بسعة المساحة الجغرافية. كان هذا القرار الذي اتخذه المترجم

تحررا من الأصل ولكن بشكل زائد خاصة إذا علمنا أن الأمر يتعلق بمصطلح ينتمي إلى تخصص العلوم السياسية –وهي تخصص هذا الكتاب– تتطلب ترجمته تحريّا للدقة.

ثم واصل المترجم تعريب النص الأصلي وذلك من خلال ترجمته لصيغة indescribably من خلال تعويضها بقوله "على نحو يفوق الوصف" وهو أمر يمكن وصفه بالتكافؤ الذي حصل على المستوى الصرفي، فعدم وجود صيغة صرفية لترجمة اللفظة الإنجليزية في هذا السياق على الأقل أدى بالكاتب إلى تحوير هذه الكلمة إلى قوله "على نحو يفوق الوصف". في جل المواضع التي يمكن ملاحظتها لدى التحليل يبدو أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف، غير أن هذا التوجه صوب الثقافة المستهدفة وهي الثقافة العربية في هذا المقام كان له بعض ما يعتريه من توجه عكسي نحو الأصل وهو ما يظهر من خلال التعبير عن نظرية فلسفية من خلال قول المترجم "خرافة ميليور"، ويبدو أن الحفاظ على توجه النص صوب الثقافة المستهدفة كان يقتضي تفسيرا لهذه "الخرافة" أو على الأقل التهميش لها لشرحها للقارئ العربي، وهو ما لم يحدث.

وتبدو الترجمة 2 متجهة صوب الأصل وذلك من خلال ملاحظة ترجمة الجملة الأولى التي فضّل فيها المترجمون أن يفتتحوها بأداة التوكيد "إنّ" رغم عدم ورود ما يوحي برغبة الكاتب في التأكيد على المعنى، ربما سعيا إلى محاكاة الجملة

الأصلية التي كانت إسمية. ويظهر كذلك توجه الترجمة 2 صوب الأصل من خلال قول المترجمين للتعبير عن فكرة فقدان الثقة لدى أروبا بقولهم "قد وضعت موضع الشك ثقة أروبا بنفسها" وهي عبارة تبدو قريبة إلى الأصل من الناحية البنائية، ويبدو من الأفضل تأخير كلمة "موضع الشك" حتى يبدو التعبير متوسطا بين الأصل والترجمة.

رغم هذه المؤشرات التي توحي بتوجه الترجمة 2 نحو الأصل، إلا أنّ ترجمتهم لما عبر عنه المترجم الأول بـ "خرافة ميليور" كان له توجه نحو الهدف من خلال قولهم "أسطورة التحسن المضطرد" التي اتخذ فيها المترجمون قرار التعبير عن هذه الفكرة من خلال معناها.

وفي آخر هذا النموذج، فضل المترجمون مكافئة أداة الربط الإنجليزية thus من خلال قولهم "هذا، وقد كتب المؤرخ الإنجليزي المشهور..." وهو أمر يدل على فهمهم للرابط الموجود بين الجملتين في النص الأصلي، غير أنّ ما حال دون تحقيق المكافئة بين النصين الأصل والمترجم على مستوى هذا الموضع هو أن أداة الربط في النص الأصل تدل على علاقة أقرب ما تكون بالسببية، وما يؤيد ذلك هو أن الأمر في هذه الجملة يتعلق باقتباس من مؤرخ، فكأنه تبرير من الكاتب للفكرة التي يعبر عنها، وبذلك كان يمكن للمترجمين المحافظة على الرابط الموجود في النص الأصلي والتعبير عنه تعبيرا أدقّ بحيث لا يغفل تعبيرهم الفعل المساعد could الذي

يبدو أنه ذو دور مفتاحي في الجملة مثل أن يقولوا "ولعل هذا ما دفع المؤرخ البريطاني المشهور إلى أن يقول..".

توجهت الترجمة 1 نحو الهدف في مجملها من خلال تحررها من النص الأصلي تحررا شبه تام غير أن هذا التحرر من النص الأصلي كان له بعض الاختلالات تظهر أساسا في نقل المترجم لعبارة "خرافة ميليور" نقلا حرفيا لا يتضمن أية إشارة لمعناها، وعلى خلاف ذلك توجهت الترجمة 2 نحو الأصل من خلال محاكاتها لبنى النص الأصلي من جهة، ومن جهة أخرى سعيها إلى المحافظة على الروابط المنطقية دون الاجتهاد في التعبير عنها تعبيرا يجعلها تقترب من البنى العربية.

4-3-4 النموذج 4:

'Indeed, **the belief in the legitimacy and permanence of communism took on a number of bizzare forms** in the waving days of the Cold War. **One prominent student** of the Soviet Union maintained that the Soviet system had, under Brenzhnev, acheived what he called « institutional pluralism », and that « the Soviet leadership almost seems to have made the Soviet Union closer to the spirit of the pluralist model of American political science than is the United States… ». Soviet society, pre-Gorbachev, « was not inert and passive but 'participatory' in amlost all sense of the term », with a greater proportion of Soviet citizens « participating » in politics than in the United States. The same kind of thinking charecterized some scholarships on Eastern Europe, where, despite the obviously imposed nature of communism, many scholars saw a tremendous social stability. One specialist asserted in 1987 that « if we

were now to compare (the States of Eastern Europe) to many countries in the world – for example to a number of Latin American cases- they would seem epitomes of stability », and criticized the traditional image of « an illigitimate » party… counterpoised against a necessarily hostile and unbelieving populace ».

While some of these views represented a projection of the recent past into the future, many of them rested on a judgment concerning the *legitimacy* of communism in the East. That is, for all of the undeniable problems of their societies, communist rulers had worked out « a social contract » with their peoples, of *the sort satirized in the Soviet saying that* 'they pretend to pay us and we pretend to work'. These regimes were neither productive nor dynamic, but were said govern with a certain degree of consent from their populations because they provided security and stability »'. (Fukuyama, 1992: 10).

الترجمة 1:

" والواقع أن الإيمان بشرعية ودوام الشيوعية قد اتخذ عددا من الأشكال الغريبة إبان **أفول** الحرب الباردة. فقد **ذهب أحد الخبراء البارزين** بالشؤون السوفييتية إلى أن النظام السوفييتي في ظل بريدجنيف قد حقق ما أسماه بالتعددية في المؤسسات، وأن "الزعامة السوفييتية جعلت فيما يبدو الاتحاد السوفييتي أقرب من الولايات المتحدة إلى روح النمط التعددي المعروف في العلوم السياسية الأمريكية"...فالمجتمع السوفييتي قبل عهد جورباتشوف "لم يكن خاملا ولا سلبيا، وإنما كان مشاركا بكل معنى الكلمة تقريبا" وكان المواطنون السوفييت "يشاركون" في

السياسة مشاركة تفوق مشاركة الأمريكيين فيها. **وإننا لنلمح نفس النمط من التفكير** في كتابات عدد من الخبراء في شؤون أروبا الشرقية. فالكثيرون منهم–**بالرغم مما هو واضح من أن الشيوعية كانت** مفروضة على أقطارها– كانوا يرون في تلك الأقطار استقرارا اجتماعيا عظيما. وقد أكد أحد الخبراء في عام 1987 "أننا لو قارنّا (دول أروبا الشرقية) بكثير من دول العالم (وعلى سبيل المثال بعدد من أقطار أمريكا اللاتينية) فإن تلك الدول الأولى ستبدو مثالا يحتذى من أجل الاستقرار". وانتقد ذلك الخبير الفكرة التقليدية عن حزب غير شرعي مفروض على شعب معاد له، وغير مصدق لادّعاءاته.

بعض هذه الآراء تمثل –بكل بساطة–إسقاطا للماضي القريب على المستقبل. غير أن الكثير منها يقوم على مفهوم خاص بشرعية الشيوعية في أقطار الشرق. فمع كل المشاكل المعترف بوجودها في تلك المجتمعات الشيوعية، فإن حكامها قد توصلوا إلى **إبرام** "عقد اجتماعي" مع شعوبهم، **من النوع الذي يسخر** منه المثل السوفييتي القائل "الحكام يتظاهرون بأنهم يدفعون أجورا لنا، ونحن نتظاهر بأننا نعمل" فلم تكن هذه الانظمة لا **بالمنتجة** ولا بالدينامية. ومع ذلك فالبعض يزعم أنها اعتمدت في حكمها على درجة معينة من رضا الجماهير بالنظر إلى تهيئتها الأمن والاستقرار لها."

الترجمة 2:

" وفي حدود نهاية الحرب الباردة **ارتدى الإيمان بشرعية وديمومة الشيوعية أشكالا** متعددة وغريبة. **وهناك اختصاصي بارز** في الاتحاد السوفياتي قد اعتبر جديا أن النظام السوفياتي قد حقق **تحت حكم بريجنيف** ما يسميه **"بالتعددية المؤسساتية"** وأن "**الهيمنة السوفياتية** (يبدو) أنها قربت الاتحاد السوفياتي من النموذج التعددي للعلم السياسي الأمريكي أكثر مما فعلت الولايات المتحدة..." فقبل غورباتشيف لم يكن المجتمع السوفياتي "جامدا ولا سلبيا وإنما مشاركا بكل ما للكلمة من معنى تقريبا" وبنسبة من المواطنين المشاركين في الحياة السياسية تفوق نسبة المشاركين في الولايات المتحدة. **التحليل نفسه ينطبق على أروبا الشرقية**، حيث أن الكثيرين من الاختصاصيين، وبالرغم من الطابع الجبري ظاهريا للشيوعية لم يروا إلا استقرارا اجتماعيا مدهشا حقا. وقد أكد أحد هؤلاء الاختصاصيين عام 1987 قائلا "لو أردنا الآن مقارنة (دول أروبا الشرقية) مع بلدان كثيرة في العالم (مثلا مع عدد كبير من دول أمريكا اللاتينية)، فقد تبدو لنا بالتأكيد أنها نماذج للاستقرار"، كما أن الاختصاصي نفسه كان بالتالي ينتقد الصورة التقليدية "للحزب اللاشرعي الذي يبقي تحت الضغط شعبا هو بالضرورة معاد ومشكّك".

كانت بعض هذه الآراء تمثل مجرد اسقاط للماضي القريب في المستقبل، ولكن عددا كبيرا منها كان يرتكز على حكم يتعلق بشرعية الشيوعية في الشرق. فالقادة الشيوعيون، بالرغم من كل مشاكلهم الحقيقية، قد نجحوا في إقامة "عقد

اجتماعي" مع شعوبهم **يمجّده** المثل السوفياتي القائل "يتظاهرون بالدفع لنا ونحن نتظاهر بأننا نعمل". لم يكن لهذه الأنظمة **إنتاجية** ولا دينامية، بل اشتهرت بأنها تحكم متمتعة بدرجة معينة من الرضا من قبل شعوبها لكونها توفر لها الأمن والاستقرار."

تواصل ظهور نوع من غلبة الطابع الأدبي القديم على الترجمة 1 من خلال تناولها لهذا الأنموذج، ولعل ذلك ما يظهر عند الانتباه إلى ترجمة الجملة الأولى من هذا النص حيث يود الكاتب التعبير عن غرابة التبريرات التي سيقت لوصف الدول ذات النظام الشيوعي بأنها تملك أنظمة دينامية، فعبّر المترجم عن ذلك بقوله " اتخذ عددا من الأشكال الغريبة إبان أفول الحرب الباردة"، وكلمة الأفول توحي بتعبير أدبي بلاغي في اللغة العربية له من الإيحاءات الشيء السلبي، فأفول الشمس يعني غروبها وهو يعني نوعا من الخوف لقدوم الليل مثلا، وأفول النجم عند القدماء هو اختباء النجم وراء السحب وبذلك فقدان ما الدليل على الطريق، فالأفول يُساق في اللغة العربية عادة للتعبير عن شيء ثمين أو على الأقل ذي أهمية، وليس الأفول إذن للتعبير عن حدث مهم سيرتاح منه البشر وسيخلصهم من تشاؤمهم وهو الحرب الباردة، إضافة إلى أن النص الأصلي بعيد عن التعابير الأدبية.

وذهب المترجم كذلك في ابتعاده عن النص الأصلي إلى حد التعبير عن لفظ student بقوله "أحد الخبراء البارزين"، وهو بذلك يُبعد المعنى الأصلي الذي يبدو أن

الكاتب أراد سوقه من خلال هذا، فهو لا يجد أي حرج في الاستدلال برأي أحد "الطلبة المتفوقين"، فأغفل المترجم بذلك هذه الجزئية. ويتواصل المنهج الأدبي الذي اختاره المترجم من خلال قوله "إننا لنلمح نفس النمط من التفكير..." رغم عدم ظهور أي من الضمائر التي تدل على حضور الكاتب في النص الأصلي، وتلك في اللغة الإنكليزية من السمات البارزة في النص العلمي التجريدي وقد أغفل المترجم هذه الجزئية، من خلال لجوئه إلى ضمير المتكلم "نحن" في قوله "إننا لنلمح" الذي يُمكن وضعه في إطار التعبير الأكاديمي المعاصر باللغة العربية، غير أنّ ما يحول دون وضعه في سياق التعبير الأكاديمي هو استخدامه لأداتين من أدوات التوكيد "إن" ثم "لام التوكيد" وهي سمة قريبة نوعا ما من التعبير الأدبي. وقد زادت الجملة الاعتراضية –بالرغم مما هو واضح من أن الشيوعية– زادت الترجمة 1 قربا من التعبير الأدبي على حساب اللغة التجريدية للعلوم السياسية. وزاد المترجم في ذلك من خلال ترجمته لمصطلح productive بقوله "منتجة" وهو مما يبدو تخليا عن سمة بارزة وعنصر محوري في هذا النوع من النصوص وهو المصطلح.

وقد ظهر في الترجمة 2 ما يوحي أنها متجهة صوب الهدف من خلال تعبيرها عن الجملة الأولى بقول المترجمين "ارتدى أشكالا متعددة وغريبة" وهو يبدو تعبيرا أدبيا، غير أن المترجمين تخلوا عن هذا المنهج في باقي الأنموذج الذي نحن بصدده. ويبدو ذلك التخلي من خلال قولهم "اختصاصي بارز" للتعبير عن الطالب

الذي أراد الكاتب الاستدلال برأيه، وهي ترجمة بالمعنى غير أنها أقرب إلى المعنى الذي أراده الكاتب بالمقارنة مع الترجمة 1 على هذا المستوى. وتبدو كذلك هذه الترجمة متقيدة بمعيار التخصص الذي يتميز به هذا النص وذلك من خلال تحري الدقة في ترجمة المصطلحات مثل "التعددية المؤسساتية" institutional pluralism وكذا قولهم "إنتاجية" لترجمة productive.

تواصل توجه الترجمة 01 نحو المحافظة على ما جاء من معان في النص الأصلي دونما أي محاولة للتأثير فيها، وخلافا لذلك تسببت إيديولوجيا المترجمين القائمين على إعداد الترجمة 02 في التحريف الكامل للنص على مستوى عبارة *the sort satirized in the Soviet saying that* فقد نقلتها الترجمة 01 بكلمة الساخرة بينما اختارت الترجمة 02 كلمة يمجّدها. ولا شك أن أي قارئ عربي يعرف جيدا الفرق بين كلمة التمجيد والسخرية. إنه تغيير واضح وتحوير واضح لمعنى النص الأصلي لا يمكن ان يجد له أي تفسير –فيما يبدو–سوى في المعطى الإيديولوجي اليساري الذي ينتسب إليه المترجمون الثلاثة.

4-3-5 النموذج 5:

« Underlying this belief in the dynamism of the totalitarian states was a profound lack of confidence in democracy. This lack of confidence was manifested in Kirkpatrick's view that few of the currently non-democratic countries in the Third World would be able to democratize successfully (the possibility of a communist regime democratizing being discounted entirely), and Revel's belief that the strong

and established democracies of Europe and North America lacked the inner conviction to defend themselves. Citing the numerous economic, social, and cultural requirements for successful democratization, Kirkpatrick criticized as typically American the idea that it was possible to democratize governments anytime and anywhere. The idea that there could be a democratic center in the Third World was a trap and an illusion; experience taught us that the world was divided between *authoritarians of the Right and totalitarians of the Left.* Revel, for his part, repeated in the much more extreme form of the criticism originally made by Tocqueville that democracies have great difficulties sustaining serious and long-term foreign policies. They are hamstrung by their very democratic nature; by the plurality of the voices, the self-doubt and self-criticism that characterize democratic debate. Hence, 'as things stand, relatively minor causes of discontent corrode, disturb, unsettle, paralyze, the democracies faster and more deeply than horrendous famine and constant poverty do the communist regimes, whose subject peoples have no real rights or means of redressing their wrongs. Societies of which permanent criticism is an integral feature are the only livable ones, but they are also the most fragile. » (Ibid, 09).

الترجمة1:

"وإننا لنلمح وراء هذا الإيمان بدينامية الدول الشمولية افتقارا عميقا إلى الثقة في الديموقراطية. وقد ظهر ضعف الثقة هذا في قول كيركباتريك إنه لن يكتب النجاح إلا لقلة قليلة من دول العالم الثالث غير الديموقراطية إن هي سعت إلى تبني النظام الديموقراطي (أما احتمال عودة دولة شيوعية إلى الديموقراطية فهو عند

كيركباتريك غير قائم أصلا). كما يظهر ضعف الثقة في الديموقراطية في قول ريفيل إن الديموقراطيات المستقرة القوية في أوروبا وأمريكا الشمالية ينقصها الاقتناع الباطني للدفاع عن نفسها. وقد أشارت كيركباتريك إلى الشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العديدة للأخذ بالديموقراطية بنجاح، فانتقدت فكرة إمكان تحويل نظم الحكم في أي وقت وأي مكان إلى نظم ديموقراطية، واصفة إياها بأنها نموذج للأفكار الأمريكية البحتة. أما عن فكرة إمكان خلق محور مركزي للديموقراطية في العالم الثالث، فهي عندها فخ ووهم حيث إن التجربة علمتنا أن العالم قد انقسم إلى دول **شمولية يمينية ودول شمولية يسارية**. أما ريفيل فهو يكرر من جانبه – وبصورة أكثر تطرفا–الانتقاد الذي سبق لتوكفيل أن ذكره من أن الديموقراطيات تجد صعوبات خطيرة في سبيل انتهاج سياسات خارجية جادة على مدى طويل. فطبيعتها الديموقراطية ذاتها تشل مساعيها، بسبب تعدد الأصوات فيها، وعدم الثقة في النفس، والنقد الذاتي، وهي أمور تميّز المناقشات الديموقراطية. وبالتالي "فإن أسبابا تافهة نسبيا للسخط قد تزعزع وتقلق وتربك وتشل الديموقراطية على نحو أسرع وأعمق مما تتسبب فيه المجاعات و الفقر المستمر في الأنظمة الشيوعية التي لا تتمتع فيها الشعوب بحقوق ملموسة ولا تملك الوسائل لدفع الظلم عن نفسها. إن المجتمعات التي يكون النقد الدائم فيها جزءا لا يتجزأ من سماتها هي وحدها الخليقة بأن يحيا الانسان فيها. غير أنها في نفس الوقت أكثر المجتمعات عرضة للكسر."

الترجمة 2:

"إن ما كان يدفع إلى الإيمان بدينامية الدول التوتاليتارية هو عدم الثقة العميقة

بالديمقراطية. وعدم الثقة هذا ما كان يظهر عند كيركباتريك من خلال فكرة أن القليل من البلدان غير الديمقراطية في العالم الثالث لا تستطيع التحول إلى الديمقراطية بنجاح –فإمكانية تحول النظام الشيوعي إلى الديمقراطية كانت مستبعدة كليا–، (ويظهر عدم الثقة كذلك) عند ريفيل من خلال فكرة ان الديمقراطيات المتجذرة في أوروبا و أمريكا الشمالية لم يكن لديها القوة ولا القناعة الذاتيتان لحماية أنفسها. فكيركباتريك عندما تعدد الشروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للتحول الديمقراطي الناجح كانت تنتقد الفكرة النموذجية الأمريكية القائلة إنه من الممكن إجراء التحول الديمقراطي في جميع الحكومات وفي كل العصور. ففكرة احتمال وجود قطب ديمقراطي في العالم الثالث كانت فخا ووهما، لأن التجربة علمتنا أن العالم كان منقسما بين ديكتاتوريات يمينية **ودول قوية يسارية**. أما ريفيل من جانبه فيجدد بشكل أكثر جذرية الانتقادات التي أجراها توكفيل في الأصل، والتي تقول إن الديمقراطيات تجد صعوبة كبرى في اعتماد سياسات خارجية جدية وإلى أمد طويل، وما يعيق هذه السياسات هو طبيعتها الديمقراطية بالذات، أي تعدد الآراء والشك والنقد الذاتي التي يتميز بها الجدل الديمقراطي. وهكذا "ففي الحالة الراهنة، هناك أسباب للاستياء قليلة

نسبيا، تشحذ وتقلق وتخلخل وتشل الديمقراطيات أكثر وأعمق مما يقوم به الجوع المخيف والفقر المدقع للأنظمة الشيوعية حيث لا يتمتع مواطنوها بالحقوق الفعلية ولا بالوسائل لتقويم الاخطاء التي تجري بحقهم. فالمجتمعات التي يشكل الانتقاد المستمر جزءا لا يتجزأ منها هي الوحيدة القابلة للحياة، ولكنها أيضا الأكثر عرضة للاهتزاز". "

يواصل المترجم في الترجمة 1 الإصرار على التعبير باستخدام ضمير المتكلم "نحن" مضيفا بذلك مؤشرا آخر على ابتعاد ترجمته عن اللغة التجريدية التي تميز بها النص الأصلي، وهو ابتعاد جعل من نصه يبدو وكأنه نص أدبي. ولعل ما يؤيد ذلك هو تعبيره عن رأي كيركباتريك الذي استخدم له كاتب النص الأصلي كلمة view من خلال استعماله لعبارة "قول كيرباتريك" وهو تعبير يبدو أنه يدل على توجه النص نحو الهدف، ذلك أنّ التعبير عن الرأي بكلمة "القول" من صميم الوعاء الثقافي للغة العربية، وكلمة القول عادة ما يكثر استعمالها في لغة الفقه. ويبدو في الترجمة 1 مؤشر آخر يدل على قرار المترجم تعريب النص الأصلي أي جعله يبدو وكأنه عربي أصلا من خلال اختياره لمصطلح "الشمولية" للتعبير عن مصطلحين مختلفين وردا في النص الأصلي للتدليل على أنموذجين من نماذج الحكم، وكان بإمكان المترجم اللجوء إلى ترجمة معنى أحدهما على الأقل من خلال قوله مثلا

"التسلطية" لترجمة authoritarian، غير أن ما يبدو أنه حال دون ذلك هو عدم شيوع هذا المصطلح عند المتكلمين باللغة العربية.

ويبدو المترجم احيانا مكتفيا بالترجمة الحرفية وذلك ما يظهر من خلال نقله لعبارة inner conviction نقلا حرفيا قائلا "الاقتناع الباطني" رغم أنها تبدو غريبة.

فالمعنى على ما يبدو في سياق النص الأصلي هو اقتناع الديمقراطيات الكبرى بنفسها واكتفاؤها بقوة طرحها، غير أن المترجم اكتفى بالنقل الحرفي هنا وهو اتجاه صوب الأصل.

وتبدو الترجمة 2 مقتربة من خصوصية لغة العلوم السياسية من خلال تغييبها لأي من الضمائر، وهي بذلك تبدو محتفظة بالخاصية التجريدية للغة النص الأصلي. ويبدو أن الترجمة 2 في اقترابها من الأصل وصلت حد الاقتراض على الأقل لمصطلح هام هو "توتاليتارية" الذي يبدو غريبا على القارئ العربي من غير المتخصصين في العلوم السياسية، ولعل ذلك مرده إلى مرحلة المراجعة التي مرت بها الترجمة والتي قام بها متخصص في العلوم السياسية، كما هو ظاهر في المعلومات البيبليوغرافية للمدونة. كما تكرر توجه الترجمة 01 نحو المحافظة على معنى النص دونما أي محاولة للتأثير فيه من قريب أو من بعيد خاصة لدى تناوله للعبارة *authoritarians of the Right and totalitarians of the Left.* . فقد ساوى المترجم كما الكاتب بين الاتجاهين اليميني والشمالي في أوصاف الدكتاتورية. ولعل مرد ذلك

على مستوى الترجمة 01 كون المترجم لا يحمل فيما يبدو أيّ معطى إيديولوجي تجاه التيارين السياسيين اليمين والشمال. خلافا لذلك فإن الاتجاه السياسي اليساري للقائمين على إعداد الترجمة 02 قد أثر أثرا بليغا على مستوى هذه العبارة، فقد سلك المترجمون منحى تحريفيا آخر من خلال نقلهم لكلمة totalitarian of the left بقولهم 'الدول اليسارية القوية' وهو تحريف واضح لا يجد له أي مبرر فيما يبدو سوى الاتجاه السياسي اليساري للمترجمين الثلاثة بالإضافة إلى المشرف على إعداد الترجمة.

وظهر على الترجمة 2 تناسق ملحوظ سعيا من المترجمين إلى المحافظة على الروابط الموجودة في النص الأصلي، غير أن هذا التناسق يبدو أقل ظهورا من الترجمة 1 التي يبدو أن القائم بها سعى إلى جعل النص عربيا خالصا.

4-3-6 النموذج 06

The pessimism of the present **with regard to the possibility of progress in history** was born out of two separate but parallel crises: **the crisis of the twentieth century politics, and the intellectual crisis of Western rationalism**. The former killed tens of millions of people and forced hundreds of millions to live under new and more brutal forms of slavery; the latter left liberal democracy without the intellectual resources with which to defend itself. The two were interrelated and cannot be understood separately from one another. On the one hand, the lack of intellectual consensus made the wars and revolutions of this century more ideological and therefore more extreme than they would otherwise have been. The Russian and Chinese revolutions and the Nazi conquests during the second World War saw the return, in a magnified form, of the kind of brutality that characterized the religious

wars of the sixteenth century, for what was at stake was not just territory and resources, but the value systems and the ways of life of entire populations. On the other hand, the violence of those ideologically driven conflicts and their terrible outcomes had a devastating effect on the self-confidence of liberal democracies, whose isolation in a world of totalitarian authoritarian regimes led to serious doubts about the universality of liberal notions of right. (Fukuyama 1992, 11-12)

الترجمة 1

" لقد نشأ تشاؤمنا الراهن **بصدد احتمال تقدم التاريخ** نتيجة أزمتين مستقلتين وإن كانتا متوازيتين: **أزمة السياسة في القرن العشرين، والأزمة الفكرية في المذهب العقلي الغربي. فأما الأولى فقد تسببت في مصرع عشرات الملايين، وأجبرت مئات الملايين على العيش في ظل أشكال عديدة من العبودية أشد قسوة. وأما الثانية فقد خلفت الديموقراطية الليبرالية دون الأسلحة الفكرية اللازمة للدفاع عن نفسها.** وقد كانت الأزمتان مترابطتين **ولا يمكن فهم أيهما دون أخذ الثانية في الاعتبار.** فمن ناحية، نرى أن الافتقار إلى الاجماع الفكري قد جعل حروب هذا القرن وثوراته يغلب عليها الطابع والإيديولوجي، ومن ثم جعلها أشد تطرفا مما كان يمكن أن تكون عليه لولا الافتقار إلى هذا الاجماع. وقد شهدت الثورتان الروسية والصينية والغزوات النازية خلال الحرب العالمية الثانية، عودة ظهور ذلك النمط من الوحشية الذي ميز الحروب الدينية في القرن السادس عشر، **ولكن على نحو أضخم وأفظع.** ذلك أن الخطر في قرننا لم يكن يتهدد الأراضي ومصادر الثروة وحدها، وإنما كان يتهدد القيم وأساليب الحياة لدى شعوب بأسرها. ومن ناحية أخرى، فإن العنف في تلك

الصراعات القائمة على الإيديولوجيات ونتائجه الوخيمة، كان له أثره المدمر في ثقة الديموقراطيات الليبرالية في نفسها، وهي التي أدت بها عزلتها وسط عالم من الأنظمة الشمولية والديكتاتورية إلى إثارة شكوك خطيرة في عالمية مفاهيمها الليبرالية عن الحق". (فوكوياما، 1993، صفحة 28)

الترجمة 2

" إن التشاؤم الحالي **المتعلق بسيرورة التاريخ** قد نشأ عن أزمتين مختلفتين لكنهما متوازيتان: **أزمة القرن العشرين الغربية والأزمة الفكرية للعقلانية الغربية. فالأزمة الأولى أهلكت عشرات الملايين من الأشخاص وأجبرت مئات الملايين على العيش تحت أشكال جديدة أكثر قساوة من العبودية، أما الأزمة الثانية فتركت الديمقراطية الليبرالية دون المواد الفكرية الضرورية للدفاع عن نفسها. والأزمتان كانتا متربطتين ولا يمكن فهمهما بشكل منفصل.** فمن جهة، جعل النقص في التوافق الفكري في الحروب الثورات في عصرنا أكثر إيديولوجية، وبالتالي أكثر عنفا مما كان يجب أن تكون عليه: فالثورتان الروسية والصينية والغزوات النازية خلال الحرب العالمية الثانية شهدت العودة **بشكل أكثر تضخيما للوحشية القاسية** التي تميزت بها الحروب الدينية للقرن السادس عشر، لأن المسألة لم تكن تتعلق فقط بالأراضي والموارد، وإنما بأنظمة القيم وأنماط عيش شعوب بأكملها. ومن جهة أخرى، فإن عنف هذه النزاعات الذي ولدته الإيديولوجيا ونتائجها المرعبة كان له أثر مدمر على

ثقة الديمقراطيات الليبرالية بأنفسها، حيث أن عزلتها في عالم الأنظمة المتسلطة والتوتاليتارية أدت إلى التشكيك الجدي بشمولية المفاهيم الليبرالية للحق." (فوكوياما، 1993، صفحة 44)

ما يمكن ملاحظته على هذا النموذج هو توجه الترجمة 01 صوب المحافظة على مراد الكاتب الأصلي وذلك من خلال قول صاحبها "لقد نشأ تشاؤمنا الراهن بصدد احتمال تقدم التاريخ" حيث قصد من خلال هذا المقطع المحافظة على ما أراده الكاتب الأصلي بقوله 'progress in history' كما حافظ المترجم على مراد الكاتب الأصلي بقوله 'أزمة القرن العشرين السياسية' حيث كانت أسباب التشاؤم وفقا للكاتب الأصلي بالممارسة السياسية عموما وقد توجهت الترجمة 01 صوب الهدف بقول صاحبها 'على نحو أضخم وأفظع' حيث تمت ترجمة صيغة الـ superlative الإنجليزية بما يقابلها في اللغة العربية وهو أفعل التفضيل. خلافا لذلك، توجهت الترجمة 02 صوب الانحراف بالمعنى خاصة لدى قول القائمين عليها "إن التشاؤم الحالي المتعلق بسيرورة التاريخ"، حيث أن لفظة سيرورة لا تفي بالغرض الذي أراده كاتب النص الأصلي بقوله progress حيث قصد رصد المنحى التراكمي لمفهوم التاريخ الذي يؤدي وفقا لما أراد في عنوانه إلى بلوغ التاريخ مرحلة الكمال و'النهاية' غير أن الترجمة 02 أفقدت النص هذا المعنى بقول القائمين عليها "سيرورة" حيث توحي هذه الكلمة باستمرار التاريخ في سيره الطبيعي دون أن يدرك أية مرحلة من الكمال

والنهاية التي أرادها له كاتب النص الأصلي. كما اتخذت الترجمة 02 منحى انحرافيا آخر بقولها "أزمة القرن العشرين الغربية" حيث أوحت للقارئ أن المتسبب في التشاؤم هو الأزمة الغربية أي الغرب عموما رغم أن الكاتب الأصلي قد حدد صفة الأزمة بشكل دقيق بكونها سياسية.

لقد كانت الترجمة 01 أكثر حرصا على الوفاء لمضمون النص الأصلي من الترجمة 02 التي اتخذت مسارا انحرافيا على مستوى المصطلحات التي هي بمثابة مصطلحات مفاتيح لنظرية فوكوياما في نهاية التاريخ، ولعلّ ذلك له ما يبرره خاصة إذا أخذنا في الحسبان الخلفية اليسارية للمترجمين الثلاثة القائمين على الترجمة 02.

4-3-7 النموذج 07

The current crisis of authoritarianism did not begin with Gorbachev's *perestroika* or **the fall of the Berlin Wall**. It started over one and a half decades earlier, with the fall of series of rightwing **authoritarian governments in Southern Europe**. In 1974 the Caetano regime in Portugal was ousted in an army coup. After a period of instability verging on civil war, the socialist Mario Soares was elected prime minister in April 1976, and the country has seen peaceful democratic rule ever since. The colonels who had been ruling Greece since 1967 were ousted also in 1974, giving way to the popularly elected Karamanlis regime. And in 1975, General Francisco Franco died in Spain, **paving the way for a remarkably peaceful transition to democracy two years later**. In addition, the Turkish military took over the country in September 1980 as a result of the terrorism engulfing its society, but returned the country to civilian rule by 1983. Since then, all of these countries have held regular, free, multi-party elections. The transformation that occurred in Southern Europe in less than a decade was remarkable. These countries had earlier been seen as the black sheep of Europe, condemned by their religious and authoritarian traditions to reside outside the

mainstream of democratic Western European development. And yet by the 1980s each country had made a successful transition to functioning and stable democracy, so stable in fact that (with the possible exception of Turkey) the people living in them could hardly imagine the situation being otherwise. (Fukuyama 1992, 13)

الترجمة 01

" لم تبدأ الأزمة الراهنة في الأنظمة الشمولية لا ب 'برويسترويكا' جورباتشوف **ولا بسقوط سور برلين.** وإنما بدأت قبل ذلك بأكثر من خمسة عشر عاما بسقوط عدد من **الحكومات الاستبدادية اليمينية في جنوب أوروبا. أطاح انقلاب عسكري بنظام كايتانو في البرتغال.** وبعد فترة من عدم الاستقرار كادت تؤدي إلى حرب أهلية، **انتخب ماريو سواريش رئيسا للوزراء في ابريل 1976، وغدت البلاد منذ ذلك الحين تتمتع بحكم ديموقراطي هادئ.** كذلك فإنه في عام 1974 سقط نظام الكولونيلات الذين حكموا اليونان منذ عام 1967، **وحل محله نظام كارامانليس بعد انتخابات شعبية.** وفي عام 1975، توفي الجنرال فرانشيسكو فرانكو **ممهدا الطريق بذلك لفترة انتقالية هادئة للغاية قامت الديموقراطية بعد عامين منها.** وبالإضافة إلى ذلك، استولى العسكريون على الحكم في تركيا في سبتمبر 1980 نتيجة للإرهاب الذي عم المجتمع، غير أنهم أعادوا البلاد إلى الحكم المدني عام 1983. **ومنذ ذلك الحين وكل هذه الدول تشهد انتخابات حرة ومتعددة الأحزاب. وقد كان هذا التغير الذي حدث في أوروبا الجنوبية في أقل من عشرة أعوام تغيرا مثيرا.** فقد كانت هذه الدول تعتبر في الماضي بمثابة **الشاة السوداء في**

أوروبا. وكأنما كان مقضيا عليها بسبب تقاليدها الدينية والاستبدادية أن تبقى بمعزل عن التيار الرئيسي للتغير الديمقراطي في أوروبا الغربية. ومع ذلك فإنه بحلول الثمانينات كانت كل دولة قد نجحت في الانتقال إلى ديموقراطية مستقرة فعالة، وبلغ الاستقرار فيها (ربما باستثناء تركيا) درجة أصبحت شعوبها معها عاجزة عن تصور احتمال أن تكون الأوضاع فيها بخلاف ما هي عليه اليوم." (فوكوياما، 1993، صفحة 29)

الترجمة 2

"لم تبدأ أزمة الدول التسلطية الراهنة مع برويسترويكا غورباتشوف **أو مع سقوط جدار برلين**. لقد بدأت في الواقع قبل سبعة عشر عاما، مع انهيار سلسلة من **الأنظمة المتسلطة اليمينية في جنوب أوروبا (المتوسطية)**. ففي العام 1974 **طُرد نظام كايتانو (خليفة سالازار) في البرتغال بواسطة انقلاب عسكري**. وبعد فترة من عدم الاستقرار وخطر الحرب الأهلية، **انتخب الاشتراكي ماريو سواريز رئيسا للوزراء في نيسان أبريل من عام 1976، ومنذ ذلك الحين حُكم البلد ديمقراطيا وسلميا**. وفي العام نفسه أي 1974 طُرد الكولونيلات الذين كانوا يحكمون اليونان منذ العام 1967، **تاركين المكان لنظام قسطنطين كرمنليس الشعبي جدا**. وفي العام 1975 توفي الجنرال فرانكو في إسبانيا بعد ديكتاتورية طويلة. ولإكمال الجدول استلم العسكريون السلطة في تركيا في أيلول سبتمبر 1980 لمحاربة الإرهاب الذي اجتاح

البلاد، ولكنهم أعادوا السلطة إلى الحكومة المدنية في عام 1983. **وبعد ذلك راحت تجري انتخابات شبه منتظمة وحرة في هذه البلدان على أساس التعددية الحزبية. كان انقلاب أوروبا الجنوبية (المتوسطية) في أقل من عشر سنوات مدهشا.** إذ كانت هذه البلدان سابقا معتبرة **شاذة في أوروبا**، وكانت محكومة بسبب تقاليدها الدينية والتسلطية أن تبقى على هامش التيار الديمقراطي وتطوره في أوروبا الغربية. إلا أن كلا منها في الثمانينات أجرى –ما عدا تركيا–انتقاله إلى الديمقراطية المستقرة والفعلية، مستقرة إلى حد أنه يتعذر على سكانها التصور أن الوضع كان يمكن أن يكون مختلفا." (فوكوياما، 1993، صفحة 45)

ما تزال الترجمة 01 على مستوى هذا النموذج محافظة على مراد الكاتب الأصلي خاصة بحديثه عن الانتقال الديمقراطي الذي خلف وفاة فرانكو في اسبانيا حيث حافظ المترجم على هذه العبارة الجزئية المهمة قائلا "**ممهدا الطريق بذلك لفترة انتقالية هادئة للغاية قامت الديموقراطية بعد عامين منها**" حيث أدت دور الحفاظ على ما أراد الكاتب الأصلي وهو تبيان أن المجتمعات الغربية تقبل الديمقراطية وتنتقل إليها بشكل سلس مهما طالت عهود الاستبداد فيها. وخلافا لذلك توجهت الترجمة 02 صوب حذف هذه العبارة مما أثر في مراد الكاتب الأصلي، حيث أن هذه الجزئية من الأهمية بمكان في توضيح رؤية كاتب النص الأصلي المركزة على قابلية المجتمعات الغربية للانتقال نحو الديمقراطية. لقد أثر هذا الحذف في وفاء

الترجمة 02 لمقصود الكاتب الأصلي، من خلال حذف عبارة "الانتقال" كما هي في النص الأصلي والترجمة 01، ولعلّ حذفها مقصود من المترجمين لأنها عبارة توحي بأفضلية ظروف الدول الغربية عامة للانتقال نحو الديمقراطية.

4-3-8 النموذج 08

'In Retrospect, we have had difficulty perceiving the depths of the crisis in which dictatorships found themselves due to mistaken belief in **authoritarian systems** to perpetuate themselves, or more broadly, in the viability of strong states. The state in a liberal democracy is by definition weak: preservation of a sphere of individual rights means a sharp delimitation of its power. Authoritarian regimes on the Right or the Left, by contrast, have sought to use the power of the state to encroach on the private sphere and to control it for various purposes –whether to build military strength, to promote egalitarian social order, or to bring about rapid economic growth. What was lost in the realm of individual liberty was to be regained at the level of national interest' (Fukuyama 1992, 15)

الترجمة 01:

"**وبوسعنا أن ندرك من موقعنا اليوم**، كيف كان من الصعب علينا في الماضي التحقق من أبعاد أزمة الديكتاتوريات بسبب اعتقادنا الخاطئ بأن في **إمكان الأنظمة الاستبدادية** الاستمرار في الحكم، أو بمعنى أوسع اعتقادنا الخاطئ في بقاء الأنظمة القائمة على القوة على قيد الحياة دوما. فالدولة في الديمقراطيات الليبرالية ضعيفة بطبيعتها، حيث أن الإبقاء على مجال من الحريات الفردية يعني فرض قيود ثقيلة على سلطانها. أما الأنظمة الشمولية يمينيّة كانت أو يسارية، فقد كانت تسعى إلى استخدام قوة الدولة للاعتداء على مجال الحريات الفرديّة والتحكم فيه من أجل تحقيق

أهداف شتى، كزيادة القوة العسكرية، أو إرساء دعائم نظام اجتماعي تسوده المساواة، أو تحقيق نموّ اقتصادي سريع، بحيث يمكن تعويض الخسارة في مجال الحريّة الفرديّة بمكاسب على صعيد الأهداف القومية."

الترجمة 02:

"**وإذا عدنا إلى الوراء**، لاحظنا انه كان من الصعب علينا أن ندرك العمق الحقيقي للأزمات التي اصطدمت بها الديكتاتوريات وذلك بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن **الأنظمة السلطوية** قادرة على الاستمرار وأنّ الدول القوية عادة قابلة للحياة طويلا. الدولة في الديمقراطية الليبرالية هي تحديدا ضعيفة، فالحفاظ على مجال الحقوق الفردية يفترض تحديدا دقيقا لسلطتها. حاولت الأنظمة المتسلطة اليمينيّة واليسارية على الدوام استخدام هيمنة الدولة في مجال المصالح الفرديّة والسيطرة عليها بشكل دقيق، وذلك لأهداف مختلفة، إما لبناء قوة عسكرية وتطوير نظام اجتماعي على أساس المساواة، وإما لإحداث نمو اقتصادي سريع، فكل ما فُقد في مجال الحريات الفردية يمكن أن يُعوّض على صعيد المصلحة القومية."

تواصل الترجمة 01 على مستوى هذا النموذج وفاءها لمراد الكاتب الأصلي حيث أنها نقلت عبارة authoritarian regimes بقولها "الأنظمة الاستبدادية" وهو مصطلح سياسي يعني الدول القائمة على الحكم الفردي أو على واحدية التصور، وتشمل هذه العبارة في الأدبيات السياسية الغربية عموما والأمريكية على وجه الخصوص

الأنظمة القائمة على حكم عسكري أو أنظمة الحزب الواحد الشيوعية كما هو الحال في الاتحاد السوفياتي أو الصين. ولقد وُفّق المترجم في الحفاظ على مراد كاتب النص الأصلي عند وصفه لهذه الأنظمة بالاستبداية حيث أن كلمة الاستبداد في اللغة العربية تعني الانفراد بالرأي أو الحكم. خلافا لذلك توجهت الترجمة 02 صوب تلطيف هذه العبارة من خلال قولها "الأنظمة السلطوية" ومعروف أن وصف هذه الأنظمة بـ "السلطوية" لا يؤدي ما أراد كاتب النص الأصلي بقدر ما يوحي بقوة مركز اتخاذ القرار في السلطة سواء كانت مدنية أو عسكرية. إن اختيار المترجمين لعبارة "سلطوية" ليطرح عددا من التساؤلات خاصة إذا علمنا أن كاتب النص الأصلي ينتمي إلى مراكز البحث السياسي الأمريكية التي تصف بالاستبداد والدكتاتورية كل الأنظمة التي تخالف النهج الغربي التعددي في الحكم بما فيها الأنظمة الشيوعية التي يبدو أنها تلقى تعاطفا من مترجمي الترجمة 02 لأنهم ذوو ميول يسارية كما هو واضح من خلال مقدمة ترجمتهم.

4-3-9 النموذج 09:

A dictator's legitimacy can spring from a variety of sources: from personal loyalty on the part of pampered army, to an elaborate ideology that justifies his right to rule. In this century, the most important systematic attempt to establish a coherent, right wing, non-democratic, non-egalitarian principle of legitimacy was fascism. **Fascism was not a "universal"** doctrine like liberalism or communism; insofar that it denied the existence of a common humanity or equality of human rights. Fascist ultra-nationalism maintained that the ultimate source of legitimacy was race or nations, specifically, the right of "master races" like the Germans to rule other people. Power and will were extolled over reason or equality, and were considered titles to rule in

themselves. Nazism's assertion of German racial superiority had to be actively proven through conflict **with other cultures**. War was therefore a normal rather than a pathological condition. (Fukuyama 1992, 16)

الترجمة 01

إن شرعية الدكتاتور قد تنبثق من مصادر عديدة كالولاء الشخصي من جانب جيش مدلل أو أيديولوجية محكمة تبرر حقه في الحكم. وقد كانت الفاشية في قرننا هذا أهم محاولة منظمة لإرساء دعائم مبدأ الشرعية، وهو في آن واحد مبدأ يميني متناسق غير ديموقراطي وغير ملتزم بالمساواة. **فالفاشية لم تكن عقيدة عامة كالليبرالية أو الشيوعية** بالنظر إلى أنها تنكر وجود إنسانية مشتركة أو مساواة في حقوق الإنسان. وقد ذهبت الفاشية المغالية في نزعتها القومية إلى أن المصدر الأول للشرعية هو الجنس أو الأمة، وحق الأجناس السادة أو الأرقى والتي لها الغلبة كالألمان في حكم الشعوب الأخرى. فالقوة والإرادة فوق العقل والمساواة وهما فيحد ذاتهما مبرران للحكم. **وكان على النازيين أن يثبتوا بجلاء –وهم في سبيل الصراع مع الثقافات الأخرى**–التفوق العنصري للألمان، وبالتالي فقد كانت الحرب عندهم حالة طبيعية لا حالة مرضية.

الترجمة 02

يمكن لشرعية الدكتاتور أن يكون لها أصول متنوعة بدء من إخلاص الجيش المحاط بالعناية لشخصه وانتهاء بالإيديولوجيا التي تبرر حقه في الحكم. فأهم محاولة

منتظمة في عصرنا لإقامة مبدأ متماسك للشرعية، ذات اتجاه يميني قائم على عدم الديمقراطية وعدم المساواة كانت الفاشية، **عقيدة "شمولية" كالشيوعية والليبرالية** لأنها ترفض وجود إنسانية مشتركة كما ترفض المساواة في الحقوق بين الناس. فالقومية الفاشية المتطرفة تعتبر العرق أو الأمة المصدر الأول للشرعية وبالتحديد حق بعض "أعراق الأسياد" كالألمان مثلا في قيادة الشعوب الأخرى. وكان يجري إعلاء السلطة والقوة فوق العقل والمساواة وتعتبران في ذاتهما كألقاب لحكم الأمم. فالتأكيد النازي على التفوق العرقي للألمان **يجب أن يبرهن عليه بالضرورة من خلال النزاعات مع الثقافات الدنيا** الأخرى، فالحرب إذا كانت شرطا طبيعيا وليس مرضيا.

يمكن أن نلاحظ على نستوى هذا النموذج توجه الترجمة 01 صوب الهدف، لكن مع حفاظها جوهر الرسالة خاصة على مستوى العبارة الأولى "فالفاشية لم تكن عقيدة عامة كالشيوعية أو الليبرالية" حيث حافظ المترجم على رسالة كاتب النص الأصلي التي تهدف بالأساس إلى نقد الفاشية وتبيان عدم امتلاكها مقومات الإيديولوجيا أو العقيدة السياسية مثل ما كانت عليه الشيوعية أو الليبرالية كما حافظ المترجم على النظرة التي تبدو محايدة للكاتب فيما يخص النازية حيث قال "وكان على النازيين أن يثبتوا بجلاء وهم في سبيل الصراع مع الثقافات الأخرى". بمقابل ذلك، توجهت الترجمة 02 توجها آخر يبدو أنه مؤدلج، حيث عمد القائمون عليها إلى الإيحاء بأن كاتب النص الأصلي يساوي بين الفاشية والشيوعية والليبرالية، حيث يتبين ذلك من

خلال وصف الترجمة 02 للفاشية بأنها "عقيدة شمولية كالشيوعية والليبرالية". لقد انحرفت هذه الترجمة في هذه العبارة بمراد الكاتب الأصلي المتمثل في نقد الفاشية ونفي صفة العقيدة السياسية أو الإيديولوجيا عنها وهو ما أظهرت الترجمة 02 في العبارة المذكورة عكسه تماما. كما نحا المترجمون منحى وصفيا بإضافتهم لصفة دنيا بقولهم "النزاعات مع الثقافات الدنيا" ويبدو أن لهذا المنحى الوصفي ما يبرره بالنظر إلى أن الكاتب الأصلي يقصد التنويه بمركزية تفوق العرق الألماني في النزعة النازية.

وبالمقارنة بين الترجمتين يبدو لنا أن الترجمة 01 لم تتأثر بالميول الفكرية للقائم عليها بينما اتجهت الترجمة 02 صوب الانحراف عن جوهر الرسالة الأصلية للكاتب ولعل مرد ذلك إلى الاتجاه الفكري للقائمين عليها إذ أن جلهم ذوو ميول يسارية واضحة من خلال المقدمة التي تصدرت ترجتهم للكتاب.

4-3-10 النموذج 10

After Hitler's defeat, what remained as an alternative to liberal democracy on the Right was a group of persistent but in the end unsystematic military dictatorships. Most of these regimes had no grander vision than the preservation of traditional social order, and their chief weakness was the lack of **plausible long-term basis of legitimacy.** None was able to formulate, as Hitler did, **a coherent doctrine of the nation that would justify perpetual authoritarian rule**. All of them had to accept the principle of democracy and popular sovereignty, and argue for various reasons that their countries were not ready for democracy, either because of a threat from communism, terrorism or the mismanagement of the previous democratic regime.

Each had to justify itself as a transitional, pending the ultimate return of democracy. (Fukuyama 1992, 17)

الترجمة 01

وبعد هزيمة هتلر لم يبق بديل يميني للديموقراطية الليبرالية غير مجموعة من الدكتاتوريات العسكرية المتشبثة بوجودها رغم أنها غير منطقية. وليس لدى معظم هذه الأنظمة تطلع إلى ما هو أبعد من الحفاظ على نظام اجتماعي تقليدي. أما أهم نقاط ضعفها فهو الافتقار إلى **أساس معقول وطويل من الشرعية**. ولم يكن باستطاعة هذه الأنظمة أن تحذو حذو هتلر **فتصوغ عقيدة متسقة عن الأمة تبرر حكمها الاستبدادي**، وقد كان عليها جميعا أن تقبل "مبدأ" الديموقراطية وسلطة الشعب، ثم تدّعي بعد ذلك لسبب أو لآخر أن بلادها غير مهيأة بعد لتطبيق الديموقراطية، إما لوجود خطر من الشيوعية أو الإرهاب، أو بسبب سوء الإدارة الاقتصادية في العهد الديموقراطي البائد. **وكان على كل منها أن تصف نفسها بأنها مرحلية مؤقتة إلى حين عودة الديموقراطية في نهاية الأمر.**

الترجمة 02

بعد هزيمة هتلر لم يبق كبديل يميني للديمقراطية الليبرالية سوى بضع دكتاتوريات عسكرية ما زالت مستمرة لكنها في النهاية غير منتظمة. فمعظم هذه الأنظمة لم يكن يهدف إلى أكثر من الحفاظ على النظام الاجتماعي التقليدي. إذ أن ضعفها الرئيسي

كان بالضبط هو الضعف **الطويل الذي امتازت به.** لم تستطع أية دكتاتورية أن تصوغ –كما فعل هتلر– **عقيدة متماسكة للأمة من شأنها أن تبرر استمرار الحكم السلطوي.** لقد اضطرت كلها للقبول بمبدأ الديمقراطية والسيادة الشعبية، وللادعاء، لأسباب مختلفة، أن بلدانها تباعا لم تكن مهيأة للديمقراطية بسبب تهديدات الشيوعية أو الإرهاب، أو بسبب أخطاء النظام الديمقراطي السابق الاقتصادية. **فكل واحدة من هذه الدكتاتوريات اضطرت لتبرير نفسها إلى اتخاذ طابع انتقالي في سبيل العودة إلى الديمقراطية التي كانت، كما تؤكد، هدفها الأقصى.**

تواصل الترجمة 01 على مستوى هذا النموذج وفاءها للنص الأصلي وللأفكار المطروحة فيه، ويبدو ذلك من خلال لعبارة "أساس معقول وطيل من الشرعية" حيث وُفّق المترجم على مستوى هذه العبارة إلى الحفاظ على المكنون الإيديولوجي لكاتب النص الأصلي. خلافا لذلك، توجهت الترجمة 02 صوب حذف هذه العبارة وخاصة مصطلح "الشرعية" منها، وهو مصطلح عادة ما يستخدم للدلالة على انبثاق الحكم ومؤسساته عن الإرادة الشعبية والتعبير عنها بشكل جيد، وهو مصطلح رائج مستوحى من الأدبيات الكبرى للفكر الديمقراطي الليبرالي، خلافا للأدبيات الماركسية التي لا تتخذ من الشرعية الشعبية وسيلة للحكم ولا قاعدة له وإنما تركز –كما مرّ في الفصل الأوّل– على الصراع الطبقي بين العمال ومالكي وسائل الإنتاج الذي ينتج عنه ثورة تؤسس لنظام حكم. ولعلّ ميول القائمين على الترجمة

02 اليسارية هي ما أدى إلى حذف هذا المصطلح الذي هو مصطلح مفتاحي يؤشر على الاتجاه الفكري للكاتب الأصلي.

4-3-11 النموذج11 :

« And yet, despite the powerful reasons for pessimism given us by our experience in the first half of this century, events in its second half have been pointing in a very different and unexpected direction. As we reach the 1990s, the world as a whole has not revealed new evils, but has gotten *better* in certain distinct ways. Chief among the surprises that have occured in the recent past was the totally unexpected collapse of communism throughout much of the world in the late 1980s. But this development, striking as it was, was only part of a larger pattern of events that had been taking place since World War II. Authoritarian dictatorships of all kinds, both on the Right and on the Left, have been collapsing. In some cases, the collapse has led to the establishment of prosperous and stable liberal democracies. In others, authoritarianism has been followed by instability, or yet by an other form of dictatorship. But, whether successful democracy eventually emerged, authoritarians of all strips have been undergoing a severe crisis in virtually every part of the globe. If the early twentieth century major political innovation was the invention of the strong states of totalitarian Germany or Russia, then the past few decades have revealed tremendous weakness in their core. And this weakness, so massive and unexpected, suggests that the pessimistic lessons about history that our century taught us need to be rethought from the beginning. »

الترجمة 1:

"ومع ذلك، ورغم الاسباب القوية للتشاؤم الذي نجم عن تجاربنا خلال النصف الأول من هذا القرن، فإن أحداث النصف الثاني تشير إلى اتجاه آخر مختلف تماما وغير متوقع. وإذ بتنا الآن في العقد الأخير من هذا القرن، نرى أن العالم ككل لم يكشف عن شرور جديدة، وإنما طرأ عليه تحسن في مجالات واضحة معينة. ومن أبرز المفاجآت التي وقعت في الماضي القريب ذلك الانهيار التام وغير المتوقع للشيوعية في معظم أنحاء العالم خلال السنوات الأخيرة من الثمانينات. بيد أن هذا التطور، رغم اهميته، لم يكن غير جزء من نمط أكبر من الأحداث التي كانت تتبلور منذ الحرب العالمية الثانية. فالأنظمة الديكتاتورية الاستبدادية من كافة الأنواع، يمينية كانت أم يسارية، تتهاوى واحدة إثر أخرى، وقد أدى انهيارها في بعض الحالات إلى تأسيس ديمقراطيات ليبرالية تتمتع بالرخاء والاستقرار.

وشهدنا في حالات أخرى أن سقوط الأنظمة الاستبدادية أعقبه حالة من عدم الاستقرار أو ظهور شكل آخر من الديكتاتورية، ولكن سواء نجحت الديموقراطية في الظهور في نهاية الأمر أم لم تنجح، فبإمكاننا القول في ثقة إن الأنظمة الاستبدادية بكافة صنوفها قد مرت وتمر الآن بأزمة قاسية في كل بقاع الأرض تقريبا. وإن كانت أهم بدعة سياسية في اوائل القرن العشرين هي ظهور الدولتين الشموليتين القويتين ألمانيا وروسيا، فإن العقود الأخيرة من قرننا قد بينت الضعف الرهيب في صميم كيانهما. هذا الضعف الخطير وغير المتوقع يوحي بأن الدروس المتشائمة

عن التاريخ التي يقال إن قرننا علمنا إياها، تحتاج إلى البدء في إعادة التفكير فيها من جديد."

الترجمة 2:

"غير أنه، بالرغم من اسباب التشاؤم القوية الذي دفعتنا إليه تجربتنا خلال النصف الأول من هذا القرن، فإن الأحداث التي حصلت خلال النصف الثاني قد كشفت عن اتجاهات جديدة مختلفة جدا وغير منتظرة. وفي مطلع العقد الأخير من القرن العشرين، لم يعرف العالم بجمله كوارث جديدة، وحتى فإنه قد تحسن حول بعض النقاط بالتحديد. والمفاجأة الرئيسية كما اسميناها سابقا هي الانهيار الكلي غير المنتظر للشيوعية في جميع بلدان العالم تقريبا وذلك ابتداء من نهاية الثمانينات. هذا التطور وإن كان مدهشا فإنه لم يؤلف إلا جزءا من سيرورة أوسع تشكلت منذ الحرب العالمية الثانية. إذ إن الديكتاتوريات على جميع أنواعها، يمينية كانت أم يسارية قد انهارت شيئا فشيئا. وفي بعض الحالات أدى الانهيار إلى إقامة ديمقراطيات ليبرالية مستقرة ومزدهرة. وفي حالات أخرى تلا الأنظمة المتسلطة عدم استقرار سياسي أو تلتها أشكال أخرى من الديكتاتوريات. ومهما كان نصيب الديمقراطيات الناشئة من النجاح، فإن الأنظمة المتسلطة في كل مكان عرفت أزمات قاسية في جميع أرجاء العالم تقريبا. وإذا كان التجديد السياسي الرئيسي في بداية القرن العشرين هو إنشاء الدّول التوتاليتارية في ألمانيا وروسيا، فإن اواخر هذا القرن قد كشفت بالمقابل عن

الضعف المدهش في بنياتها المركزية. هذا الضعف البالغ الكثافة وغير المتوقع يوحي أن دروس التاريخ المتشائمة التي يُدّعى أن عصرنا قد فرضها، تحتاج إلى إعادة النظر فيها بشكل جذري جديد."

نلاحظ على هذا الأنموذج توجه الترجمة 1 صوب الهدف وذلك من خلال تصرف المترجم في هذه الفقرة من ناحية الشكل وتقسيمه إياها إلى فقرتين باللغة العربية على خلاف الترجمة 2 التي ظهرت في فقرة واحدة كما هو ظاهر في النص الأصلي وهي بذلك متجهة صوب الأصل.

كما يبدو أن الترجمة 1 ملتزمة بالأسلوب الأدبي في التعبير باللغة العربية، وذلك ما يظهر من خلال ترجمة كلمة innovation بقول المترجم "بدعة"، وهو اختيار له ما يبرره عند التمعن في السياق الأصلي جيدا. فكاتب النص الأصلي يرى أن انهيار الشيوعية التي تشكل بالنسبة إليه شكلا من أشكال الأنظمة الاستبدادية شيئا عاديا بناء على ما يسميه "النمط الاكبر من الاحداث" ويعتبر بذلك أن انتصار الديمقراطية شيء عادي ومساير لطبيعة "نمط الأحداث" الذي يعتمد عليه، وقد وصف الكاتب ظهور الاستبداد بـ innovation فما كان من المترجم إلا أن ترجمها بقوله "بدعة" ليضفي عليها نوعا من الايحاء بأن ظهور الاستبداد شيء استثنائي في التاريخ وليس قاعدة، وقد أدت كلمة "بدعة" ذلك المعنى كما هو ظاهر نظرا

لإيحائها الثقافي في اللغة العربية حيث تدل على الأمر المستحدث الذي يجب الابتعاد عنه، وهو إيحاء مستنبط من الاستعمال الديني لهذه الكلمة.

وتواصل الترجمة 2 توجهها صوب الأصل إلى درجة اقتراضها لمصطلح "التوتاليتارية" رغم استخدامها لمصطلح "الأنظمة المتسلطة" وهو أمر يبدو قد تسبب في افقاد هذه الترجمة لتناسقها من خلال عدم التزامها بمصطلح واحد لنقل مصطلح واحد من النص الأصلي.

4-3-12 النموذج 12

It is perhaps not surprising that right-wing authoritarians were swept from power by the idea of democracy. **The power of most strong states on the Right was actually relatively limited when it came to the economy or society as a whole**. Their leaders represented traditional social groups who were becoming increasingly marginal to their societies and the generals and colonels who ruled were generally bereft of ideas and intellect. **But what about the communist totalitarian powers of the Left?** Had they not redefined the meaning of "strong states", and discovered a formula for self-perpetuating power? (Fukuyama 1992, 22)

الترجمة 01

"وربما لم يكن مستغربا أن نرى فكرة الديموقراطية تكتسح المستبدين اليمينيين من طريقها. فقوة معظم الأنظمة اليمينية القوية كانت في حقيقة الأمر **محدودة نسبيا سواء في مجال الاقتصاد أو المجتمع ككل**. وكان قادتها يمثلون قطاعات اجتماعية تقليدية تزداد مع مرور الأيام هامشية في مجتمعاتها، كما أن الجنرالات والكولونيلات الحاكمين كانوا في العادة يفتقرون إلى الأفكار والعقل النيّر.. **ولكن ماذا عن رجال**

الأنظمة الشمولية الشيوعية اليسارية؟ ألم يعيدوا تعريف عبارة "الدولة القوية"؟ **ألم يكتشفوا صيغة لسلطة تخلد نفسها إلى الأبد؟"**

الترجمة 02

" من غير المفاجئ أن تكون الأنظمة السلطوية اليمينية قد طردت من السلطة بسبب من فكرة الديمقراطية بالذات. إن سلطة معظم الدول اليمينية القوية كانت في نهاية الأمر محدودة نسبيا في المجالين الاقتصادي **والاجتماعي إذا ما نظر إليهما بشموليتهما**. فقادتها كانوا يمثلون جماعات تقليدية راحت تتهمش تدريجيا في مجتمعاتها، وكان الجنرال أو الكولونيلات مجردين من الذكاء والأفكار. **ولكن ماذا جرى بالنسبة للسلطات الشيوعية اليسارية؟** أو لم تعاود تعريف التعبير الحقيقي لـ "الدولة القوية" **وتكتشف صيغة السلطة التي تستمد ديمومتها من ذاتها؟"**

تواصل الترجمة 01 وفاءها للنص الأصلي على مستوى هذا النموذج أيضا، وذلك من خلال ملاحظتنا للتساؤل الذي حملته العبارة الأخيرة "ولكن ماذا جرى بالنسبة للأنظمة الشيوعية الشمولية اليسارية؟" حيث نقل المترجم هذه العبارة نقلا حافظ على مراد كاتب النص الأصلي خاصة لدى وصفه لأنظمة الحكم الشيوعية بالشمولية. أمّا الترجمة 02 فقد اتجهت إلى التلطيف من هذه العبارة بقولها "السلطات الشيوعية"، حيث أن السلطات غير الأنظمة مطلقا، فهي لا تعبّر عن مراد كاتب النص الأصلي من نعت الأنظمة الشيوعية بنعوت من قبيل الشمولية والواحدية

والدكتاتورية والاستبداد وكل وصف يناقض وصف التعددية. لقد انحرف المترجمون عن ذلك إلى قولهم "السلطات الشيوعية" التي يلاحظ القارئ أنه لا مكان لها هنا لأن الكاتب بصدد الحديث عن أنظمة حكم استمدت شرعيتها من جهة او جهات معينة، كما أن غرضه يبدو أنه يكمن في الإشارة إلى أن الأنظمة الفاشية والنازية والشيوعية تشترك في صفة الاستبداد والشمولية، وذلك لأن الإيديولوجيا الشيوعية اليسارية لا تختلف عن النازية والفاشية في نزعتها الواحدية. يبدو أن الميول اليسارية للمترجمين القائمين على الترجمة 02 والتي صرحوا بها في مقدمة ترجمتهم قد أثرت بشكل واضح في هذه الترجمة تأثيرا بلغ حد الانحراف عن المعنى المراد.

4-3-13 النموذج 13

« **Totalitarianism** was a concept developed in the West after World War II to describe the Soviet Union and Nazi Germany, which were **tyrannies** of a very different character from the traditional character of **authoritarianisms** of the nineteenth century. Hitler and Stalin redefined the meaning of a strong state by the very audacity of their social and political agendas. Traditional despotisms like Franco's Spain or the various military dictatorships of Latin America never sought to crush « civil society »-that is, society's sphere of private interests- but **only to control it**. Franco's Falangist party or the Peronist movement in Argentina failed to develop systematic ideologies and made only half-hearted efforts to change popular values and attitudes.

The totalitarian state, by contrast, was based on an explicit ideology that provided a comprehensive view of human life. Totalitarianism sought to destroy civil

society in its entirety, in its search of « total » control on the lives of its citizens. From the moment the Bolsheviks seized power in 1917, the Soviet state systematically attacked all potential competing sources of authority in Russian society, including opposition political parties, the press, trade unions**, private entreprises**, and the Church. While institutions remained at the end of the 1930s bearing some of those names, all were ghosty shadows of their former selves, organized and completely controlled by the regime. What was left was a society whose members were reduced to ‘atoms’ ‘unconnected’ to any ‘mediating institutions’ short of an all-powerful government. (ibid, 23)

الترجمة 1

"**الشمولية** نظام ابتدعه الغرب بعد الحرب العالمية الثانية ليصف به الاتحاد السوفييتي وألمانيا النازية اللذين يختلفان في استبدادهما اختلافا كبيرا عن الانظمة الاستبدادية التقليدية في القرن التاسع عشر. وقد كان هتلر وستالين قد أعادا تعريف الدولة القوية بفضل جرأة برامجهما الاجتماعية والسياسية. أما الديكتاتوريات التقليدية كنظام فرانكو في اسبانيا أو الديكتاتوريات العسكرية في أمريكا اللاتينية فلم تسعَ أبدا إلى "سحق" المجتمع المدني، (أي مجال المصالح الخاصة في المجتمع)، واكتفت **بالتحكم** فيه. ولم يتمكن لا حزب فرانكو **(الفلانجة)** ولا حركة بيرون من تطوير إيديولوجيات نسقية، وإنما بذلوا محاولات **شاحبة** من أجل تغيير القيم والاتجاهات عند الشعب.

أما الدول الشمولية فعلى العكس من ذلك. فأساسها ايديولوجيات واضحة ذات نظرة شاملة لكافة نواحي حياة البشر. وقد سعت الشمولية إلى هدم المجتمع المدني برمته وذلك في سعيها اكتساب سلطة كاملة على حياة المواطنين. فمنذ اللحظة الأولى التي سيطر فيها البلاشفة على السلطة عام 1917، ظلت الدولة السوفييتية تهاجم بطريقة منتظمة كل المصادر المحتملة التي يمكن أن تنافسها على السلطة في المجتمع الروسي، بما في ذلك أحزاب المعارضة السياسية، والصحافة، ونقابات العمال، **والمشروعات الخاصة** والكنيسة. ورغم بقاء مؤسسات تحمل بعض تلك الأسماء حتى نهاية الثلاثينات إلا أنها تحولت إلى مجرد **أشباح وصور باهتة** لما كانت عليه في الماضي، وأصبح النظام هو الذي يتولى تنظيمها والتحكم الكامل فيها. فما تبقى إذن هو مجتمع تم اختزال أفراده إلى مجرد "ذرات" لا ترتبط بأي "مؤسسات وسيطة" غير حكومة مطلقة السلطان."

الترجمة 2

"إن **التوتاليتارية** مفهوم طوره الغرب بعد الحرب العالمية الثانية لوصف الاتحاد السوفياتي تحت حكم ستالين وألمانيا تحت حكم هتلر اللذين كانا نظامين استبداديين مختلفين عن الأنظمة **التسلطية** في القرن التاسع عشر. فهتلر وستالين عدّلا تعريف الدولة القوية بالجرأة القصوى التي اتسمت بها **أفعالهما الاجتماعية والسياسية**. والأنظمة الاستبدادية التقليدية مثل نظام فرانكو في اسبانيا ومختلف

الديكتاتوريات العسكرية في امريكا اللاتينية، لم تحاول أبدا هدم "المجتمع المدني"–أي المجال الاجتماعي للمصالح الخاصة–بل سعت فقط إلى مراقبتها. فقد تعايش النظام في معظم الحالات مع مؤسسات مستقلة مثل الكنيسة والنقابات والمنظمات المهنية...إلخ. لقد فشل حزب الكتائب، حزب فرانكو، والحركة البيرونية في الارجنتين في تطوير نظامين ايديولوجيين ولم يقوما إلا بمحاولات متعثرة لتغيير القيم والمواقف الشعبية.

أما الدولة التوتاليتارية فهي على العكس من ذلك ترتكز إلى ايديولوجيا واضحة تعطي مفهوما شاملا للحياة الانسانية. فالدولة التوتاليتارية تعمل على هدم المجتمع المدني بمجمله لتصل إلى الرقابة التامة على حياة المواطنين. فمنذ اللحظة التي سيطر فيها البلاشفة على السلطة عام 1917، هاجمت الدولة السوفياتية بشكل منتظم كل مصادر السلطة التي يحتمل أن تكون منافسة، بما فيها الأحزاب السياسية المعارضة، والصحافة والنقابات والمؤسسات الخاصة والكنيسة، بعض هذه المؤسسات كانت لاتزال تحتفظ بأسمائها التقليدية أواخر الثلاثينات ولكنها كانت **صورا كاريكاتورية** عن المؤسسات الحقيقية، فالنظام يقودها جميعا ويراقبها كليا. وما تبقى هو مجتمع تحول أعضاؤه إلى "ذرات" دون روابط مع أية "هيئة وسيطة"، يخضعون لحكومة ذات سلطة مطلقة."

يبدو من خلال ملاحظة هذا النموذج أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف ومتحررة من النص الأصلي، ويظهر ذلك من خلال ترجمة الجملة الأولى من النموذج حيث نقل المترجم مفهوم totalitarianism بـ "الشمولية" ثم وصفها بأنها "نظام" مبعدا عنها صفة المفهوم الفلسفي والفكري الذي أراده كاتب النص الأصلي، ثم يواصل المترجم بقوله "ليصف بها الاتحاد السوفييتي وألمانيا النازية.." ولا يحدد المترجم الزاوية التي يكون منها هذا الوصف، رغم أن كاتب النص الأصلي يحدد بدقة أنها توصيف فكري لفلسفة الحكم التي ظهرت في كل من ألمانيا والاتحاد السوفييتي، أي أنها وصف لكلا الدولتين من ناحية أنظمة الحكم. كما يبدو تحرر المترجم من النص الأصلي من خلال إغفاله لـ very في ترجمته لـ the very audacity of their political agendas حيث اكتفى بقوله "بفضل جرأة برامجهما الاجتماعية والسياسية" بينما ركّز كاتب النص الأصلي على تبيان أن هذه الجرأة كانت زائدة عن الحد المطلوب، ويبدو أن المترجم كان تبيان درجة هذه الجرأة من خلال وصفها بالمبالغة أو الزيادة عن الحد، وفي الجملة نفسها، نلاحظ أن المترجم يستخدم كلمة "بفضل" للتعبير عن تعليل كاتب النص الأصلي، بينما يريد الكاتب نقد هذه الأنظمة وطريقة حكمها نقدا ضمنيا فكان الأولى بالمترجم الانتباه إلى هذه الجزئية من خلال استخدام "بسبب" أو لام التعليل لأن الأمر يتعلق بجزئية دقيقة تعبّر عن وجهة نظر الكاتب وهي أمر جوهري في مضمون النص. كما ظهر في هذا النموذج تواصل

اتجاه الترجمة 1 اتجاها يبدو أنه أدبي من خلال قول المترجم "محاولات شاحبة" وهو توصيف أدبي بلاغي من قبيل الاستعارة ذلك أن الكاتب يقصد المحاولة الفاشلة أو المتعثرة ولم يرد في نصه أي مؤشر على التعبير الأدبي في هذه العبارة على الأقل.

ويبدو أن الترجمة 2 متجهة صوب الأصل وذلك من خلال اقتراضها لمصطلح "التوتاليتارية" على الرغم من ورود مصطلح "التسلطية" في الفقرة نفسها، ولعل هذا الاختيار له ما يبرره خاصة إذا أخذنا في عين الاعتبار أن المراد هو التفريق بين 'التسلطية' بوصفها سمة لكل الأنظمة التي تتبع أسلوبا معينا في الحكم وبين 'التوتاليتارية' التي هي صفة خاصة بألمانيا النازية والاتحاد السوفياتي على وجه الخصوص. وقد كان من القائمين على هذه الترجمة بعض من عدم الدقة من خلال ترجمتهما لـ control بـ "المراقبة" رغم أن المراد من المصطلح في النص الأصلي يبدو أنه يدور حول السيطرة والهيمنة والتسلط، خاصة وأن السياق الذي ورد فيه المصطلح المذكور يصف حالة الأنظمة الديكتاتورية من حيث طريقة تعاملها مع المجتمع المدني.

4-3-14 النموذج 14

Many people believed that the efficacy of the *Soviet totalitarianism* would be buttressed by the authoritarian traditions of the Russian people pre-dating Bolshevism. A european view of the Russians popular in the nineteenth century was

exeplified by the French traveler Custine, who characterized them as a race "broke« to slavery, (who) have…. Taken seriously only terror and ambition. Western confidence in the stability of the Soviet communism rested on a belief, concious or not, that the Russian people were not interested in or ready for democracy. Soviet rule, after all, was not imposed on Russians by an external power in 1917, as it was in Eastern Europe after World War II, and it had survived for six or seven decades after the Boshevik Revolution, weathering famine, upheaval, and invasion. This suggested that the system had won a certain degree of legitimacy among the broader population, and certainly within the ruling elites, reflecting the society's own natural inclinations toward authoritarianism. Thus, while Western observers were perfectly ready to credit the Polish people with a desire to overturn communism if given the chance, the same was not held to be true of the Russians. They were, in other words, contented inmates of the asylum, held not by bars and straightjackets but by their own craving for security, order, authority and some extra benefits that the Soviet ruling had managed to throw in like emperial grandeur and superpower status. The strong Soviet state looked very strong indeed, nowhere more so than in the global strategic competition with the United States.

الترجمة 1

"وقد ظن الكثيرون أن **الشمولية السوفييتية** ستدعمها التقاليد الاستبدادية الموروثة لدى الشعب الروسي منذ ما قبل الثورة البلشفية. ومن أمثلة الأفكار الأوروبية الشائعة في القرن التاسع عشر عن الروس ما كتبه عنهم الرحالة الفرنسي كوستين من أنهم "شعب ألف العبودية ولا يحترم غير الإرهاب والطموح". وقد كان

أساس ثقة الغرب باستقرار الشيوعية السوفييتية، الاعتقاد الواعي أو غير الواعي بأن الشعب الروسي غير آبه بالديمقراطية وغير مستعدّ لها. فالحكم السوفييتي، عام 1917، لم تفرضه دولة أجنبية على الروس، عكس الحال في أوروبا الشرقية عقب الحرب العالمية الثانية. كذلك لقد استمر النظام السوفييتي ستة أو سبعة عقود تلت الثورة البلشفية، منتصرا على الغزو الأجنبي، والقلاقل، والمجاعة المخيفة. وهذا يوحي أن النظام اكتسب قدرا معينا من الشرعية لدى أغلبية الشعب، وداخل الصفوة الحاكمة بكل تأكيد، مما يعكس ميل ذلك المجتمع الطبيعي إلى ذلك النظام الاستبدادي. وهكذا، ففي حين كان المراقبون الغربيون على استعداد تام للاعتراف للشعب البولندي بالرغبة في قلب النظام الشيوعي متى سنحت الفرصة، أبو الاعتراف بنفس الشيء للشعب الروسي. وبعبارة أخرى، فإن الروس عندهم هم النزلاء القانعون بوجودهم في المصحة، لا تبقيهم فيها القضبان وقمصان التكتيف، وإنما تبقيهم رغبتهم في الأمان والنظام ونفوذ السلطة وبعض المزايا الإضافية التي أضفاها النظام السوفييتي كالعظمة الإمبريالية ووضع الدولة العظمى.. فقد كانت الدولة السوفييتية القوية تبدو بالغة القوة حقا، خاصة في منافستها الاستراتيجية العالمية مع الولايات المتحدة.

الترجمة 2

"كان الكثيرون من المحللين يعتقدون بأن فعالية **القوة السوفياتية** تتقوى من خلال تقاليد الشعب الروسي التسلطية، السابقة للبلشفية. هذه الرؤية المشتركة مع أوروبا في القرن التاسع عشر عبر عنها جيّدا الرحالة الفرنسي كوستين الذي يصف الروسيين بأنهم شعب "معتاد على العبودية، ولا يحترم جديا إلا الرعب والطموح". إن ثقة الغرب باستقرار الشيوعية السوفياتية ترتكز إلى الفكرة الواعية أو اللاواعية التي تقول إن الشعب الروسي لم يكن مهتما بالديمقراطية، أو لم يكن مهيأ لها، والنظام السوفياتي على كل حال لم يُفرض على الروس بواسطة قوة خارجية عام 1917، كما حصل في أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية. وقد دام ستة أو سبعة عقود بعد الثورة البلشفية، بالرغم من الجوع والانتفاضات والاجتياح. مما يؤدي إلى الافتراض أن النظام قد كسب درجة كعينة من الشرعية لدى قطاعات واسعة من السكان، وبالتأكيد لدى النخبة القائدة، مما يؤكد ميول هذا المجتمع الطبيعية نحو الأنظمة التسلطية. وهكذا، بينما كان المراقبون الغربيون مستعدين لتصديق البولونيين في رغبتهم قلب الشيوعية، فإن الشيء نفسه لم يكن صالحا بالنسبة للروس. وبعبارات أخرى، كان هؤلاء سعداء مثل نزلاء المأوى ومستقرين هنا دون حواجز ولا روادع، وإنما فقط لرغبتهم بالأمن والنظام والسلطة، وبدافع من الاعتزاز بالنفس الذي حضر له النظام السوفياتي، مبرزا بلدهم كإمبراطورية كبرى تحتل مكانة القوة

العظمى. فقد كانت الدولة السوفياتية تبدو قوية بالفعل خاصة في السباق الاستراتيجي العالمي مع الولايات المتحدة.

تبدو الترجمة 1 متجهة صوب الهدف وذلك من خلال استعمالها للأسلوب العربي في الجمع بين الكلمة ونقيضها حيث استخدم المترجم عبارة "الواعي أو غير الواعي" عكس الترجمة 2 التي اختار القائمون عليها عبارة "الفكرة الواعية أو اللاواعية". ويبدو أن تعبير الترجمة 1 في هذا المستوى أقرب إلى تقاليد التعبير العربي التي تحبذ كلمة 'غير' للدلالة على المخالف أو المناقض خاصة إن كان الأمر يتعلق بصفة. ويبدو أن اختيار الترجمة 2 لعبارة 'الفكرة الواعية أو اللاواعية' مردّه إلى رغبة القائمين على هذه الترجمة في المحافظة على نوع من المكافئ في مستوى الخطاب ''register of language من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن لجوئهم إلى هذه البنية الصرفية 'اللاواعية' مردّها إلى اعتماد ترجمتهم على الأصل الإنجليزي وترجمته الفرنسية. ولا تزال بعض المؤشرات تظهر في الترجمة 1 تدل على توجهها نحو الهدف من خلال نقل مصطلح totalitarianism بـ'الشمولية' بينما يفضل القائمون على الترجمة 2 اقتراضه من اللغة الإنجليزية، ويبدو اختيار الترجمة 2 أبعد من مراد كاتب النص الأصل وذلك لأن الكاتب يصر على أن 'التوتاليتارية' نموذج سوفياتي للحكم، يقوم على التسلط والاستبداد وهو ما ذهب المترجمون في الترجمة 02 إلى محاولة تلطيفه من خلال وصفهم للشمولية بوصف القوة. خلافا لذلك، ذهب المترجم

القائم على الترجمة 1 إلى وصفها بـ 'الشمولية' التي هي توصيف تشترك فيه أنظمة الحكم التي تمارس الحكم باللجوء إلى الاستبداد وليست 'الشمولية' حكرا على الاتحاد السوفياتي وحده كما يريد كاتب النص الأصلي أن يثبت. غير أن توجه الترجمة 1 نحو الهدف لم يكن بشكل كلي خاصة إذا ما لاحظنا محافظة الكاتب على الصيغة الزمنية المتضمنة في النص الأصلي، وهو ما ظهر في الجملة الأولى حيث حافظ المترجم على الفعل المساعد would من خلال قوله "وقد ظن الكثيرون أن الشمولية السوفييتية **س**تدعمها..." حيث حافظ على الصيغة الزمنية عن طريق لجوئه إلى السين التي تعبر عن ما يستقبل من الزمن، مفتتحا ترجمته بـ "قد" المتبوعة بالفعل الماضي للدلالة على أن هذا الأمر وقع في الماضي.

4-3-15 النموذج 15

On both the communist Left and the authoritarian Right there has been a bankruptcy of serious ideas capable of sustaining the internal political cohesion of strong governments, whether based on ‘monolithic’ parties, military juntas or personalistic dictatorships. The absence of legitimate authority had meant that when the authoritarian government met with failure in some area of policy, there was no higher principle to which the regime could appeal. Some have legitimacy to a kind of cash reserve. All governments, democratic and authoritarian, have their ups and downs; but only legitimate governments have this reserve to draw on in times of crisis.

The weakness of authoritarian states of the Right lay in their failure to control civil society. Coming to power with a certain mandate to restore order or to impose

‘economic descipline’, many found themselves no more successful than their democratic predecessors in stimulating steady economic growth or in creating a sense of social order. And those that were successful were hoisted on their own petard. For societies on top of which they sat began to outgrow them as they became better educated, more prosperous, and middle class. As memory of the specific emergency that hed justified strong governments faded, those societies became less and less ready to tolerate military rule.

الترجمة 1

"قد عرف اليسار الشيوعي واليمين المستبد معا إفلاسا في الأفكار الجادة القادرة على حماية وتثبيت التلاحم السياسي الداخلي لنظم الحكم القوية، سواء كانت قائمة على أحزاب مفردة محكمة التنظيم، أو مستندة إلى عصبة من العسكريين، أو ديكتاتوريات محورها شخصية الزعيم. وقد كان معنى الافتقار إلى السلطة الشرعية أنه كلما واجهت الحكومة المستبدة فشلا في مجال سياسي معيّن، لم يكن بوسع النظام أن يلجأ إلى مبدأ أعلى يحتمي به. وقد شبه البعض الشرعية بنوع من الاحتياطي النقدي، فكل الحكومات، ديموقراطية كانت أم استبدادية، تمر بأيام حلوة وأيام مرة. غير أن الحكومات الشرعية وحدها هي التي تملك ذلك الاحتياطي، تستعين به في أوقات الأزمة.

كان ضعف الأنظمة الاستبدادية اليمينية ماثلا في فشلها في التحكم في المجتمع المدني. فإن كانت قد وصلت إلى الحكم بنوع من التفويض كي تعيد النظام

إلى نصابه، أو كي تفرض الانتظام في 'الحياة الاقتصادية'، فإن الكثير منها لم يصادف نجاحا أكبر مما لاقته الأنظمة الديموقراطية السابقة عليها فيما يتصل بتشجيع نمو اقتصادي مطرد أو خلق وعي بالنظام الاجتماعي. وأما تلك التي لاقت النجاح فقد ارتدّ كيدها إلى نحرها، حيث أن المجتمعات التي تربعت على قمّتها بدأ أفرادها يشبون عن الطوق بارتفاع مستوى تعليمهم ومعيشتهم، وبتحولهم إلى طبقة متوسطة. وإذ بهتت في الأذهان ذكرى الظروف الطارئة التي بررت في وقت ما قيام حكومة قوية، لم تعد تلك المجتمعات مستعدة كما كانت في الماضي لاحتمال حكم عسكري.

الترجمة 2

"لقد عرف اليسار الشيوعي واليمين التسلطي إفلاسا حقيقيا في الأفكار الجدية القادرة على الحفاظ على التماسك السياسي للحكومات القوية، أكانت مستندة إلى الأحزاب ذات التنظيم الحديدي، أم إلى الطغمات العسكرية أم إلى الديكتاتوريات الفردية. فغياب السلطة الشرعية يعني أن الحكومة التسلطية عندما تفشل في مجال معين، فإنها لا تستطيع أن تلجأ إلى أي مبدأ سام. ومن هذه الزاوية، قارن البعض الشرعية بنوع من الاحتياطي السائل: كل الحكومات، أكانت ديمقراطية أم تسلطية تمر بحالات من الازدهار وأخرى من التراجع، ولكن الحكومات الشرعية وحدها تملك هذا الاحتياطي "فتستقي" منه عندما تتعرض لأزمة.

إن ضعف الأنظمة التسلطية اليمينية يكمن في فشلها بالسيطرة الفعلية على المجتمع المدني. لقد جاءت هذه الأنظمة إلى الحكم مع تفويض محدد تماما، بهدف إعادة النظام أو فرض 'مسار اقتصادي معين'، إلا أن عددا منها لم يوفّق أكثر مما وُفّق أسلافهم الديمقراطيون، في عملية دفع المجتمعات التي تسلمت رئاستها بتجاوزها شيئا فشيئا مع زيادة عدد الطبقات الوسطى الأفضل ثقافة والأكثر ازدهارا. وبما أن الوضع المُلح الذي فرض مجيئ حكم قوي قد تلاشى، فإن هذه المجتمعات أصبحت أقل استعدادا لتقبل حكم العسكريين."

حافظت الترجمة 1 على النقد الذي وجّهه كاتب النّص الأصلي لكل من النظامين اليميني واليساري وذلك من خلال جمعها بينهما بواسطة استخدام 'معا' على خلاف الترجمة 2 التي لم تُشر في هذه الجملة إلى رغبة كاتب النّص الأصلي في توجيه النقد للنظامين معا. وقد أغفلت الترجمة 1 جزئية معينة من خلال قول المترجم "وقد كان معنى الافتقار إلى السلطة الشرعية أنه كلما واجهت الحكومة المستبدة...." رغم أن مراد كاتب النص الأصلي تبيان افتقار الحكومة المستبدة إلى الشرعية، غير أن الاتجاه الحرفي الذي سلكه المترجم على مستوى هذه الجملة إضافة إلى الإطناب قد حالا دون التعبير عن المعنى الذي أراده الكاتب تعبيرا دقيقا. خلافا لذلك، كانت الترجمة 2 أكثر دقة في التعبير عن المعنى المراد من هذه الجملة حتى وإن ظهرت محافظة على المصطلحات الواردة في النص الأصلي نفسها.

وقد تواصل ظهور بعض المؤشرات التي توحي بتوجه الترجمة 1 اتجاها أدبيا في النقل، وذلك من خلال تعابير اعتمد عليها المترجم مثل 'تمرّ بأيام حلوة وأيام مرة' كناية عن النجاح والفشل الذي تتراوح بينهما حالات الحكومات، وكذا قول المترجم 'وأما تلك التي لاقت النجاح فقد ارتدّ كيدها إلى نحرها' كناية عن الخيبة، وهو تعبير ذو خلفية دينية، يوحي بأن المترجم مُقيّد بمعايير اجتماعية دفعته إلى اتخاذ مثل هذا القرار، وهو إعطاء نصه صبغة دينية معينة لأجل تقريبه من القارئ، وهو بذلك متجه صوب الهدف، وقد حققت الترجمة 1 في هذه الجملة تكافؤا من نوع تقريب التعبير الاصطلاحي الأجنبي إلى قارئ النص المترجم. أما في الترجمة 2، فكانت جل التعابير المستخدمة مستوحاة من الخطاب العادي الذي تستخدمه اللغة العربية في وسائل الإعلام، وقد خلت على ما يبدو من أي تعبير ذي صبغة أدبية أو دينية، مما يجعلها أقرب من الأصل من ناحية تكافؤ المستوى اللغوي.

4-3-16 النموذج 16

Moreover, few *totalitarian* regimes could replicate themselves through one or more succession crises. In the absence of commonly accepted rules of succession, it would be always a temptation for some ambitous contender for power to throw the whole system into question by calls for fundamental reform in the struggle against his rivals. The reform card is a powerful trump because dissatisfaction with Stalinist systems is high everywhere. Thus, Khrushchev used anti-Stalinism against Beria and Malenkov, Gorbachev used it against his Brezhnev-era competitors, and Zhao Ziyang used it against hard-line Li Peng. The question of whether the individuals or groups

contending for power were real democrats was in a sense irrelevant, since the succession process tended to undermine old regime's credibility by exposing its inevitable abuses. New social and political forces, more sincerely commited to liberal ideas, were unleashed and soon escaped those who planned the first limited reforms.

الترجمة 1

"كذلك فإنه ليس بوسع الكثير من الأنظمة **الشمولية** أن تبقى على حالها بعد أزمة أو أكثر من أزمات الصراع على الخلافة. ففي غياب قواعد للخلافة مقبولة من الجميع، سيكون أمام أي متنافس طموح على السلطة إغراء إثارة الشك في النظام كله بدعوته –أثناء صراعه مع منافسيه– إلى إصلاحات جذرية. ذلك أن فرصة الربح بورقة "الاصلاح" فرصة قوية، لأن السخط على الأنظمة الستالينية شديد في كل مكان. ولذا فقد استخدم خروتشوف مناهضة الستالينية ضد بريا ومالينكوف، واستخدمها جورباتشوف ضد منافسيه في عهد بريجنيف، واستخدمها جاو زيانج ضد لي بنج المتشدد. وليس من المهم في الواقع أن نتساءل عما إذا كانت الشخصيات أو الجماعات المتصارعة على السلطة، ديموقراطية حقا أم لا مادام الصراع على الخلافة يميل إلى الزعزعة من مصداقية النظام القديم بفضحه مثالبه الحتمية. أما القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة التي هي أكثر إخلاصا في تعلقها بالأفكار الليبرالية، فقد أطلقت من عقالها وسرعان ما أفلتت من هيمنة أولئك الذين خططوا للإصلاحات المحدودة الأولى."

الترجمة 2

"بالإضافة إلى ذلك، قليلة هي الأنظمة **القوية** التي استطاعت أن تخرج معافاة من أزمة واحدة أو أكثر من أزمات 'الخلافة'. وفي غياب القواعد المقبولة من الجميع، يؤدي إغراء السلطة بالمترشح لتسلمها، إلى إعادة النظر بكل النظام من خلال الدعوات إلى الإصلاحات الجذرية التي يطلقها ضد منافسيه. إن ورقة الإصلاحات هي ورقة رابحة قوية لأن الاستياء الذي تحدثه الأنظمة من النوع الستاليني هو دائما شديد. على هذا النحو استخدم خروتشوف معارضة الستالينية ضد بريا وملنكوف، واستخدمها غورباتشوف أيضا ضد منافسيه في عهد بريجنيف، واستعمل زهاو زيانغ نفس الحجة ضد الخط المتشدد الذي يقوده لي بينغ. فالسؤال لمعرفة ما إذا كان الأفراد أو المجموعات الساعية لاستلام السلطة هم ديمقراطيون حقيقيون، ليس له في الواقع أي معنى، لأن عملية الخلافة بحد ذاتها –أو بالأحرى غيابها–تهدم مصداقية النظام القديم وذلك بعرض تجاوزاته التي لا مفر منها. هناك قوى اجتماعية وسياسية جديدة، أصدق التزاما بالأفكار الليبرالية، قد تحررت وأفلتت بسرعة من سيطرة الذين كانوا يبرمجون الإصلاحات الأولى التي لا تزال محدودة."

تواصل منهج الترجمة 01 في المحافظة على ما أراده كاتب النص الأصلي من خلال استخدام المقابلات المعجمية لوصف الأنظمة السياسية التي نجد الكاتب بصدد تحليل سلوكها تحليلا نقديا، حيث أنه يصفها بكونها شمولية واستبدادية،

وخلافا لذلك لا تزال إيديولوجيا المترجمين الثلاثة اليسارية –فيما يبدو–تتحكم في الألفاظ المختارة لنقل أي وصف يتعلق بالاتحاد السوفياتي أو أي من حلفائه الشيوعيين، فقد اختارت الترجمة 02 وصف 'الأنظمة القوية' لترجمة وصف يتمثل في التوتاليتارية التي هي من مرادفات التسلط والاستبداد. إنه وصف انحرف بالمعنى الذي أراده كاتب النص الأصلي انحرافا كليا ناقلا إياه من نقد واضح إلى ثناء وتبيان محاسن. إنه خيار –فيما يبدو– ليس له ما يبرره سوى إيديولوجيا المترجمين الثلاثة اليسارية.

وتبدو الترجمة 1 ميالة إلى نوع من الإطناب في الكلام وذلك ما يظهر من خلال قول المترجم "سيكون أمام اي متنافس طموح على السلطة إغراء إثارة الشك.." ويظهر الإطناب في قول المترجم "إغراء إثارة الشك" بينما كان يكفيه أن يقول "إثارة الشكوك" أو "التشكيك" بكل بساطة حتى يحافظ على تركز الفكرة التي تضمنها النص الأصلي التي تربط بين التشكيك والدعوة إلى الإصلاح كسبيل يختاره المتنافسون على السلطة. خلافا لذلك، تحررت الترجمة 2 على مستوى هذه الجملة من بنية الجملة الأصلية وكان اختيارها موفقا لـ "إعادة النظر في كل النظام".

ويظهر كذلك من خلال هذا النموذج توسّع الترجمة 2 في اقتراض أسماء العلم والكلمات الأجنبية مثل 'غورباتشوف غاو زيانغ ديمقراطية.' بالمقارنة مع الترجمة1. حيث كانت اختيارات الترجمة 2 واسعة نوعا ما باختيارها لنوع الكتابة

المعروف في كل انحاء العالم العربي–وبالتالي لدى جل المتكلمين باللغة العربية– بينما اختارت الترجمة 1 الاقتراض على الطريقة المصرية حصرا 'جورباتشوف، جاو زيانج، ديموقراطية' ولعل انتماء المترجم إلى المجتمع المصري يعد المعيار الذي يقف خلف قراره هذا. إضافة إلى هذا، يبدو المترجم في الترجمة 01 واقفا على الحياد من النقد الذي يوجهه الكاتب نحو الشيوعية وأنصارها خلافا للترجمة 02 التي عمد فيها المترجمون القائمون على إعدادها إلى التحريف الكامل للمعنى تحريفا لا يجد له أي مبرر سوى أيديولوجيتهم اليسارية القريبة من الشيوعية وإلا فما جدوى وما الباعث على تحريف كهذا؟

4-3-17 النموذج 17

As mankind approaches the end of the millennium, the twin crisis of authoritarianism and socialist central planning have left only one competitor standing in the ring as an ideology of potentially universal validity : liberal democracy, the doctrine of individual freedom and popular sovereignty. Two hundred years after the first animated French and American revolutions, the principles of liberty and equality have proven not just durable but resurgent.

Liberalism and democracy, while closely related, are separate concepts. Political liberalism can be simply defined as a rule of law that recognizes certain individual rights or freedoms from government control. While there can be a wide variety of definitions of fundamental rights, we will use the one contained in Lord Bryce's classic work on democracy, which limits them to three: civil rights, 'the exemption from control of the citizen in respect of his person and property'; religious

rights, ‘exemption from control in the expression of religious opinions and the practice of worship’ ; and what he calls political rights, ‘exemption from control in matters which do not so plainly affect the welfare of the whole community as to render control necessary’, including the fundamental right of press freedom. It has been a common practice for socialist countries to press for the recognition of various second- and third-generation economic rights, such as the right to employment, housing, or health care. The problem with such an expanded list is that the achievement of these rights is not clearly compatible with other rights like those of property or free economic exchange. In our definition we will stick to Bryce’s shorter and more traditional list of rights, which is compatible with those contained in the American Bill of Rights.

الترجمة 1

"وإذ تقترب البشرية من نهاية الألف الثانية بعد الميلاد، نتبين أن الأزمة المزدوجة **في الشمولية** وفي التخطيط المركزي الاشتراكي لم تترك غير منافس واحد في حلبة المصارعة، باعتباره الايديولوجيا التي يمكن أن يقتنع العالم كله بصلاحيتها، ألا وهي الديمقراطية الليبرالية، ومبدأ الحرية الفردية وسيادة الشعب. إن مبدأي الحرية والمساواة الذين أشعلا في البداية الثورتين الفرنسية والأمريكية، يؤكدان بعد مئتي عام ليس فقط رسوخهما، بل وقدرتهما على الانطلاق في حيوية من جديد.

ومع الارتباط الوثيق بين الليبرالية والديمقراطية فإنهما مفهومان مستقلان. إذ يمكن ببساطة تعريف الليبرالية السياسية بأنها قاعدة قانونية تعترف بحريات وحقوق

معينة للفرد غير خاضعة لسيطرة الحكومة. ومع أن ثمة تعريفات متنوعة للحقوق الأساسية، فإننا سنستخدم منها التعاريف الواردة في كتاب لورد برايس الشهير عن الديمقراطية والذي يقصر هذه الحقوق على ثلاثة: الحقوق المدنية "أي تحرير شخص المواطن وممتلكاته من سيطرة الحكومة" والحقوق الدينية "أي السماح بحرية التعبير عن الآراء الدينية وممارسة العبادة" وما يسميه الحقوق السياسية "أي تحرير المواطن من سيطرة الحكومة في الأمور التي لا يبدو أنها تؤثر في المجتمع كله تأثيرا يحتم تدخل الدولة". وتتضمن هذه الحقوق الأخيرة حرية الصحافة باعتبارها حقا أساسيا. وقد كان من عادة الدول الاشتراكية أن تؤكد الحاجة إلى الاعتراف بحقوق اقتصادية متنوعة من المرتبة الثانية أو الثالثة مثل الحق في العمل أو المسكن أو الرعاية الصحية. ومشكلة هذه القائمة الموسعة هي أن ضمان تلك الحقوق لا يتفق تماما مع حقوق أخرى مثل حق التملك وحق التبادل التجاري الحر. وسنلتزم في تعريفنا بقائمة برايس للحقوق وهي الأكثر ايجازا واتساقا مع التقاليد، ومع الحقوق الواردة في ميثاق الحقوق الأمريكي."

الترجمة 2

"كلما اقتربت الانسانية من الألف الثاني فإنه يلاحظ ان الأزمتين المزدوجتين **السلطوية** والاشتراكية، لم تتركا في ساحة المعركة إلا إيديولوجيا واحدة محتملة ذات طابع شمولي: هي الديمقراطية الليبرالية، عقيدة الحرية الفردية والسيادة الشعبية. فبعد

مئتي سنة من إطلاقها للثورتين الأمريكية والفرنسية، برهنت مبادئ الحرية والمساواة ليس فقط على أنها دائمة بل على أنها تستطيع ان تنبعث من جديد.

إن الليبرالية والديمقراطية وإن كانتا مرتبطين بشكل وثيق فهما مفهومان منفصلان، فالليبرالية السياسية يمكن تحديدها ببساطة أنها نظام شرعي يعترف ببعض الحقوق الفردية أو الحريات المستقلة عن رقابة الدولة. باستطاعتنا ان نحدد الحقوق الأساسية بأشكال متنوعة كثيرا، ولكننا سنكتفي بالتحديد الذي اقترحه اللورد برايس في كتابه الكلاسيكي عن الديمقراطية، فهو يصنفها إلى ثلاث فئات: الحقوق المدنية "الامتناع عن مراقبة المواطن فيما يتعلق بشخصه وملكيته"، الحقوق الدينية "الامتناع عن رقابة المواطن فيما يتعلق بحرية الآراء الدينية وممارسة العبادة"، وما يسميه الحقوق السياسية " منع الرقابة، في كل ما لا يمس مصلحة المجموعة إلى الدرجة التي تصبح فيها الرقابة ضرورية"، وهذه الحقوق تشمل الحقوق الأساسية لحرية الصحافة. لقد اعتادت البلدان الاشتراكية التأكيد على الاعتراف بالحقوق الاقتصادية من الجيل الثاني أو الثالث، مثل: حق الاستخدام، حق السكن، الحق في الرعاية الصحية. هذه اللائحة يمكن أن تصبح أطول من ذلك لأن إنجاز هذه الحقوق ليس متوافقا بوضوح مع حقوق أخرى مثل حقي الملكية وحرية المبادلات الاقتصادية. إننا من جهتنا نفضل اللائحة القصيرة والتقليدية من الحقوق التي تتوافق مع ما يحتويه "بيان الحقوق" الأمريكي."

تشير الترجمة 1 إلى حضور الكاتب في النص وذلك من خلال استخدامها لضمير المتكلم "نحن" في قول المترجم إذ يترجم الجملة الأولى "نتبيّن أن." بينما تغيب في النص الأصلي أي إشارة من قريب أو من بعيد إلى حضور الكاتب في النص الأصلي، ولعل هذا الاختيار من المترجم له ما يبرره خاصة إذا لاحظنا أن الكاتب بصدد القيام بما يشبه الاستدلال المنطقي على انهيار الاشتراكية والشمولية، فكان من المترجم أن صرّح باستدلال الكاتب على ذلك من خلال التعبير بضمير المتكلم "نحن" وذلك ما يتوافق مع أعراف اللغة العربية. تبدو الترجمة 1 أكثر دقة من الترجمة 2 من ناحية اختيار المصطلحات المناسبة للترجمة، فقد وردت ترجمة مصطلح authoritarianism بـ"الشمولية" التي استعملها المترجم في موضع سابق لترجمة مصطلح totalitarianism، بينما كانت الترجمة 2 أبعد من خلال ترجمتها للمصطلح بـ "السلطوية" وهو الأبعد إلى مراد كاتب النص الأصلي كونه مشتقا من كلمة authority التي تعني السلطة، غير أن المعنى الذي يريده الكاتب معنى سلبي تماما مما يؤدي بنا إلى القول أنه من المستحسن لو استبدل السلطوية هنا بـ التسلطية التي تحيل إلى الاستبداد والاستئثار بالحكم.

إضافة إلى ذلك، كان للإيديولوجيا التي يسير عليها المترجمون القائمون عليها كان لها بعض الظهور في هذا الأنموذج، ويبدو ذلك جليا من خلال وصف المترجمين للديمقراطية الليبرالية بـ'ذات الطابع الشمولي' وهو ما لم يرد في النص

الأصلي، وما أدّى بنا إلى اعتبار هذا الأمر تأثيرا واضحا للإيديولوجيا هو أن النص الأصلي يبدو مادحا للديمقراطية الليبرالية ومُبشّرا بها وبمبادئها على خلاف ما ذهبت إليه الترجمة 2 من وصفها ب'الطابع الشمولي' الذي يُعدّ من قبيل الانتقاص من قيمتها. ويؤدي ذلك إلى افتراض أن القناعات الفكرية للمترجمين كانت معيارا أدى بهم إلى اتخاذ مثل هذا القرار. وواصلت الترجمة 2 ابتعادها عن مراد كاتب النص الأصلي من خلال ترجمتها لمصطلح control بـ'الرقابة' بينما يبدو أن المراد منها في النص الأصلي هو الهيمنة والسيطرة، خاصة وأن النص يتحدث عن حقوق المواطن في الدولة ذات النظام الديمقراطي حيث لا يخضع المواطن إلى أي شكل من أشكال الهيمنة، على خلاف نقيضها وهي الدولة ذات النظام التسلطي. كما تبدو الترجمة 2 متجهة صوب الأصل من خلال تعبيرها عن الحق في العمل بقولها 'الحق في الاستخدام' رغم أن مثل هذا التعبير يبدو بعيدا عن الحق في العمل لدى القارئ العربي.

تبدو الترجمة 1 متجهة صوب الهدف وذلك من خلال مؤشرات أبرزها تحررها المصطلحي من النص الأصلي وكذا استخدامها لضمير المتكلم نحن بما يتوافق مع أعراف اللغة الهدف، بينما تبدو الترجمة 2 متجهة صوب الأصل من خلال استخدامها لتعابير تبدو

ترجمة حرفية من النص الأصلي على غرار 'الحق في الاستخدام' غير أنها كانت متجهة صوب الهدف فيما يتعلق بدقة تعاملها مع المصطلحات بالمقارنة مع الترجمة 1.

4-3-18 النموذج 18

It is true that islam constitutes a systematic and coherent ideology, just like liberalism and communism, with its own code of morality and doctrine of political and social justice. The appeal of Islam is potentially universal, reaching out to all men as men, and not just to members of a particular ethnic or national group. And Islam has indeed defeated liberal democracy in many parts of the Islamic world, posing a grave threat to liberal practices even in countries where it has not achieved power directly. The end of the Cold War in Europe was followed immediately by a challenge to the West from Iraq, in which Islam as arguably a factor.

Despite the power demonstrated by Islam in its current revival, however, it remains the case that this religion has virtually no appeal outside those areas that were culturally Islamic to begin with. The days of Islam's cultural conquests, it would seem, are over: it can win back lapsed adherents, but has no resonance for young people in Berlin, Tokyo, or Moscow. And while nearly a billion people are currently Islamic- one fifth of the world's population- they can not challenge liberal democracy on its own territory on the level of ideas. Indeed, the Islamic world would seem more vulnerable to liberal ideas in the long run than the reverse, since such liberalism has attached numerous and powerful Muslim adherents over the past century and a half. Part of the reason for the current, fundamentalist revival is the strength of the perceived threat from liberal, Western values to traditional Islamic societies.

الترجمة 1

"صحيح أن الإسلام يشكل إيديولوجيا متسقة ومتماسكة شأنه شأن الليبرالية والشيوعية، وأن له معاييره الاخلاقية الخاصة به ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية. كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية، داعيا إليه البشر كافة باعتبارهم بشرا لا مجرد أعضاء في جماعة عرقية أو قومية معينة. وقد تمكن الاسلام في الواقع من الانتصار على الديمقراطية الليبرالية في العديد من أنحاء العالم الإسلامي، وشكل بذلك خطرا كبيرا على الممارسات الليبرالية حتى في البلدان التي لم يصل فيها إلى السلطة السياسية بصورة مباشرة. وقد تلا نهاية الحرب الباردة في أوروبا على الفور تحدي العراق للغرب، وهو ما قيل (عن حق أو غير حق) أن الإسلام كان أحد عناصره.

غير أنه بالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في صحوته الحالية، فبالإمكان القول إن هذا الدين لا يكاد يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة. وقد يبدو أن **زمن المزيد من التوسع الإسلامي الحضاري** قد ولّى. فإن كان بوسع الإسلام أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه، فهو لن يصادف هوى في قلوب شباب برلين أو طوكيو أو موسكو. ورغم أن نحو بليون نسمة يدينون بدين الإسلام (أي خمس تعداد سكان العالم)، فليس بوسهم تحدي الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري. بل إنه قد يبدو أن العالم الإسلامي أشد

عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من ان يحدث العكس، حيث إن مثل هذه الليبرالية قد اجتذبت إلى نفسها أنصارا عديدين وأقوياء من المسلمين على مدى القرن ونصف القرن الأخيرين.

والواقع أن أحد أسباب الصحوة الأصولية الراهنة هو قوة الخطر الملموس من جانب قيم الليبرالية الغربية على المجتمعات الإسلامية التقليدية."

الترجمة 2

"صحيح أن الإسلام يشكل نظاما إيديولوجيا آخر متماسكا، شأن الليبرالية والشيوعية، وله نظامه الأخلاقي الخاص ونظرته إلى العدالة الاجتماعية والسياسية. فدعوة الإسلام هي ذات طابع شمولي وهي تتوجه إلى جميع الناس كبشر ليس فقط باعتبارهم أعضاء في مجموعة إثنية أو قومية خاصة. والإسلام في الحقيقة هزم الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي وهو يشكل تهديدا كبيرا للممارسات الليبرالية، حتى في البلدان حيث لم يستطع استلام السلطة فيها مباشرة. لقد تلا انتهاء الحرب الباردة في أوروبا مباشرة تحد للغرب من قبل العراق، الذي نستطيع القول أن الإسلام كان فيه عاملا بارزا.

وبالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في تجدده الحالي، إلا أن هذا الدين لا يبدو أنه يمارس جاذبية خارج الأصقاع التي كانت إسلامية ثقافيا منذ بداياتها. فقد ولى **زمن**

الغزو الثقافي للإسلام كما يبدو، غنه يستطيع استعادة بلدان فلتت منه لفترة، ولكنه لا يقدّم أبدا الإغراءات لشبيبة برلين، طوكيو أو موسكو. إذا كان هناك مليار تقريبا ينتمون للثقافة الإسلامية، (أي خمس سكان العالم)، فإنهم لن يتمكنوا من مواجهة الديمقراطية الليبرالية في عقر دارها في مجال الأفكار. وعلى المدى الطويل قد يبدو أن العالم الإسلامي أكثر تعرضا للأفكار الليبرالية مما هو العكس، لأن لهذه الأفكار عددا كبيرا وقويا من المؤيدين تعاقبوا على مدى المئة وخمسين سنة الماضية، ويعود جزء من سبب التجدد الأصولي الراهن إلى قوة التهديد الذي تمارسه قيم الغرب الليبرالي على المجتمعات الإسلامية التقليدية."

تبدو الترجمة 1 متجهة صوب الهدف، وذلك من خلال تحررها من النقد والوصف السلبي الذي يقدمه الكاتب للإسلام، حيث اكتفت بوصفه بـ'التوسع الحضاري الإسلامي'، بينما كانت الترجمة 2 محافظة على روح النقد الذي وجهه كاتب النص الأصلي إلى الدين الإسلامي من خلال استخدامها لتعبير 'الغزو الثقافي الإسلامي'. ثم إن ذلك يبدو أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيديولوجيا اليسارية للمترجمين الثلاثة، فمعروف أن الإيديولوجيا اليسارية الشيوعية ترى في الإسلام عاملا رجعيا خلافا لها كإيديولوجيا تقدمية.

وقد كانت الترجمة 1 متجهة صوب الهدف على مستوى الألفاظ المستخدمة، من قبيل لفظ 'الهوى' الذي يكافئ لفظ الإغراء على حد ما ذهب إليه كاتب النص

الأصلي، أما الترجمة 2 فحافظت على تعبير كاتب النص الأصلي نفسه من خلال قولها 'تقديم الإغراءات'. وقد اختلفت الترجمتان من حيث تعاملهما المصطلحي مع مصطلح cultural حيث وردت في الترجمة 1 بـ 'الحضاري' بينما وردت في الترجمة 2 'الثقافي'، ويبدو أن لكل منهما ما يبرره فالترجمة 1 تعتمد على أن كاتب النص الأصلي يستقي أفكاره عن الإسلام من كتاب 'صراع الحضارات' فاستخدمت مصطلح الحضارة واشتقت منه مصطلح 'التوسع الحضاري' بينما اكتفت الترجمة 2 بالاعتماد على متن النص دون البحث في خلفياته.

وتبدو الترجمة 1 متجهة صوب الهدف على مستوى الألفاظ المستخدمة على غرار تعبير "الصحوة الأصولية" التي هي من صميم ثقافة اللغة العربية، بينما تعاملت معها الترجمة 2 تعاملا يبدو حرفيا يوحي بتوجهها صوب الأصل من خلال ترجمتها بـ 'التجدد الأصولي' وهو تعبير أقرب إلى اللغة الأصل بالمقارنة مع ما ذهبت إليه الترجمة 1.

4-3-19 النموذج 19

The question of whether there is such a thing as Universal History of mankind that takes into account the experiences of all times and all peoples is not new ; it is in fact a very old one which recent events compel us to raise anew. From the beginning, the most serious and most systematic attempts to write Universal Histories saw the central issue in history as the development of Freedom. History was not a blind concatenation of events, but a meaningful whole in which human ideas concerning the

nature of a just political and social order developed and played themselves out. And if we are now at a point where we cannot imagine a world substantially different from our own, in which there is no apparent or obvious way in which the future will represent a fundamental improvement over our current order, then we must also take into consideration the possibility that History itself might be at an end.

Part two, then, will take up the question of whether, at the end of the twentieth century, it makes sense for us to shake off our acquired pessimism and reconsider again whether it is possible to write a Universal History of mankind.

الترجمة 1

"وسؤالنا عما إذا كان ثمة تاريخ عالمي للبشرية يأخذ في اعتباره تجارب كافة العصور وكافة الشعوب، ليس سؤالا جديدا. فالسؤال قديم جدا وإن كانت الأحداث الأخيرة تضطرنا إلى إعادة طرحه من جديد. وقد كانت أكثر محاولات كتابة تاريخ عالمي جدية ومنطقية، ترى، ومنذ البداية، أن المحور الرئيسي للتاريخ هو نمو الحرية. فليس التاريخ سلسلة عمياء من الأحداث، وإنما هو كل ذو مغزى نمت فيه أفكار البشر حول طبيعة النظام السياسي والاجتماعي العادل ومضى بها إلى غاياتها. فإن كنا اليوم بلغنا مرحلة لا نستطيع معها أن نتخيل عالما شديد الاختلاف عن عالمنا، أو طريقة ظاهرة يصبح المستقبل فيها أفضل بكثير مما نحن فيه، فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار احتمال أن يكون التاريخ قد بلغ نهايته.

وعلى ذلك فإن الجزء الثاني من الكتاب سيتناول مسألة ما إذا كان من المصلحة، ونحن في نهاية القرن العشرين، أن نتخلى عن تشاؤمنا المكتسب، وأن نعيد النظر في موضوع إمكان كتابة تاريخ عالمي للبشرية."

الترجمة 2

" فالسؤال عما إذا كان هناك تاريخ شامل للبشرية يأخذ في الاعتبار تجارب كل الأزمان وكل الشعوب، ليس بالطبع سؤالا جديدا، بل هو بالأحرى سؤال قديم جدا ولكن الأحداث الراهنة تجبرنا على طرحه من جديد. فمنذ البداية اعتبرت المحاولات الأكثر جدية والأكثر منهجية لكتابة "تواريخ شاملة" أن تطور الحرية هو المحرك الرئيسي للتاريخ. فالتاريخ لم يكن تلاحقا أعمى للأحداث، بل كلا ذا دلالة تتطور فيه الأفكار الإنسانية المتعلقة بطبيعة النظام السياسي والاجتماعي وتزدهر. إذا بلغنا الآن نقطة لا نستطيع منها أن نتخيل عالما مختلفا جوهريا عن عالمنا، حيث لا وجود لأي مؤشر يدلنا على إمكانية التحسين الأساسي لنظامنا السائد، فإنه يتوجب علينا إذ ذاك أن نأخذ في الاعتبار إمكانية أن يصبح التاريخ عند نهايته.

وهكذا، فإن القسم الثاني من الكتاب سيتناول المسألة التالية: ألم يحن الوقت، بالنسبة لنا في نهاية القرن العشرين، لكي ننفض تشاؤمنا الموروث ونرى مجددا إذا كان بالمستطاع كتابة التاريخ الشامل للإنسانية.

تواصل الترجمة 1 توجهها صوب الهدف وذلك من خلال تحررها من ألفاظ النص الأصلي على غرار قول المترجم 'أكثر محاولات كتابة تاريخ عالمي جدية ومنطقية'، فقد استخدم المترجم لفظ 'منطقية' لترجمة 'systematic' رغم أن هذا اللفظ يبدو أنه يعني في النص الأصلي ما له علاقة بالتنظيم المحكم والمنهجية الصارمة، ويبدو في النص الأصلي بعيدا كل البعد عن معنى 'المنطقية' الذي اختاره المترجم.

غير أن المترجم حافظ على الرابط المنطقي بين فقرتي النص من خلال استخدامه لعبارة 'على ذلك' التي تكافئ ما جاء في النص الأصلي then فكلٌّ منهما يعبر عن النتيجة التي يسعى الكاتب إلى تقريرها من خلال التقديم لمضمون الجزء الثاني من الكتاب. رغم ذلك فقد واصلت الترجمة 1 الإشارة إلى حضور الكاتب في النص من خلال استخدامها لضمير المتكلم نحن في قول المترجم 'وسؤالنا' رغم أن النص الأصلي لا يشير من قريب ولا من بعيد إلى حضور الكاتب، خلافا لذلك، حافظت الترجمة 2 على غياب الكاتب عن التحليل وكذا حافظت على صيغة الجمع في قول الكاتب Universal Histories بقولها 'تواريخ شاملة' خلافا للترجمة 1 التي أغفلت صيغة الجمع هذه، وقد أدى ذلك على ما يبدو إلى خسارة جزئية مهمة تتعلق بالرابط بينها وبين 'المحاولات'، بما يوحي أن المحاولات الجادة أفضت إلى كتابة 'تواريخ' تختلف من ناحية وجهة نظرها، وهو ما أغفلته الترجمة 1.

يبدو لنا من خلال هذا التحليل المتواضع أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف بينما الترجمة 2 متجهة صوب الأصل، وذلك من خلال محافظتها على جُلّ الألفاظ التي جاءت في هذا النموذج على غرار صيغة الجمع في 'تواريخ شاملة'.

4-3-20 النموذج 20

The Old Age Of Mankind

الترجمة 1

" شيخوخة الجنس البشري"

الترجمة 2

" العهد القديم للإنسانية"

يبدو من خلال هذا النموذج توجه الترجمة 1 صوب الهدف، يما يبدو توجه الترجمة 2 صوب الأصل، وذلك من خلال تعاملهما مع هذا النموذج الذي هو عنوان الجزء الثاني من الكتاب. فالترجمة 1 تبدو قد تعاملت مع هذا العنوان من خلال مضمون الجزء الثاني الذي يشير فيه الكاتب إلى ان الجنس البشري بوجه عام قد بلغ مرحلة من التشبع التاريخي بالإنجازات البشرية لم يعد معها قادرا على مزيد من الإبداع والتطوير في مساق السيرورة التاريخية للبشر على وجه العموم، وهذا الوصول إلى مرحلة التشبع وعدم القدرة على تحقيق المزيد من الإبداع والتطوير والإنتاج الفكري والحضاري عبرت عنه الترجمة 1 بقولها 'شيخوخة الجنس البشري'

بناء على اعتبار أن الإنتاج والتطوير غالبا ما يكون في مرحلة الشباب، على خلاف مرحلة الشيخوخة التي يصاحبها الجنوح إلى الاستكانة والراحة. خلافا لذلك، اعتمدت الترجمة 2 على ظاهر العنوان لتترجمه بـ 'العهد القديم للإنسانية' بناء على أن الكاتب يستعرض في هذا الجزء إنجازات البشر كجنس منذ غابر العصور وهو ما عبرت عنه الترجمة 2 بـ'العهد القديم' وأغفلت جزئية مهمة تتعلق بعدم قدرة الجنس البشري على التطوير والتحسين أكثر مما هو قائم.

يبدو لنا من خلال هذا التحليل المتواضع أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف من خلال إضافتها للفظ 'شيخوخة' رغم عدم تضمن النص الأصل له، وقد كانت هذه الإضافة من قبيل الاستنتاج أو التلخيص لمضمون الجزء الثاني الذي يشكل هذا النموذج عنوانا له، بينما تعاملت الترجمة 2 مع هذا النموذج تعاملا حرفيا ظاهريا أدى بها على ما يبدو لأن تكون متجهة صوب الأصل.

4-3-21 النموذج 21

A Universal History of mankind is not the same thing as a history of the universe. That is, it is not an encyclopedic catalogue of everything that is known about humanty, but rather an attempt to find a meaningful pattern in the overall development of human societies generally. The effort to write a Universal History is itself not universal to all peoples and cultures. Despite the fact that the Western philosophical and historical tradition started in Greece, writers of Greek antiquity never undertook such a project. Plato in the Republic spoke about a certain natural cycle of the regimes, while Aristotle’s Politics discussed the causes of the revolution

and how one type of regimes yields to another. Aristotle believed that no regime could satisfy man completely, and that the dissatisfaction would lead man to replace one regime with another one in an endless cycle. Democracy did not occupy a special place in this sequence, either with respect to goodness or stability; in fact, both writers suggested that democracy had a tendency to give way to tyranny. Moreover, Aristotle did not assume the continuity of history. That is, he believed that the cycle of regimes was embedded in a larger natural cycle, whereby cataclysms like floods would periodically eliminate not only existing human societies, but all memory of them as well, forcing men to start historical progress over again from the beginning. In the Greek view, history thus is not secular but cyclical.

الترجمة 1

"ليس "التاريخ العالمي للبشرية" و"تاريخ العالم بعبارتين مترادفتين. فالأول ليس بقائمة موسوعية لكل ما هو معروف عن البشرية، وإنما هو محاولة اكتشاف نمط ذي مغزى لتطور المجتمعات البشرية بوجه عام. ومحاولة كتابة تاريخ عالمي ليست ذاتها بالمحاولة المعروفة لدى كل الشعوب وكل الحضارات، فبالرغم من أن التقاليد الفلسفية والتاريخية بدأت مع الإغريق، فإن الكُتاب من الإغريق لم ينهضوا بمثل هذه المهمة قط. لقد تحدث أفلاطون في جمهوريته عن دورة طبيعية معينة للأنظمة، بينما ناقش أرسطو في كتابه "السياسة" أسباب الثورة وكيفية حلول نوع من الأنظمة محل نوع آخر. وكان من رأي أرسطو أنه ما من نظام بوسعه أن يرضي المرء إرضاء تاما، وأن السخط قد يدفع الناس إلى إحلال نظام محل نظام آخر في دورة لا نهاية

لها. ولم تحتل الديموقراطية عندهما مكانة خاصة في هذه العملية التي تحدثا عنها، لا فيما يتصل بفضائلها ولا فيا يتصل بثباتها، وإنما كان من رأيهما ان الديموقراطية تفسح الطريق أمام الاستبداد. كذلك فإن أرسطو لم يفترض استمرار التاريخ. فهو يرى أن جذور دورة الأنظمة هي في دورة طبيعية أكبر، تحدث خلالها كوارث دورية كالفيضانات، فتقضي على المجتمعات البشرية فحسب، وإنما أيضا على كل الذكريات المتعلقة بها. لتجبر الإنسان على أن يبدأ مساره التاريخي ثانية من بدايته. فالتاريخ إذن في رأي الإغريق ليس علمانيا وإنما يدور في دورات."

الترجمة 2

"إن التاريخ الشامل للبشرية لا يعني تاريخ الكون. فهو ليس فهرسا موسوعيا لكل ما نعرفه عن الإنسانية، بل إنه بالأحرى محاولة إيجاد ترسيمة للتفسير تستجيب لتطور المجتمعات الإنسانية العام. ففكرة كتابة "تاريخ شامل" لم تتبنها كل الشعوب ولا كل الثقافات. بالرغم من ان التقليد الفلسفي والتاريخي للغرب ينطلق من اليونان، فإن فلاسفة اليونان لم يباشروا أبدا مثل هذا المشروع. لقد تحدث أفلاطون في كتاب الجمهورية عن دورة طبيعية معينة للأنظمة، بينما عرض أرسطو في كتاب السياسة أسباب الثورة وكيفية تحول بعض أنواع الأنظمة إلى أنواع أخرى. فأرسطو كان يعتقد أنه ليس من نظام سياسي يستطيع إرضاء الإنسان حقا، وان عدم الرضا الدائم هذا يدفع الإنسان إلى تغيير النظام بشكل مستمر في حركة دائرية لا نهاية لها. لم تكن

الديمقراطية تحتل أي موقع خاص في هذه الحركة لأسباب معينة تتعلق بالطيبة أو بالاستقرار، فهذان الفيلسوفان، بسبب تجربتهما مع تاريخ أثينا بلا شك، كانا يعتبران أن الديمقراطية تميل عامة إلى تهيئة الطريق للطغيان. لم يكن افلاطون ولا أرسطو يعتقدان بتواصل التاريخ. كانا يعتقدان ان الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات كانت تقضي دوريا ليس فقط على جميع المجتمعات الإنسانية الموجودة على سطح الأرض، بل تلغي ذكرها وتجبر الناس على إعادة البدء في العملية التاريخية من أولها. فالتاريخ بحسب المفهوم اليوناني ليس طوليا، بل دوريا."

رغم تواصل توجه الترجمة 1 صوب الهدف إلا أن هذا النموذج يوحي بتوجهها شيئا ما صوب الأصل وذلك من خلال استخدامها للفظ الإغريق الذي يبدو قريبا من الأصل Greek ولعل هذا الاختيار من الترجمة 1 له ما يبرره خاصة إذا علمنا أن لفظ الإغريق باللغة العربية عادة ما يطلق للدلالة على الحضارة اليونانية القديمة على خلاف 'اليونان' الذي يدل على البلد. غير أن الترجمة 1 عمدت إلى حذف اجزاء مهمة من النص الأصلي على غرار الإشارة إلى ان الإغريق يشكلون المرجعية التي ينتمي إليها الفكر الغربي حسب ما كان عليه مضمون النص الأصلي، فيقول المترجم 'على الرغم من أن التقاليد الفلسفية والتاريخية بدأت مع الإغريق' ولم يُشر إلى أن هذه التقاليد تشكل المرجعية التي يستند إليها الفكر الغربي. كذلك اتجهت الترجمة 1 اتجاها أدبيا معينا من خلال استعمالها للفظ 'المرء'

لترجمة man على الرغم من أن المراد بهذه الكلمة هو الإنسان على وجه العموم وليس الرجل دون المرأة، فهذا التعبير 'المرء' أفقد الترجمة شمولية لفظ man الذي يكافئه لفظ الانسان في اللغة العربية. ويبدو كذلك على الترجمة 1 عدم تقيدها بالدقة المصطلحية المطلوبة من خلال ترجمتها لمصطلح secular بـ'العلماني' رغم أن المصطلح في هذا السياق يعني الشكل الطولي أو الاستمراري الذي يقابله الشكل الدائري أو الدوراني cyclical وهو ما أفقد الترجمة الدقة في استعمال المصطلح اللازم. خلافا لذلك، تبدو الترجمة 2 متقيدة بدقة المصطلحات المستعملة بالمقارنة مع الترجمة 1 غير أنها عمدت إلى إضافة عبارة لم يتضمنها النص الأصلي، هي عبارة: 'بسبب تجربتهما الطويلة مع تاريخ أثينا بلا شك'، وقد كان يكفي من القائمين على هذه الترجمة وضعها بين قوسين للإشارة إلى أنها من تعبير المترجمين وليست مُتضمّنة في متن النص الأصلي.

4-3-22 النموذج 22

The first truly Universal Histories in the Western tradition were Christian. While there were Greek and Roman efforts to write histories of the known world, it was Christianity that first introduced the concept of the equality of all men in the sight of God, and thereby conceived of a shared destiny for all the peoples of the world. A Christian historian as Saint Augustine had no interest in the histories of the Greeks or the Jews as such; what mattered was the redemption of man as man, an event that would constitute the working out of God's will on earth. All nations were but branches of a more general humanity, whose fate would be understood in terms of

God's plan for mankind. Christianity moreover introduced the concept of a history that was finite in time, beginning with God's creation of man and ending with his final salvation. For Christians, the end of earthly history would be marked with the day of judgment that would usher in the kingdom of heaven, at which point earth and earthly events would cease to exist. As the Christian account of history makes clear, an "end of history" is implicit in the writing of all Universal Histories. The particular events of history can become meaningful only with respect to a larger end or goal, the achievement of which necessarily brings the historical process to a close. This final end is what makes all particular events potentially intelligible.

الترجمة 1

"وأول روايات عن تاريخ عالمي حقيقي في التراث الغربي هي روايات مسيحية. فبينما كانت هناك محاولات يونانية ورومانية لكتابة تاريخ العالم المعروف في ذلك الوقت، فإن المسيحية هي أول من جاء بمفهوم المساواة بين البشر أمام الله، وتخيلت بذلك مصيرا مشتركا لكل شعوب الأرض. فمؤرخ مسيحي مثل القديس أوغسطين لم تكن تهمه التواريخ الخاصة بالإغريق أو باليهود باعتبارهم إغريقيين أو يهودا، وإنما كان يهمه خلاص الإنسان بوصفه إنسانا، وهو حدث يشبه تحقيق الإرادة الإلهية في الأرض. وما كل الأمم غير فروع في شجرة البشرية الكبرى، ولن يُفهم مصيرها إلا على ضوء فهم التدبير الإلهي للبشر. كذلك أدخلت المسيحية مفهوم التاريخ باعتباره محدودا في الزمن، فهو يبدأ بخلق الله للإنسان وينتهي بخلاص الإنسان النهائي. ويؤمن المسيحيون بأن نهاية تاريخ كوكبنا هي بحلول يوم

الحساب والذي يبدأ معه ملكوت السماء، وعندها تنتهي الأرض وأحداث الأرض. ويوضح المفهوم المسيحي أن "نهاية التاريخ" فكرة كامنة في كل التواريخ العالمية. ولا يمكن أن يكون لأحداث تاريخية معينة أهمية إلا في ضوء علاقتها بهدف أو غاية أعظم. وهي غاية متى تحققت تنتهي بتحققها بالضرورة مسيرة التاريخ. فالهدف النهائي للبشرية هو وحده الذي يمكنه أن يفسّر كل الأحداث."

الترجمة 2

" إن "التواريخ الشاملة" الحقيقية كانت في التقليد الغربي مسيحية. لقد حاول اليونانيون والرومان كتابة أخبار وتواريخ العالم المعروف، والمسيحية كانت أول من أدخل مفهوم مساواة جميع البشر بنظر الله، وبالتالي مفهوم المصير المكتوب لجميع شعوب العالم. فالقديس أوغسطينوس لم يكن أبدا يهتم بالتواريخ الخاصة باليهود أو باليونان بحد ذاتها، فالمهم هو خلاص الإنسان كإنسان، وهو حدث قد يشكل اكتمال إرادة الله على الأرض. جميع الشعوب لم تكن سوى فروع لإنسانية أكثر عمومية، يمكن تفسير مصيرها وفق ما خططه الله للجنس الإنساني بمجمله. وقد أدخلت المسيحية بذلك مفهوم التاريخ الذي ينتهي في الزمن، يبدأ مع خلق الإنسان من قبل الله وينتهي بخلاصه. إن نهاية التاريخ الأرضي، بالنسبة للمسيحيين يحكمها يوم الدينونة الأكبر الذي يفتح ملكوت السماوات، في هذه اللحظة، لا تعود الأرض والأحداث الأرضية موجودة بالمعنى الحرفي. هذا الاختصار للتاريخ وفق العقيدة

المسيحية يدل بوضوح على أن "نهاية التاريخ" موجودة ضمنا في فكرة كتابة أي تاريخ شامل بالذات. إن أحداث هذا التاريخ الخاصة لا يمكن أن تكون ذات مغزى إلا من زاوية أوسع وأكثر شمولية، يحمل تحقيقها معه بالضرورة نهاية السيرورة التاريخية. فنهاية الإنسان هذه والإنسانية هو ما يجعل جميع الأحداث الخاصة مفهومة بالقوة."

يبدو لنا من خلال هذا النموذج أن الترجمة 1 أكثر توجها صوب الهدف بالمقارنة مع الترجمة 2، ذلك أنها تعتمد على التراث المسيحي الشرقي في بعض الألفاظ المستعملة على غرار لفظ 'رواية' في قول المترجم 'وأول روايات عن تاريخ عالمي حقيقي...'، كما كانت معتمدة على التراث الإسلامي كذلك في تعاملها مع 'المساواة أمام الله' حيث اتجهت اتجاها أقرب إلى الهدف منه إلى الأصل بالمقارنة مع الترجمة 2 التي كان لها اتجاه معاكس يظهر من خلال قولها 'مساواة جميع البشر بنظر الله'. وقد اكتفت الترجمة 1 بالنص الأصلي في اقتراض اسم العلم (القديس أوغسطين) بينما تعدّت الترجمة 2 إلى اسمه الأصلي مقترضة إياه من اللغة اللاتينية (القديس أوغسطينوس). ويبدو كذلك توجه الترجمة 2 صوب الأصل من خلال تعاملها الحرفي في قولها 'جميع الشعوب لك تكن سوى فروع لإنسانية أكثر عمومية' على خلاف الترجمة 1 التي تعاملت معها تعاملا خاصا أفضى إلى تكافؤ من نوع أسلوبي حقّقته بالاعتماد على أسلوب الحصر وذلك في قولها ' وما كل الأمم

غير فروع في شجرة البشرية الكبرى'. من خلال هذا التحليل نصل إلى أن الترجمة 1 كانت متجهة صوب الهدف، بينما كانت الترجمة 2 متجهة صوب الأصل.

4-3-23 النموذج 23

Kant suggested that history would have an end point, that is to say, a final purpose that was implied in man's current potentialities and which made th whole history intelligible. This end point was the realization of man's freedom, for 'a society in which freedom under external laws is associated in the highest degree with irresistible power, i-e, a perfectly civic just constitution, is the highest problem Nature assigns to the human race'. The achievement of such a civic constitution and its universalization throughout the world would then be the criterion by which one could understand progress in history. It also provided a standard by which one could undertake the tremendous effort of abstraction required to separate what was essential in this evolution from the great mass of facts about events that constitute the raw material of history. The question to be answered by a Universal History then was whether, when taking all societies and all times into account, there was overall reason to expect general human progress in the direction of republican government, that is, what we today understand as liberal democracy.

الترجمة 1

"وقد ذهب كانط إلى أن التاريخ ستكون له نهاية، أي هدف نهائي توحي به الإمكانيات الراهنة عند الإنسان، ويفسر لنا التاريخ كله. هذه النقطة النهائية هي تحقيق الحرية للإنسان. "ذلك أن المجتمع الذي ترتبط فيه الحرية الخاضعة

لقوانين خارجية ارتباطا وثيقا بقوة لا تُقهر، (كدستور مدني كامل للعدالة)، هو أسمى معضلة كلفت الطبيعة الجنس البشري بحلها". والتوصل إلى مثل هذا الدستور المدني العادل، وكذا تعميمه على جميع بلدان العالم، سيكونان المعيار الذي يتيح لنا فهم التقدم في التاريخ، والذي يمكننا من النهوض بذلك الجهد الضخم من التجريد الذي يتطلبه الفصل بين ما هو جوهري في هذا التطور وبين تلك المجموعة الضخمة من الحقائق عن أحداث تشكل المادة الخام للتاريخ. والسؤال الذي ينبغي أن يجيب عنه التاريخ العالمي هو: ما إذا كان بوسعنا، (متى أخذنا في الاعتبار كافة المجتمعات وكافة العصور) أن نتبين سببا يدعونا إلى توقع حدوث تقدم عام للبشرية صوب حكومة جمهورية، أي صوب ما نسميه اليوم بالديموقراطية الليبرالية."

الترجمة 2

"كان كانط يوحي بأن للتاريخ نقطة نهائية، أي له هدف نهائي تفترضه ضمنا إمكانات الإنسان الجارية، وهذا الهدف يجعل مجمل التاريخ قابلا للفهم. كانت هذه النقطة النهائية تحقيق الحرية الإنسانية لأن "المجتمع الذي ترتبط فيه الحرية على أعلى مستوى في ظل قوانين خارجية بسلطة قوية جدا، أي بدستور مدني عادل تماما، هو المشكلة الأكثر صعوبة الذي تفرض الطبيعة على الجنس الإنساني". فتحقيق مثل هذا الدستور ونشره الشامل على العالم هو إذا الإرادة الذي بواسطتها نستطيع أن نفهم التقدم في التاريخ. وهو يعطي أيضا المعيار الذي يسمح ببذل جهد

هائل من التجريد لفصل ما كان أساسيا في تطور الجمهور الكبير هذا عن الوقائع الحديثة التي تشكل المادة الخام للتاريخ. فالسؤال الذي يجب أن يجيب عليه التاريخ الشامل كان آنذاك كان التالي: إذا أخذنا كل المجتمعات وكل العصور في الاعتبار، هل هناك سبب صالح على المستوى الشمولي يجعلنا نأمل بوجود تقدم إنساني عام باتّجاه الحكم الجمهوري، أي ما نعني به اليوم الديمقراطية الليبرالية؟"

يبدو لنا من خلال هذا النموذج أن الترجمة 1 متجهة صوب الهدف target oriented ذلك أنها تستخدم عبارات عربية خالصة لتبيان المدرسة الفلسفية، على غرار قول المترجم 'وقد ذهب كانط إلى أن التاريخ....' حيث استوحى المترجم هذا التعبير على ما يبدو من التراث الفقهي الذي يشكل في اللغة العربية خلفية للتعبير عن الرأي في القضايا الخلافية، حيث يفتتح القول عموما بالفعل 'ذهب' للدلالة على مذهب صاحب القول أو صاحب التعبير، غير أن هذه الترجمة أسرفت في استخدام الأقواس التوضيحية على في متن الترجمة على نحو يربك القارئ ومن شأنه أن يُضعف تركيزه على الأفكار الأساسية التي سعى كاتب النص الأصلي إلى التعبير عنها، وقد كان يكفي المترجم أن يستعين بالجمل الاعتراضية للتعبير عن ذلك. كذلك، أغفلت الترجمة 1 جزئية مهمة تتعلق بالزمن الفعلي حيث أن كاتب النص الأصلي يبدو وكأنه في مقام سرد لرأي الفيلسوف الألماني كانط الذي سبقه مستعملا الزمن الفعلي الماضي الملائم لمثل هذا الغرض، وهو ما أغفله المترجم في قوله على سبيل المثال

'والسؤال الذي ينبغي للتاريخ العالمي أن يجيب عليه...'. خلافا لذلك، حافظت الترجمة 2 على الزمن الفعلي الماضي للنص الأصلي من خلال قولها –على سبيل المثال– 'فالسؤال الذي يجب أن يجيب عليه التاريخ الشامل كان آنذاك...'، غير أن ما تُصر عليه هذه الترجمة هو إضافة مصطلح "شمولي" في كل مرة إلى متن الترجمة رغم عدم تضمن النص الأصلي لما يعني مثل هذا المصطلح، على غرار قولها 'هل هناك سبب صالح على المستوى الشمولي...' لترجمة whether there was an overall reason رغم أن overall في هذا المقام تعني سببا مشتركا، أو سببا عاما، أو سببا تشترك فيه كل المجتمعات وكل العصور إلخ... إن إرفاق الترجمة بلفظ "شمولي" رغم عدم احتواء النص الأصلي ما يعنيه بشكل مباشر يطرح العديد من التساؤلات حول المقصد الذي يهدف إليه القائمون على الترجمة 2 من تضمين هذا المصطلح؟ خاصة ونحن نعلم أنه مصطلح لا يحظى بالتقدير في لغة العلوم السياسية التي تشكل حقل اهتمام المدونة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كون النص الذي نحن بصدد دراسة ترجمته نصا فكريا بالدرجة الأولى لا يخلو التعامل معه من تضمنه للبصمة الأيديولوجية للمترجم.

4-3-24 النموذج 24

Where Hegel differed most substantially from earlier writers of Universal Histories was in his vastly more profound philosophical grounding for concepts such as nature, history, freedom, truth, and reason. While Hegel may not have been the first philosopher to write about history, he was the first historicist philosopher- that is, a

philosopher who believed in the essential historical relativity of truth. Hegel maintained that all human consciousness was limited by the particular conditions of man's surrounding environment- or as we say 'the times'. Past thought, whether of ordinary people or of great philosophers and scientists, was not true absolutely or 'objectively', but only relative to the historical or cultural horizon within which that person lived. Human history must therefore be seen not only as a succession of different civilizations and levels of material accomplishment, but more importantly as a succession of different forms of consciousness. Consciousness, -the way in which human beings think about fundamental questions of what is right and wrong, the activities they find satisfying, their beliefs about the gods, even the way in which they perceive the world- has changed fundamentally over time. And since these perspectives were mutually contradictory, it follows that the vast majority of them were wrong, or forms of 'false consciousness' to be unmasked by subsequent history. The world's great religions, according to Hegel, were not true in themselves, but were ideologies which arose of the particular historical needs of the people who believed in them. Christianity, in particular, was an ideology which grew out of slavery, and whose proclamation of universal equality served the interests of slaves in their own liberation.

الترجمة 1

"ويختلف هيجل اختلافا عميقا عن المؤلفين السابقين للتواريخ العالمية من حيث مفاهيمه الفلسفية الأعمق بكثير عن أمور مثل الطبيعة، والحرية والتاريخ والحق والعقل. ورغم أن هيجل قد لا يكون أول فيلسوف يكتب عن التاريخ، فهو أول

فيلسوف تاريخي، أي الفيلسوف الذي يؤمن بجوهر النسبية التاريخية للحقيقة. فهو يرى أن الوعي البشري محدود بالظروف الاجتماعية والحضارية الخاصة بالبيئة المحيطة بالإنسان، أو بما نسميه نحن الأزمنة. فتفكير الناس في الماضي – سواء كانوا أناسا عاديين أو فلاسفة أو علماء كبارا– ليس صحيحا صحة مطلقة أو صحة موضوعية، وإنما هو صحيح بالنسبة للأفق التاريخي أو الحضاري لكل فرد في زمنه. وعلى هذا يجب أن ننظر إلى تاريخ البشرية باعتباره تسلسلا للحضارات ومختلف مستويات الإنجاز المادي، ثم أيضا –وهو الأهم– باعتباره تسلسلا لأشكال مختلفة من الوعي، فالوعي (أي الطريقة التي يفكر بها البشر في مسائل الحق والباطل الأساسية و أوجه النشاط التي ترضيهم ومعتقداتهم في الآلهة بل حتى في نظرتهم إلى العالم) قد تغير تغيرا جوهريا عبر الأزمنة. وحيث إن هذه الأطر كانت متناقضة بعضها مع البعض، فمن المحتم أن تكون الغالبية العظمى منها على خطأ، أي صور من 'وعي زائف'، يكشف عن زيفها التاريخ اللاحق. ويرى هيجل أن ديانات العالم ليست صحيحة في حد ذاتها، وإنما هي أيديولوجيات نمت عن الحاجات التاريخية للشعب الذي آمن بها. والمسيحية بالأخص هي أيديولوجيا نجمت عن العبودية، وجاء إعلانها عن المساواة بين الجميع ليخدم العبيد في نيل حريتهم.

الترجمة 2

"إن الفارق الأساسي بين هيغل وكتاب التاريخ الشامل الذين سبقوه يعود إلى التعمق فلسفيا في مفاهيم الطبيعة والتاريخ والحرية والعقل. وإن لم يكن هيغل أول فيلسوف كتب عن التاريخ، فهو أول فيلسوف مؤرخ، أي أول فيلسوف يؤمن بالنسبية التاريخية الأساسية لكل حقيقة. كان هيغل يعتبر أن كل وعي إنساني يتحدد بشروطه الخاصة بالمحيط الاقتصادي والثقافي– أي بما يحمله الزمن كما يقال. فالفكر الماضي، أكان فكر الناس العاديين أو فكر كبار العلماء وكبار الفلاسفة، لم يكن صحيحا في المطلق أو بشكل موضوعي، إنما كان نسبيا نظرا لعلاقته بالأفق التاريخي والثقافي الذي يعيش فيه الأشخاص المعنيون. فالتاريخ الانساني يجب ألا يعتبر إذا مجرد تتابع للحضارات المختلفة أو لمستويات الثقافة المادية، بل يجب أن يعتبر –بشكل أكثر أهمية– كتتابع لأشكال مختلفة من الوعي. فالوعي –وهي الصيغة التي تدرك بها الكائنات الانسانية مشاكل الخير والشر والنشاطات التي تجدها مرضية ومعتقداتها بمختلف أنواع الألوهية، وحتى تدرك بها العالم بمجمله– هذا الوعي قد تغير جذريا خلال مجرى الزمن. وبما أن هذه المنظورات كانت متناقضة فيما بينها، ينجم عن ذلك أن معظمها كان خاطئا، أو كان أيضا أشكالا "للوعي الخاطئ" الذي يفترض بالتاريخ اللاحق كشفه، فالأديان العالمية الكبرى لم تكن، بالنسبة لهيغل صحيحة في ذاتها، فهي ليست سوى إيديولوجيات منبثقة عن الحاجات التاريخية الخاصة للشعوب التي تؤمن بها. والمسيحية بشكل خاص هي

إيديولوجيا ولدت من العبودية، ما إن أعلنت المساواة الشاملة بين الإنسان، حتى راح العبيد يستخدمونها للمطالبة بتحررهم الذاتي."

ما تزال الترجمة 1 تلجأ إلى استخدام الأقواس التفسيرية ف متن الترجمة رغبة منها في تفسير بعض الأمور الواردة في النص الأصلي رغم عدم احتواء النص الأصلي على مثل هذه الأقواس، وذلك ما من شأنه أن يربك القارئ ويضعف تركيزه على الفكرة الأساسية. فكان بإمكان المترجم أن يستخدم الجمل الاعتراضية أو يلجأ الى الاعتماد على الترجمة بالهوامش gloss translation لتفسير ما يراه غامضا أو مبهما بالنسبة للقارئ العربي، خلافا لذلك، لم تتضمن الترجمة 2 على أي من هذه الأقواس التفسيرية في متنها محافظة بذلك على تركيز القارئ على مضمون النص.

ونلاحظ من خلال هذا النموذج أن انتماء المترجم في الترجمة 1 إلى المجتمع المصري كان له ظهوره البارز في هذا النموذج من خلال اقتراضه لاسم الفيلسوف الألماني Hegel حيث عوضه بـ'هيجل' اعتمادا على نطق المصريين لحرف الجيم في اللغة العربية، على خلاف الترجمة 2 التي عوضته بـ 'هيغل' عملا بقاعدة نقل الأصوات الأجنبية بالأصوات الأقرب منها في اللغة العربية. كذلك، تواصل اختلاف التعامل المصطلحي بين الترجمتين 1 و2 فقد نقلت الترجمة 1 مصطلح cultural بـ'الحضاري' بينما نقلته الترجمة 2 بـ'الثقافي' ولكل من الخيارين ما يبرره، فالترجمة 1 بنت اختيارها على اعتبار أن الظرف الحضاري الذي يعيش فيه الانسان يؤثر على

شكل وعيه وعلى طريقة بنائه للحقيقة، بينما اعتمدت الترجمة 2 على اعتبار أن المستوى الثقافي للانسان يؤثر على شكل وعيه وتصوره للحقيقة ومضمونها، وهما خياران رغم اختلافهما إلا أنهما مبرران خاصة بالنظر إلى أن المصطلح المعني من مصطلحات العلوم الانسانية التي لا تحظى طريقة ترجمتها بالإجماع في الغالب الأعم.

4-3-25 النموذج 25

From the moment Hegel formulated his system, people were inclined to take seriously his claim that history ended with the modern liberal state. Almost immediately, Hegel came under attack from the other great nineteenth century writer of Universal History, Karl Marx. Indeed, we are unaware of our intellectual debt to Hegel in large part because his legacy has passed to us via Marx, who appropriated large parts of the Hegelian system for his own purposes. Marx accepted from Hegel a view of the fundamental historicity of human affairs, the notion that human society has evolved over the course of time from primitive social structures to more complex and highly developed ones. He agreed as well that historical process is fundamentally dialectical, that is, that earlier forms of political and social organization contained internal ‘contradictions’ that became evident over time and led to their downfall and replacement by something higher. And Marx shared Hegel’s belief in the possibility of an end of history. That is, he foresaw a final form of society that was free from contradictions, and whose achievement would terminate the historical process.

الترجمة 1

"ومنذ اللحظة التي صاغ فيها هيجل مذهبه هذا، لم يكن الناس مستعدين لأن يأخذوا على منحى جدي، زعمه بأن التاريخ قد انتهى بقيام الدولة الليبرالية الحديثة. فقد تعرض هيجل على الفور لهجوم شنه عليه ذلك الكاتب العظيم الآخر من كتّاب التاريخ العالمي في القرن التاسع عشر، وهو كارل ماركس. والواقع أن جهلنا بديننا الفكري لهيجل يرجع إلى حد كبير أن جزءا من تراثه انتقل إلينا عن طريق ماركس الذي استخدم جزءا كبيرا من أفكار هيجل لخدمة أغراضه هو. لقد قبل ماركس من هيجل فكرة التاريخية الأساسية لشؤون البشر، أي فكرة أن المجتمع الإنساني تطور عبر الازمنة من البناء الاجتماعي البدائي إلى أبنية أكثر تقيدا وأرقى تطورا. كذلك فقد وافق معه على أن المسار التاريخي هو في أساسه جدلي، أي أن الأشكال السالفة للنظام السياسي والاجتماعي حوت 'تناقضات' داخلية اتضحت بمرور الزمن، وأدّت إلى سقوطها وحلول أشكال أرقى محلها. كما اتّفق ماركس مع هيجل على احتمال انتهاء التاريخ، متنبئا ببزوغ شكل نهائي للمجتمع، خال من التناقضات، يكون في تحقيقه نهاية المسار التاريخي."

الترجمة 2

"منذ صياغة هذه الفكرة والمفكرون مترددون في القبول جديا بفكرة ان ينتهي التاريخ مع ظهور الدولة الليبرالية الحديثة. وعلى الفور تقريبا، هوجم هيغل من

الكاتب الكبير الآخر للتاريخ الشامل في القرن التاسع عشر، وهو كارل ماركس. في الواقع، لم نكن واعين بديننا الفكري تجاه هيغل، وذلك لأن إرثه قد انتقل إلينا بشكل أساسي عبر ماركس الذي استعمل أجزاء واسعة من النظام الهيغلي لحاجاته الخاصة –والباقي قام بانتقاده بعنف شديد. تلقى ماركس ن هيغل مفهوم التاريخية الأساسية للقضايا الإنسانية، والمفهوم القائل إن مجتمع الناس قد تطوّر على مر العصور منذ البنى الاجتماعية التقليدية وحتى التجمعات الأكثر تعقيدا والعالية التطور. وقد أخذ عنه أيضا الفكرة القائلة بأن السيرورة التاريخية في أساسها ديالكتيكية، أي أن الأشكال الأولى للتنظيم السياسي والاجتماعي كانت تحوي "تناقضات" داخلية تأكدت مع الزمن وأدت إلى تدهورها واستبدالها بتنظيم أكثر تطورا. وكان ماركس يشاطر هيغل أيضا اعتقاده حول احتمال نهاية التاريخ، وهو قد توقع بالفعل شكلا نهائيا للمجتمع المتحرر من التناقضات الذي بتحقيقه قد ينهي السيرورة التاريخية."

يبدو لنا من خلال هذا النموذج أن الترجمة 2 أكثر توجها صوب الأصل من الترجمة 1 وذلك من خلال اقتراضها لمصطلح 'ديالكتيكية' التي تعني الجدلية، وقد تمت ترجمتها من قبل على أنها مصطلح معروف في فلسفة الفيلسوف الألماني هيجل إلى جانب ميلها إلى محاكاة الأبنية اللغوية في النص الأصلي على غرار قولها 'وعلى الفور تقريبا، هوجم هيغل من الكاتب الآخر...'. كما يبدو أن الترجمة 2 لم تكن دقيقة في اختيارها للمصطلح المناسب لـ universal histories الذي ترجمته بـ

'التاريخ الشامل' رغم وضوح مقصد الكاتب الذي يرمي إلى التاريخ العالمي الذي تشترك فيه كل الأمم. وقد كانت الترجمة 1 أكثر توجها صوب الهدف خاصة من خلال ترجمتها لـ hegelian system بـ 'الأفكار الهيجلية' على خلاف الترجمة 2 التي ترجمتها بـ 'النظام الهيغلي' متجهة بذلك توجها حرفيا خالصا، ولعل الترجمة 1 أوفق من الترجمة 2 في اختيارها ذلك أن النص الأصلي لم يتضمن ما يشير إلى النظام الهيجلي أو يشرحه بالتفصيل ويبيّن مكوّناته لذلك يبدو أن مصطلح 'النظام الهيغلي' مصطلح غامض نوعا ما بالنسبة للقارئ العربي على خلاف 'الأفكار الهيجلية' التي تبدو ترجمة مقبولة بنسبتها إلى هيجل أفكارا لا نظاما غير واضح المعالم في النص.

4-3-26 النموذج 26

Scientific knowledge has been accumulating for a very long period, and has had a consistent if frequently unperceived effect in shaping the fundamental character of the human societies. Those that possess ferrous metallurgy and agriculture were quite different from ones that knew only stone tools or hunting and gathering. But a qualitative change occurred in the relationship of scientific knowledge to the historical process with the rise of modern natural science, that is, from the discovery of scientific method from men like Descartes, Bacon, and Spinoza in the sixteenth and seventeenth centuries. The possibility of mastering nature opened by modern natural science was not a universal feature of all societies, but had to be invented at a certain point in history by Europeans. However, once having been invented, the scientific method became a universal possession of rational man, potentially accessible to everyone regardless of differences in culture or nationality. Discovery of the scientific

method created a fundamental, non-cyclical division of historical time into periods before and after. And once discovered, the progressive and continuous unfolding of modern natural science has provided a directional Mechanism for explaining many aspects of subsequent history and development.

الترجمة 1

"لقد ظلت المعارف العلمية تتراكم منذ زمن بعيد جدا، وكان لها تأثير دائم (وإن كان خفيا أحيانا) في تشكيل الطبيعة الأساسية للمجتمعات البشرية. فالمجتمعات التي لديها الحديد والزراعة تختلف عن تلك التي لم تعرف غير الأدوات الحجرية والقنص وجمع الثمار. غير أن تغيرا كيفيا طرأ على العلاقة بين المعارف العلمية والمسار التاريخي بظهور العلوم الطبيعية 'الحديثة'، أي حين تم اكتشاف المنهج العلمي بفضل أناس مثل ديكارت وبيكون وسبينوزا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. ولم تكن إمكانية السيطرة على الطبيعة التي وفرتها العلوم الطبيعية الحديثة قائمة في المجتمعات كافة، وإنما أتيح ابتكارها عند نقطة تاريخية معينة بفضل بعض الأوروبيين. غير أنه باكتشاف المنهج العلمي أصبح المنهج ملكا شائعا بين الناس كافة، وفي متناول الجميع بغض النظر عن الثقافات والقوميات. فاكتشافه أحدث قسمة أساسية غير دورية في الزمن التاريخي إلى الفترة السابقة عليه والفترة التالية له. كما ان الازدهار المتصل والمطرد للعلوم الطبيعية الحديثة (بفضل

اكتشاف المنهج العلمي) وفر آلية غائية لشرح العديد من مظاهر التطور التاريخي اللاحق."

الترجمة 2

"لقد تراكمت المعرفة العلمية خلال زمن طويل جدا وكان لها تأثير ثابت على تكوين الطابع الأساسي للمجتمعات الانسانية، وحتى و إن لم نتبين ذلك دائما. وهكذا، فالثقافات التي كانت تمتلك معدن الحديد والزراعة كانت مختلفة جدا عن تلك التي لا تعرف إلا أدوات المعدن القلوي (ليتيوم) وأدوات الصيد والقطاف. ولكنه حدث تغير نوعي في العلاقة بين المعرفة العلمية والسيرورة التاريخية مع تقدم علم الفيزياء الحديث، أي منذ اكتشاف الطريقة العلمية من قبل أشخاص مثل ديكارت، بايكون، سبينوزا في القرنين السادس عشر و السابع عشر. فإمكانية السيطرة على الطبيعة التي فتحتها الفيزياء الحديثة، لم تكن سمة مشتركة بين جميع المجتمعات، ولكنها اكتشفت في لحظة تاريخية معينة من قبل الأوروبيين. إلا أن الطريقة العلمية ما أن اكتشفت حتى صارت ملكا مشاعا شاملا لكل إنسان مزود بعقل، وهي بالقوة في متناول كل فرد دون الأخذ في عين الاعتبار الفوارق في الثقافة أو في القومية. لقد أولد اكتشاف الطريقة العلمية تقسيما أساسيا وليس دوريا للأزمنة التاريخية إلى حقبات "ما قبل" و "ما بعد". وعندما تم الاكتشاف قدم التطور التاريخي و المتواصل للفيزياء الحديثة أوّالية توجه تفسر فعلا اوجه التطور التاريخي التالي."

يبدو أن الترجمة 2 متجهة صوب الأصل أكثر من النماذج السابقة وذلك لأنها تلجأ إلى محاكاة نمط التعبير المستخدم في النص الأصلي، كما أنها أضافت مصطلحا غير موجود في النص الأصلي وهو مصطلح ليتيوم من خلال قولها 'لا تعرف إلا أدوات المعدن القلوي (ليتيوم)' حيث لم يرد في النص الأصلي أي ذكر لمعدن الليتيوم. كذلك، يبدو أن اختيار الترجمة 2 لك يكن موفقا في ترجمة عبارة mastering of the nature بقولها 'السيطرة على الطبيعة' بل كان المقصود من الكاتب على ما يبدو 'التحكم في الطبيعة' أو بشكل أدقّ في القوانين التي تحكم الطبيعة، لأن الأمر يتعلق بالمعرفة العلمية التي تتيح كشف القوانين المتحكمة في الطبيعة من خلال اتباع المنهج العلمي الذي أسهب الكاتب في شرحه. كما أن اختيار الترجمة 2 لمصطلح 'فيزياء' لترجمة natural science لم يكن اختيارا دقيقا، حيث أن المصطلح يعني كل العلوم الطبيعية التي تخضع للمنهج العلمي وليس الفيزياء وحدها، إضافة إلى قولها 'الطريقة العلمية' لترجمة scientific method حيث المعنى من هذا المصطلح 'المنهج العلمي' أو 'المنهجية العلمية' وليس الطريقة لأنها لفظ عام وليس مصطلحا دقيقا يفي بالغرض في هذا السياق. يبدو أن التوجه الحرفي الذي اختارته الترجمة 2 أدى إلى الوقوع في مثل هذه الخيارات غير الدقيقة وذلك بالخصوص نظرا لتوجهها صوب الأصل. خلافا لذلك، توجهت الترجمة 1 صوب الهدف، لكنها–فيما يبدو– لم تتضمن أية إضافة إلى متن النص الأصلي كما أنها لم تحد عن المصطلحات

المستعملة، غير أنها، مثل النماذج السابقة، استعملت الأقواس التفسيرية غير مكثرة منها هذه المرة، وقد كان يكفي منها الجمل الاعتراضية، أو اللجوء إلى الترجمة بالهوامش.

4-3-27 النموذج 27

The possibility of war is a great force for the rationalization of societies and for the creation of uniform social structure across cultures. Any state that hopes to maintain its political autonomy is forced to adopt the technology of its enemies and rivals. More than that, however, the threat of war forces states to restructure their social systems along lines most conductive to producing and deploying technology. For example, states must be of a certain size in order to complete with their neighbors, which creates powerful incentives for national unity; they must be able to mobilize resources on a national level, which requires the creation of a strong centralized state authority with the power of taxation and regulation; they must break down the various forms of regional, religious, and kinship ties which potentially obstruct national unity; they must increase educational levels in order to produce an elite capable of disposing of technology; they must maintain contact with and awareness of developments taking place beyond their borders; and, with the introduction of mass armies during the Napoleonic Wars, they must at least open the doors to the enfranchisement of the poorer classes of their societies if they are to be capable of total mobilization. All of these developments could occur for other motives- for example, economic ones- but war frames the need for social modernization in a particularly acute way and provides an unambiguous test of its success.

الترجمة 1

"إن احتمال نشوب الحروب دافع قوي إلى تغليب العقلانية في المجتمعات وإلى إقامة بناء اجتماعي ذي طابع موحد في مختلف الحضارات، فأي دولة تطمع في حماية سيادتها السياسية، مضطرة إلى تبني تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها. والأهم من ذلك، أن خطر الحرب يضطر الدول إلى إعادة بناء أنظمتها الاجتماعية بحيث تكون أكثر فعالية في إنتاج التكنولوجيا واستخدامها. وعلى سبيل المثال فإن على الدول أن تكون بحجم معيّن يسمح لها بمنافسة جيرانها، وهو ما يخلق حافزا قويا من أجل الوحدة القومية. وعليها أن تعبئ مواردها على المستوى القومي وهو ما يتطلب إقامة سلطة مركزية قوية للدولة لها حق فرض الضرائب وسن القوانين. وعليها هدم أشكال من الروابط الإقليمية والدينية والأسرية التي يمكن أن تعرقل الوحدة القومية. وعليها أن تنهض بمستوى التعليم من أجل تخريج صفوة قادرة على استخدام التكنولوجيا. وعليها أن تتابع التطورات التي تجري خارج حدودها وتقيم الصلات معها. وبات لزاما عليها، بعد إدخال نظام الجيوش الجرارة منذ الحروب النابليونية، أن تفتح الباب على الأقل أمام منح الحقوق المدنية للطبقات الأفقر في مجتمعاتها متى شاءت أن تكون التعبئة العامة في وسعها. وقد تنشأ كل هذه التطورات من بواعث أخرى –كالبواعث الاقتصادية–غير أن الحروب تؤكد أكثر من غيرها الحاجة إلى الحداثة الاجتماعية، وتوفر الامتحان الحقيقي لقدرتها على النجاح."

الترجمة 2

"إن احتمال الحروب يولد دفعا قويا بهدف عقلنة المجتمعات ومن أجل خلق بنى اجتماعية متماثلة بين الثقافات. فكل دولة تأمل في الحفاظ على استقلالها السياسي هي مضطرة إلى اعتماد تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها. وأكثر من ذلك فالتهديد بالحرب يجبر الدول على اعادة بناء أنظمتها الاجتماعية وفق توجهات مسيطرة في إنتاج التكنولوجيا واستخدامها. فعلى الدول مثلا أن تتمتع بحجم معين لتقف في وجه جيرانها ومنافسيها، مما يخلق عوامل قوية تدفع إلى الوحدة القومية، كما ينبغي عليها أن تكون قادرة على تعبئة مواردها على المستوى القومي، مما يتطلب بناء سلطة جد مركزية للدولة مزودة بسلطة تخوّلها فرض الضرائب والأنظمة، وعلى هذه الدولة أن تفكك الأشكال المختلفة من الروابط الدينية والعائلية والإقليمية اتي من شأنها أن تعرقل الوحدة الوطنية، وعليها أن تزيد من المستوى العام للتربية والإعداد من اجل انتاج نخبة قادرة على تطبيق التكنولوجيا التي تطلبها، وينبغي على هذه الدول أن تبقى على صلة منتبهة بالتطورات التي تحدث خارج حدودها، وعليها أخيرا، بعدما أدخل مبدأ تكوين الجيوش الجرارة خلال الحروب النابليونية، أن تفتح الباب أمام انعتاق الطبقات الفقيرة في مجتمعاتها، إذا كانت تبغي إجراء تعبئة عامة فعالة. كل هذه التطورات يمكن أن تحصل لأسباب أخرى (اقتصادية مثلا)، لكن الحروب تولد الحاجة إلى إجراء التحديث الاجتماعي بشكل حاد خاصة وتشكل اختبارا لا لبس فيه عن مدى نجاحها."

نلاحظ على الترجمتين في هذا النموذج اختلافهما في التعامل المصطلحي مع مصطلح cultures فبينما اختارت الترجمة 1 ترجمته بـ'الحضارات' اختارت الترجمة 2 ترجمته بـ'الثقافات'، ولعل لكل من الاختيارين ما يبرره، فالترجمة 1 تربط بين البناء الاجتماعي الذي يجب أن يخضع لعملية توحيد بين مختلف الحضارات، آخذة بذلك البعد التاريخي في عين الاعتبار، فالبناء الاجتماعي يخضع لنفس المنطق تقريبا بين مختلف الحضارات في الظرف الذي يولده احتمال الحرب، بينما يبدو أن اختيار الترجمة 2 لـ'الثقافات' لا يبرره سوى التلازم الحاصل بين مصطلحي الاجتماعي والثقافي في العلوم الانسانية، وقد اتجهت بذلك اتجاها حرفيا واضحا أدى بها لأن تكون متجهة صوب الأصل خلافا للترجمة 1 التي تحررت من النص الأصلي واتجهت صوب الهدف على مستوى هذا المصطلح.

ويبدو ان الترجمة 2 قد أضافت من باب التوضيح عبارة 'التي تطلبها' في قولها 'عليها أن تزيد من المستوى العام للتربية والإعداد من اجل إنتاج نخبة قادرة على تطبيق التكنولوجيا التي تطلبها' حيث لم يتضمن النص الأصلي عبارة 'التي تطلبها' كما لم يتضمن ما يشير إلى كلمة 'الإعداد' ويبدو أن الترجمة 2 قد أضافت هاتين العبارتين من باب التوضيح. كما يبدو من خلال هذا النموذج أن الترجمة 1 تواصل انتهاج الإطناب في التعبير من خلال قولها 'احتمال نشوب الحروب' وأيضا في أن تتجه اتجاها يبدو أنه أدبي إلى حد بعيد في قولها 'فالدول التي تطمع في

حماية سيادتها السياسية' حيث أن الطمع ليس مناسبا لخصوصية نص علمي جاف في لغته، بل كان الأحرى بها استخدام لفظ الطموح أو الرغبة للدلالة على المعنى دلالة لا تحمل في طياتها أي مكنون دلالي ذي صبغة أدبية كما جاء في النص الأصلي.

4-3-28 النموذج 28

A similar process occurred in The Ottoman Empire and in Japan. The incursion of a French army into Egypt under Napoleon in 1798 shook Egyptian society and led to a major reform of the Egyptian military under its Ottoman pasha, Mohammed Ali. This new army, trained with a European help, was so successful that it challenged Ottoman control of much of the Middle East, and prompted the Ottoman Sultan Mahmud II to undertake a far-reaching set of reforms that duplicated those of the European monarchs from the previous two centuries. Mahmud broke the old feudal order by massacring the Janissaries (an elite corps of the palace guards) in 1826 opened up a series of secular schools, and dramatically increased the power of the Ottoman central bureaucracy. Similarly, the superiority of Commodore Penny's naval guns was decisive in persuading the daimyos in Japan that they had no choice but to open their country up and accept the challenge of foreign competition. (This did not happen without resistance; as late as the 1850 a gunnery specialist, Takashima Shuhan, was jailed for advocating the adoption of Western Military technology). Under the slogan 'Rich country, strong army', the new leadership in Japan replaced old temple schools with a system of compulsory education administered by the state, recruited a mass peasant army in place of the samurai warriors, and established national taxation, banking, and currency systems. The wholesale transformation of the

Japanese society brought about during the Meiji restoration and the re-centralization of the Japanese state was motivated by an urgent sense that Japan had to learn to absorb Western technology if it was not to lose its national independence to European colonialism, as China had done.

الترجمة 1

"وحدث أمر مماثل في الإمبراطورية العثمانية واليابان. فدخول الجيش الفرنسي بقيادة نابليون مصر عام 1798، هزّ المجتمع المصري هزا، وأدى إلى إصلاح جذري للجيش المصري نهض به الوالي العثماني محمد علي. وقد بلغ نجاح هذا الجيش الجديد الذي أسهم الأوروبيون في تدريبه، درجة أن تحدى فيها الحكم العثماني في أنحاء عديدة من الشرق الأوسط، مما أدى بالسلطان العثماني محمود الثاني إلى النهوض بإصلاحات واسعة النطاق على غرار إصلاحات ملوك أروبا في القرنين السالفين. وقد كسر السلطان محمود الثاني شوكة النظام الإقطاعي القديم بتدبيره مذبحة للانكشارية (وهم صفوة حرس القصر) عام 1826، وأسس سلسلة من المدارس المدنية، وعزز كثيرا من قوة البيروقراطية المركزية العثمانية. كذلك فإن تفوق فعالية مدافع البحرية بقيادة القائد بيري كان حاسما في إقناع طبقة 'الدايمو' في اليابان بأنه يتحتم على بلادهم الانفتاح على الخارج وقبول تحدي المنافسة الأجنبية. (لم يحدث هذا دون مقاومة، ففي الخمسينات من القرن الماضي حكم بالسجن على تاكاشيما شوهان الخبير بالمدفعية بسبب دعوته إلى تبني التكنولوجيا العسكرية

الغربية). وقد رفعت الزعامة الجديدة في اليابان شعار "دولة غنية، جيش قوي" وأحلت مكان مدارس المعبد القديمة نظاما من التعليم الإجباري تديره الدولة، ومكان محاربي الساموراي جيشا كبيرا من الفلاحين، وفرضت نظاما قوميا للضرائب، والبنوك، والعملة. وقد كان الحافز وراء هذا التغيير الشامل في المجتمع الياباني خلال عهد أسرة الميجي واستعادة مركزية الدولة اليابانية، هو الإحساس الملح بأن على اليابان أن تتعلم استيعاب التكنولوجيا الغربية من أجل الاحتفاظ باستقلالها الوطني والحيلولة دون وقوعها–كما وقعت الصين– في براثن الاستعمار الأوروبي."

الترجمة 2

"والإمبراطورية العثمانية واليابان عرفتا أمرا مشابها. فاجتياح الجيش الفرنسي بقيادة بونابرت عام 1798 قلّب المجتمع المصري وأدّى إلى إصلاح جذري في الجيش المصري بقيادة الباشا العثماني محمد علي. هذا الجيش الجديد الذي دُرّب بمساعدة الأوروبيين أصبح فعالا بحيث نافس السلطة المركزية العثمانية في منطقة كبرى في الشرق الأوسط وأجبر السلطان محمود الثالث على إجراء مجموعة من الإصلاحات الأساسية التي نقلها عن الأنظمة الأوروبية الملكية في القرنين السابقين. لقد أنهى محمود الثالث النظام الإقطاعي القديم بإبادة الانكشارية (وهم حرس السلاطين الطغاة) عام 1826 وفتح عددا من المدارس العلمانية وزاد من سلطة البيروقراطية العثمانية بشكل واسع.

هذا التحديث لاقى أحيانا مقاومة: في اليابان ألقى الاختصاصيون في المدفعية تاكاشيما شوهان في السجن خلال الأعوام 1870 لأنه أوصى باعتماد التقنيات العسكرية الغربية. وبالطريقة نفسها، وبعد أن تبين للأمراء اليابانيين الدايموس تفوق المدفعية البحرية التابعة للكومودور بيري اقتنعوا أن لا خيار لهم إلا بفتح بلادهم، ووقع تحدي المنافسة الأجنبية. وتحت شعار "بلد غني وجيش قوي" استبدلت النخبة الجديدة الحاكمة في اليابان المدارس القديمة في المعابد بنظام تعليم إجباري تحت سلطة الدولة، وأنشأت جيشا جرارا من الفلاحين ليحلو محل المحاربين القدماء (الساموراي)، وفرضت أخيرا ضريبة وطنية وأقامت البنوك والنظام المالي. فالتحول الشامل للمجتمع الياباني الذي أنجز خلال حكم المايجي والمركزية القوية للدولة اليابانية تحقق من جراء الاحساس أن على اليابان أن يتعلم استيعاب التكنولوجيا الغربية إذا كان لا يريد أن يخسر استقلاله الوطني بسبب الاستعمار الأوروبي، كما حدث ذلك في الصين."

يبدو لنا من خلال هذا النموذج أن الترجمة 2 قد ابتعدت –على خلاف النماذج السابقة–عن النص الأصلي وذلك من خلال تقسيمها لهذا النموذج إلى فقرتين منفصلتين رغم وروده فقرة واحدة في النص الأصلي. ويبدو أن لذلك ما يبرره خاصة إذا علمنا ان الفصل بين الفقرتين في الترجمة 2 يهدف إلى التفريق بين نوعين من الإصلاحات تحدث عنهما النص الأصلي وهما نموذج الإصلاح في

اليابان ونموذج الإصلاح في مصر والدولة العثمانية. غير أن الترجمة 2 لم تكن على درجة من الدقة في نسبتها سجن المدفعي تاكاشيما شوهان إلى الاختصاصيين المدفعيين، وهو ما يعد إخلالا بمضمون النص الأصلي في جزئية مهمة هي المعنى.

وتواصل سلوك الترجمة 1 المنهج الأدبي في الترجمة بقولها 'هز المجتمع المصري هزّا' حيث نلاحظ على مستوى هذه الجملة لجوء المترجم إلى الفعل المطلق 'هز....هزّا' من أجل التوكيد على التأثير العميق الذي سببته حملة نابليون بونابرت على مصر، على خلاف كاتب النص الأصلي الذي لم يبدُ مؤكدا على تأثير الحملة بأي من أنواع التوكيد. كما نلاحظ المنهج نفسه بارزا في قول المترجم 'فقد كسر السلطان محمود الثالث شوكة الانكشارية' على خلاف الترجمة 2 التي بدت في نفس مستوى لغة النص الأصلي الذي يبدو بعيدا عن اللغة الأدبية.

4-3-29 النموذج 29

And indeed, there are examples of countries that have gone through the first stages of industrialization, that are economically developed, urbanized, and secular, possessing a strong and coherent state structure and relatively well educated population, but that are neither capitalist nor democratic. The chief example of this for many years was Stalin's Soviet Union, which between 1928 and the late 1930s had accomplished a fantastic social transformation from largely peasant agricultural country to an industrial powerhouse, without permitting its citizens neither economic nor political freedom. Indeed, the speed with which this transformation occurred

seemed to demonstrate to many people that centralized planning under a police-state tyranny was in fact a more effective means of achieving rapid industrialization than free people operating in free markets. Isaac Deutscher, writing in the 1950s, could still maintain that centrally planned economies were more efficient than the anarchical workings of market economies, and that nationalized were better able to modernize plant and equipment than those of the private sector. The existence, through 1989, of countries in Eastern Europe which were both socialist and economically developed, appeared to indicate that centralized planning was not incompatible with economic modernity.

الترجمة 1

"والواقع أن ثمة أمثلة لدول مرت بالمراحل الأولى من التصنيع، تعد دولا متقدمة اقتصاديا وحضرية وعلمانية، وبناء الدول فيها متين متجانس، وشعبها جيد التعليم نسبيا، غير أنها لا هي بالديمقراطية ولا هي بالرأسمالية. والمثل الرئيسي هنا، ولسنوات عديدة، هو الاتحاد السوفييتي في عهد ستالين، وهو الذي تمكن بين 1928 وأواخر الثلاثينيات من تحقيق تحول اجتماعي مذهل من دولة زراعية معظم سكانها فلاحون، إلى دولة صناعية قوية، دون أن يتيح للمواطنين حريات اقتصادية أو سياسية. والواقع أن السرعة التي تم بها هذا التحول بدا للكثيرين وكأنما هي دليل على أن التخطيط المركزي في ظل طغيان دولة بوليسية، وسيلة أكثر فعالية لتحقيق التصنيع السريع من الحرية التي يتمتع بها المواطنون في الدول ذات الأسواق الحرة. وقد كتب اسحاق دويتشر في الخمسينات يقول إن التخطيط المركزي أكثر فعالية من

فوضى آلية اقتصاد السوق، وأن الصناعات المؤممة أقدر على تحديث المصانع والآلات من القطاع الخاص. وقد كان لوجود دول في أوروبا الشرقية عام 1989، اشتراكية ومتقدمة في آن واحد، أثره في اعتقاد البعض أن التخطيط المركزي لا يتنافى مع الحداثة الاقتصادية."

الترجمة 2

"هناك في الواقع أمثلة عن بلدان اجتازت المراحل الأولى من التصنيع، وهي متطورة اقتصاديا، علمانية، فيها مدن منتظمة، تملك بنية دولة قوية وصلبة، كما أن سكانها مؤهلون جيدا نسبيا، ومع ذلك ليست بلدانا رأسمالية ولا ديمقراطية. وأفضل مثال على ذلك كان لوقت طويل روسيا أيام ستالين، فقد حققت بين 1928 ونهاية الثلاثينات تحولا اقتصاديا رائعا إذ انتقلت من حالة البلد الزراعي بشكل أساسي، إلى حالة القوة الصناعية الكبرى، وذلك دون أن تترك لمواطنيها أية حرية اقتصادية أو سياسية. إن السرعة التي جرى بها هذا التحول بدت وكأنها تبرهن للشعوب أن التخطيط المركزي والموجه من قبل دولة بوليسية طاغية هو وسيلة اكثر فعالية لتحقيق التصنيع السريع من الناس الأحرار الذين يعملون في ظل السوق الحرة. وقد استطاع اسحق دويتشر، عندما كتب في الخمسينات، التأكيد ان الاقتصادية المخططة والمركزية كانت أكثر فعالية من العمل الفوضوي لاقتصاديات السوق، وأن

الصناعات المؤممة كانت أكثر قدرة على تحديث تجهيزاتها ومصانعها من صناعات القطاع الخاص. فوجود بلدان في أوروبا الشرقية عام 1989، والتي هي في نفس الوقت اشتراكية ومتطورة اقتصاديا، يبدو وكأنه يشير إلى أن التخطيط المركزي لم يكن متعارضا مع الحداثة الاقتصادية."

ابتعدت الترجمة 2 عن النص الأصلي بترجمتها لـSoviet Union بـ 'روسيا'

وذلك فيه من المغالطة ما لا يخفى لأن لفظ روسيا قد يفهم منه ما بعد الحرب

الباردة بينما يتحدث النص الأصلي عن الاتحاد السوفياتي أيام قوته في الحرب الباردة.

كما أنه لا يبدو هناك مبرر لاستخدام المصدر الصناعي 'اقتصادية' و 'اقتصاديات' لترجمة economy فالمصطلح واضح أنه يعني الاقتصاد أو النظام الاقتصادي ولم يكن هناك داع للجوء الترجمة 2 إلى مثل هذه الصياغة الصرفية. على ذلك فقد حاولت الترجمة 2 الحفاظ على الصيغة الزمنية في الترجمة باستخدامها للفعل الماضي في جل المواضع، على خلاف الترجمة 1 التي بدت مبتعدة عن ذاك مفضلة التنويع بين الزمن الماضي والمضارع ولعل لذلك ما يبرره وهو كون اللغة العربية تسمح بذلك كون المقام هنا ليس مقام سرد لوقائع ماضية بقدر ما هو تعبير عن معتقدات ايديولوجية يجوز فيها التعبير بالزمن المضارع.

يبدو لنا باختصار أن جل المؤشرات تدل على اتجاه الترجمة 1 صوب الهدف من خلال تحررها من القيد الزمني بينما تشير محافظة الترجمة 2 على الزمن الماضي إلى اتجاهها صوب الأصل.

4-3-30 النموذج 30

We now come to the most difficult part of our argument: Does the Mechanism of modern natural science lead to liberal democracy? If the logic of advanced industrialization, determined by modern natural science, creates a strong predisposition in favor of capitalism and market economics, does it also produce free government and democratic participation? In a landmark article written in 1959, the sociologist Seymour Martin Lipset demonstrated that there was an extremely high degree of empirical correlation between stable democracy, on the one hand, and a country's level of economic development on the other, as well as with other indices related to economic development such as urbanization, education, and so forth. Is there a necessary connection between advanced industrialization and political liberalism that accounts for this high degree of correlation? Or is it possible that political liberalism is simply a cultural artifact of European civilization and its various offshoots, which for independent reasons happened to have produced the most notable cases of successful industrialization?

As we will see, the relationship between economic development and democracy is far from accidental, but the motives behind the choice of democracy are not fundamentally economic. They have another source, and are facilitated, but not made necessary, by industrialization.

الترجمة 1

"نأتي الآن إلى أصعب شطر من حجتنا وهو: هل تؤدي آلية العلوم الطبيعية الحديثة إلى ديموقراطية ليبرالية؟ فإن كان منطق التصنيع المتقدم الذي تحدده العلوم الطبيعية الحديثة يخلق ميلا قويا إلى الرأسمالية واقتصادات السوق، فهل يخلق أيضا حكومة حرة، ومشاركة ديموقراطية؟ لقد كتب عالم الاجتماع سيمور مارتن ليبسيت في مقال له بالغ الأهمية عام 1959 موضحا وجود درجة عالية جدا من العلاقة التجريبية المتبادلة بين الديموقراطية المستقرة في جانب، ومستوى التنمية الاقتصادية في الدولة في جانب آخر، وكذا المؤثرات الخاصة بالتنمية الاقتصادية كالتوسع في المدن والتعليم وغير ذلك. فهل ثمة صلة حتمية بين التصنيع المتقدم والليبرالية السياسية تبرر هذه العلاقة القوية؟ أم أنه من المحتمل أن تكون الليبرالية السياسية مجرد نتاج حضاري للحضارة الأوروبية ومختلف سلالاتها، صادف –لأسباب مختلفة– أن أسفر عن أشهر أمثلة للتصنيع الناجح؟

سنرى أن العلاقة بين التنمية الاقتصادية والديموقراطية أبعد ما تكون عن المصادفة. غير أن البواعث وراء اختيار الديموقراطية ليست اقتصادية في أساسها، إذ لها مصدر آخر، وهو ما يسهله التصنيع دون أن يجعله حتميا."

الترجمة 2

"نصل الآن إلى القسم الأكثر صعوبة من موضوعنا: لماذا تقود أولية الفيزياء الحديثة إلى الديموقراطية الليبرالية؟ إذا كان صحيحا أن منطق التصنيع المتقدم الذي تحدده الفيزياء الحديثة يولد استعدادا قويا لصالح الرأسمالية واقتصاد السوق، فهل ينتج أيضا الحكومات الليبرالية والمشاركة الديمقراطية؟ لقد بين عالم الاجتماع سايمور مارتن ليبسيت ف مقال رئيسي كتبه عام 1959 أن هناك درجة عالية جدا من الترابط التجريبي بين الديموقراطية الثابتة من جهة، ومستوى التطور الاقتصادي لبلد معين من جهة أخرى، وكذلك مع مؤشرات أخرى تتعلق بالنمو الاقتصادي مثل التمدين والتربية ....إلخ، هل يوجد ارتباط ضروري بين التصنيع المتقدم والليبرالية السياسية بإمكانه أن يبرر هذه الدرجة العالة من الترابط؟ أم هل من الممكن أن تكون الليبرالية السياسية مجرد سمة ثقافية للحضارة الأوروبية ولمخلفاتها المتنوعة التي أنتجت، لأسباب مستقلة، الأمثلة المذهلة للتصنيع الناجح؟

وكما سوف نرى، فإن العلاقة بين التطور الاقتصادي و الديمقراطية هي أبعد ما تكون عارضة، ولكن الأسباب التي تتصدر خيار الديمقراطية ليست اقتصادية بشكل أساسي. فهي لها أصل آخر، والتصنيع يقوّيها إن لم يجعلها إلزامية وضرورية."

يبدو لنا من خلال هذا النموذج أن الترجمة 2 أقرب إلى النص الأصل من الترجمة 1 وخاصة عند ملاحظة طريقة طرح التساؤلات في بداية النص، فالقائمون على الترجمة 2 يبدون محافظين على الطابع الإشكالي لتلك التساؤلات على خلاف

الترجمة 1 التي بدت ميالة إلى تبسيط الأسئلة المطروحة في بداية النص على نحو يجعل القارئ يحس أنها مجرد أسئلة بسيطة وليست أسئلة ذات طابع فلسفي إشكالي كما هو وارد في النص الأصلي.

وقد ابتعدت كذلك الترجمة 1 عن المعنى المراد من خلال نقلها لمصطلح indices بقولها 'مؤثرات' إلا أن يكون الأمر متعلقا بمجرد خطأ مطبعي. وقد ابتعدت كذلك الترجمة 2 عما أراده كاتب النص الأصلي في الفقرة الأخيرة من النص، حيث وصفت العلاقة بين النمو الاقتصادي والديمقراطية بأنها 'أبعد ما تكون عارضة' ما يُفهم منه أن هذه العلاقة عارضة إلى حد كبير وهو ما ينفيه كاتب النص الأصلي، ولعل الأجدر بالقائمين على الترجمة 2 كان في أن يقولوا 'أبعد ما تكون عن العرضية' لوصف العلاقة بأن لها تفسير منطقي ما بعيد عن كل ما من شأنه أن يضفي عليها الطابع الصدفي الذي لا يستطيع العقل تفسيره، وذلك ما سعى كاتب النص الأصلي إلى تقريره.

يبدو أن الترجمة 2 متجهة صوب الأصل عدا في الجملة الأولى من الفقرة الثانية، بينما اتجهت الترجمة 1 صوب الهدف من خلال تبسيطها للتساؤلات المطروحة.

4-3-31 النموذج 31

The relationship that exists between economic development, educational levels, and democracy is illustrated quite clearly in Southern Europe. In 1958, Spain embarked on a program of economic liberalization in which the mercantilist policies

of the Francoist state were replaced by liberal ones linking the Spanish economy to that of the outside of the world. This led to a period of very rapid economic growth: in the decade before Franco's death, Spain's economy grew 7.1 percent per year. It was followed by those of Portugal and Greece, which achieved growth rates of 6.4 to 6.2 percent per year, respectively. The social transformations brought about by industrialization were dramatic: in Spain, only 18 percent of the population lived in cities of over 100.000 in 1950; by the 1970, this figure increased to 34 percent. In the 1950 half of the population of Spain, Portugal and Greece were engaged in agriculture, compared to an average of 24 percent in Western Europe as a whole, by 1970 only Greece remained above that latter figure, while in Spain that percentage had dropped to 21. With urbanization came high degrees of education and personal income, and an appreciation of the consumer culture that was being created within the European community. While these economic and social changes did not in themselves bring about higher political pluralism, they created the social milieu under which political pluralism could flourish once political conditions became ripe. The Francoist commissar of the Plan for Economic Development who oversaw much of Spain's Technocratic revolution, Laureano Lopez Rodo, was reported to have said that Spain was ready for democracy when per capita income reached 2000 dollars. This proved quite prophetic: in 1974, on the eve of Franco's death, per capita GDP stood at 2446 dollars.

الترجمة 1

"إن العلاقة الوثيقة القائمة بين التنمية الاقتصادية ومستوى التعليم والديموقراطية يوضحها تماما مثال أوروبا الجنوبية. ففي عام 1958 تبنت اسبانيا

برنامجا للتحرر الاقتصادي أبدل لسياسات حكومة فرانكو الآخذة بمذهب التجاريين سياسات ليبرالية تربط الاقتصاد الاسباني باقتصاد العالم الخارجي. وقد نجمت عن هذا فترة من النمو الاقتصادي السريع جدا. ففي العقد السابق على وفاة فرانكو كان معدل نمو الاقتصاد الاسباني في العام الواحد هو 7.1 بالمائة يليه مباشرة معدل النمو في البرتغال (6.2) واليونان (6.4). وكان التغيير الاجتماعي الناتج عن التصنيع مثيرا حقا. ففي اسبانيا عام 1958 كان 18 في المائة فقط من السكان هم الذين يعيشون في مدن يزيد عدد سكانها عن مائة ألف نسمة، وزادت النسبة عام 1970 لتبلغ 34 في المائة. وفي العام 1950 نجد أن نصف سكان اسبانيا والبرتغال واليونان يعملون في الزراعة بالمقارنة بأربعة وعشرين في المائة في أوروبا الغربية بمجملها. فما أن حلّ العام 1970 حتى وجدنا أن اليونان وحدها هي التي يزيد فيها هذا الرقم عن 24 في المائة، بينما انخفضت النسبة في اسبانيا الى 21 في المائة. وقد واكب اتساع بناء المدن مستوى التعليم وزيادة دخل الفرد وإقبال على الحضارة الاستهلاكية التي بدأت تظهر في دول الاتحاد الأوروبي. ورغم أن هذه التحولات الاقتصادية لم تحقق هي نفسها درجة أعلى من التعددية السياسية، فقد خلقت المناخ الاجتماعي الذي يمكن فيه أن تزدهر للتعددية أن تزدهر في ظله حالما تنضج الظروف السياسية. وقد نقل عن لوريانو لوبيز الذي أشرف في عهد فرانكو على تنفيذ خطة التنمية الاجتماعية وعلى جوانب كثيرة من الثورة التكنوقراطية الاسبانية قوله إن

اسبانيا ستكون مهيأة للديمقراطية حين يبلغ متوسط دخل الفرد 2000 دولارا. وقد هذا القول نبوءة صادقة. ففي العام 1974، عشية وفاة فرانكو، بلغ متوسط دخل الفرد الاسباني 2446 دولارا."

الترجمة 2

"إن العلاقة الوثيقة القائمة بين التطور الاقتصادي ومستوى التربية والديمقراطية تظهر بشكل واضح جدا في أروبا المتوسطية. في العام 1958، انطلقت اسبانيا في ثورة اقتصادية ليبرالية حيث استبدلت سياسات الدولة الفرانكية المركنتيلية بإجراءات ليبرالية تربط الاقتصاد الاسباني باقتصاد العالم الخارجي. هذه الاجراءات حددت فترة من النمو الاقتصادي السريع جدا، فقبل عشر سنوات من موت فرانكو كانت نسبة النمو الاقتصادي السنوي 7.1 بالمائة، ولحق اليونان والبرتغال بإسبانيا بنسب سنوية هي على التوالي 6.5 و6.2 بالمائة. والتحولات الاجتماعية التي أدى إليها التصنيع كانت جذرية ففي اسبانيا كانت نسبة 18 بالمائة فقط من السكان تعيش في مدن تعُدّ أكثر من مئة ألف نسمة عام 1950، في العام 1970 ارتفع هذا الرقم ليبلغ 34 بالمائة. في العام 1950 كان نصف سكان اسبانيا والبرتغال واليونان يعملون في الزراعة، مقابل 24 بالمائة كمعدل وسطي لأوروبا الغربية بمجملها، في العام 1970 وحدها اليونان بقيت في المستوى نفسه، بينما انخفضت النسبة في اسبانيا إلى 21 بالمائة. وقد ترافق النزوح مع تحسن ملحوظ في مستوى التعليم

والمداخيل الفردية، وثقافة الاستهلاك التي كانت تتوطد أكثر في بلدان المجموعة الأوروبية ازدادت استساغتها وطلبها مع ارتفاع مستوى المعيشة. بالطبع لم تؤدّ هذه التغيرات الاقتصادية والاجتماعية من ذاتها إلى تعددية سياسية أكثر أهمية، وإنما خلقت الوسط الاجتماعي الملائم لازدهار التعددية المقبل وذلك بمجرد أن تنقلب الشروط السياسية. ويشتهر عن لورانو لوبيز رودو (Rodo)، مفوض خطة التنمية إبان حكم فرانكو، قوله إن اسبانيا قد تصبح مهيأة للديمقراطية عندما يصبح دخل الفرد فيها إلى 2000 دولارا. وقد كان هذا الكلام نبوءة، عشية موت فرانكو، عام 1974، كان دخل الفرد 2446 دولارا، وقد كان عام 1957، 200 دولارا."

يبدو لنا من خلال هذا النموذج ان الترجمة 1 أقرب ما تكون من التوجه صوب الهدف، حيث أنها حاولت صياغة نص يبدو أكثر اتساقا وانسجاما بالمقارنة مع الترجمة 2، وذلك يبدو في لجوئها الواضح والمتكرر إلى استخدام أدوات الربط المختلفة هادفة بذلك –على ما يبدو– إلى إضفاء التناسق على النص العربي، على خلاف الترجمة 2 التي ابتعدت عن سلوك مثل هذا التوجه مكتفية بإيراد الإحصائيات كما لو كانت نقاطا أو ملاحظات حيث نجد على سبيل المثال ' (...) كانت نسبة 18 بالمائة فقط من السكان تعيش في مدن تعُدّ أكثر من مئة ألف نسمة عام 1950، في العام 1970 ارتفع هذا الرقم ليبلغ 34 بالمائة. في العام 1950 كان نصف سكان اسبانيا والبرتغال واليونان يعملون في الزراعة(...) ' وقد كان من

الممكن للقائمين على هذه الترجمة استخدام الواو أو الفاء أو أداة 'أمّا' أو 'بينما' لتبيان الفرق الواضح بين الرقمين والنسبتين الذي يشكل –على ما يبدو– الهدف من إيراد هذه الارقام في النص الأصلي.

ورغم كون الترجمة 1 متجهة صوب الهدف في مجملها، إلا أن ذلك أدى بها إلى ترجمة consumer culture بـ 'الحضارة الاستهلاكية' وهو –حسب مطالعتنا المتواضعة– مصطلح غير معهود لدى القارئ العربي، وكان الأحرى بالمترجم الاستعاضة عنه بمصطلح 'الثقافة الاستهلاكية' كما رود ذلك في الترجمة 2 وذلك لأنها ترجمة أكثر شيوعا لدى القارئ العربي من 'حضارة استهلاكية'.

4-3-32 النموذج 32

The only apparent regional anomaly is the Middle East, which possesses not stable democracies, and yet contains a number of states with per capita incomes on a European or Asian level. But this is easily explained by oil: income from petroleum has permitted states like Saudi Arabia, Iraq, Iran and the UAE to acquire the trappings of modernity –automobiles, VCRs, Mirage fighter bombers, and the like, without having had their societies go through the social transformations that come when such wealth is generated by the labor of their populations.

الترجمة 1

" ويبدو أن المنطقة الوحيدة التي تشذ عن القاعدة هي منطقة الشرق الأوسط التي ليس بها ديموقراطيات راسخة، وتحوي مع ذلك عددا من الدول يتمتع الفرد فيها

بدخل يعادل دخل الأوروبي أو الآسيوي. غير أنه يمكن تفسير ذلك بسهولة بوجود النفط فيها. فالدخل الناجم عن النفط يسمح لدول مثل المملكة العربية السعودية والعراق وإيران والإمارات العربية المتحدة بامتلاك مظاهر الحداثة، كالسيارات والفيديو ومقاتلات الميراج وغيرها، دون أن تمر مجتمعاتها بالتغيرات الاجتماعية التي تنجم في العادة عن توليد هذه الثروات بفضل عمل سكانها."

الترجمة 2

"العيب الوحيد البارز هو منطقة الشرق الأوسط التي ليس فيها أيضا ديمقراطيات مستقرة بينما تحوي عددا كبيرا من الدول حيث المداخيل الفردية تصل إلى المستويات الأوروبية والآسيوية. ولكن النفط يفسر كل شيء: فالمداخيل النفطية سمحت لدول مثل العربية السعودية والعراق وإيران والإمارات العربية المتحدة أن تحصل الدلائل الخارجية للحداثة –سيارات، فيديوات، طائرات حربية من طراز ميراج وفانتوم إلخ...– دون ان تتلقى مجتمعاتها التحولات الضرورية لبناء ونحت مثل هذه الثروة."

تواصل الترجمة 1 توجهها نحو الهدف، ويبرز ذلك من خلال عمدها إلى إبراز العلاقة المنطقية القائمة بين الأفكار في هذا النموذج، كاستخدامها للفعل 'شذّ' وكذا استخدامها لأداة 'مع ذلك' لإبراز التناقض الذي عبر عنه النص الأصلي بين غياب الديمقراطية والدخل الفردي المرتفع. ويظهر كذلك توجهها صوب الهدف

بترجمتها لأسماء البلدان ترجمة معنوية على خلاف الترجمة 2 التي اكتفت بالتعبير الإنجليزي في قولها 'العربية السعودية' ولجأت كذلك الترجمة 2 إلى التصرف في النص من خلال إضافة كلمة 'نحت' التي يبدو أن النص الأصلي لم يتضمن ما يشير إليها.

يبدو أن الترجمة 2 في هذه الجزئية كانت مبتعدة عن التوجه صوب الأصل على خلاف ما بدا في النماذج السابقة.

4-3-33 النموذج 33

A second line of argument explaining why economic development should produce democracy has to do with the tendency of dictatorships or one-party rule to degenerate over time, and to degenerate more quickly when faced with the task of running an advanced technological society. Revolutionary regimes may govern effectively in their early years by virtue of what Max Weber called charismatic authority. But once the founders of the regimes have passed on, there is no guarantee that their successors will enjoy the same degree of authority, or even that they will be minimally competent at running the country. Long-standing dictatorships are capable of producing grotesque personalistic excesses like former Romanian rule Nicolae Ceaucescu's 40.000 –watt chandelier, built at a time when the state was declaring electricity blackouts. Self-destructive power struggles develop among followers of those who founded the regime, who succeed in checking one another but not in governing the country effectively. The alternative of ceaseless power struggle and arbitrary dictatorship is increasingly routinized and institutionalized procedures of selecting new leaders and vetting policies. If such procedures for selecting leaders

exist, the authors of bad policies can be replaced without bringing down the entire system.

الترجمة 1

"وأمّا الحجة الثانية التي تفسر كيف أن النمو الاقتصادي يؤدي إلى الديموقراطية فمتصلة بميل الديكتاتوريات أو نظام الحزب الواحد إلى التحلل بمضي الزمن، والتحلل بسرعة أكبر حين تواجهه مهمة إدارة مجتمع متقدم تكنولوجيا. فقد تحكم الأنظمة الديموقراطية بصورة فعالة خلال سنواتها الأولى بفضل ما سماه ماكس فيبر بسلطة **الزعامة الملهمة**. غير أنه باختفاء صورة مؤسسي النظام من المسرح، فليس ثمة ما يضمن أن يكون خلفاؤهم على ما كانوا عليه من موهبة سلطوية، أو حتى أن تتوافر فيهم أدنى درجة من الكفاءة لحكم البلاد. **ذلك أن** بوسع الديكتاتوريات المعمرة أن تتكشف عن شخصيات ذات تصرفات متطرفة بالغة الغرابة، كإصرار الرئيس الروماني السابق على إنتاج ثريات ذات قوة تبلغ 40000 واط، في الوقت الذي كانت فيه الدولة تقطع الكهرباء من أجل توفير الطاقة. **وكثيرا** ما تنشأ صراعات مدمرة على السلطة بين أتباع ومؤسسي النظام، فينجحوا في مراقبة بعضهم البعض لا في حكم البلاد بصورة فعالة. أما البديل عن الصراع الدائب على الديكتاتورية والسلطة التحكمية، فهو وضع ترتيبات روتينية مقننة لاختيار القادة الجدد والسياسات

الحكيمة. وفي هذه الحالة يمكن إزاحة أصحاب السياسات السيئة دون هدم النظام بأسره."

الترجمة 2:

"هناك نوع آخر من البرهنة التي تفسر لماذا يجب أن ينتج التطور الاقتصادي الديمقراطية **بشكل طبيعي،** وهي تركز على اتجاه الديكتاتوريات أو الأنظمة ذات الحزب الواحد إلى الانحلال مع الزمن، وإلى الانحلال بشكل أسرع عندما يكون عليها أن تقود مجتمعا متقدما تكنولوجيا. فالأنظمة الثورية تستطيع أن تحكم بلدانها بفعالية خلال سنوات حكمها الأولى بفضل ما يسميه ماكس فيبر سلطانها **الكاريسمي.** ولكن عندما يختفي مؤسسو النظام لا شيء يكفل بأن يتمتع خلفاؤهم بدرجة من السلطة المشابهة، ولا أن يكون لهم الحد الادنى من الكفاءة المطلوبة لإدارة البلد. **فالديكتاتوريات** التي تدوم تكون قادرة على تحقيق تبذير شخصي فادح، مثل الثريا التي تحوي 40000 شمعة، الخاصة بالديكتاتور الروماني السابق نيكولاي تشاو سيسكو، والتي بنيت عندما كانت الدولة تقطع التيار في فترات منتظمة. كما أن صراعات داخلية هدامة من أجل السلطة تنشأ بين خلفاء مؤسس النظام الذين ينجحون في إفشال بعضهم بعضا ولا ينجحون في حكم البلاد بفعالية. **والحل** لهذه الصراعات الدائمة وللديكتاتوريات الاعتباطية يكون بتحديد الإجراءات المؤسسية والآلية من أجل اختيار القادة الجدد ومن أجل السياسات الواجب تطبيقها:

إذا وجدت مثل تلك الإجراءات، فإن المسؤولين عن السياسات يمكن استبدالهم دون الاضطرار الى قلب النظام برمته."

أول ما يمكن ملاحظته في هذا النموذج هو اختلاف الترجمة 1 والترجمة 2 من ناحية تعاملهما مع مصطلح degenerate حيث كان اتجاه الترجمة 1 بقولها 'التحلل' بينما اتجهت الترجمة 2 إلى قولها 'انحلال'، والظاهر من خلال العودة إلى الموازين الصرفية باللغة العربية أن اختيار 'انحلال' أكثر دقة في التعبير عن مراد كاتب النص الأصلي، ذلك أن 'انحلال' هو مصدر للفعل 'انحلّ' على وزن 'انفعل' ومعروف في الموازين الصرفية العربية أن اضافة الألف والنون إلى الفعل الثلاثي يدل على قيام الفاعل نفسه بالفعل، وهو ما يشير إليه النص الأصلي بانحلال الأنظمة الديكتاتورية من تلقاء نفسها، على خلاف الترجمة 1 التي ترجمت المصطلح بقولها 'تحلّل' وهو من الفعل 'تحلَّل' الذي يفيد في الموازين الصرفية العربية المبالغة في الفعل على وزن 'تفعّل'.

وقد اضافت كل من الترجمتين ما يدلّ على الحجاج عند كاتب النص الأصلي، فأما الترجمة 1 فأضافت 'ذلك أن' وأما الترجمة 2 فاكتفت بـ'الفاء' السببية للتدليل على سوق الكاتب للحجج.

واتجهت الترجمة 1 إلى الترجمة المعنوية في نقلها لمصطلح charismatic من خلال قولها 'سلطة الزعامة الملهمة' على خلاف الترجمة 2 التي اكتفت باقتراضها

للمصطلح، ولعل الاقتراض –على ما يبدو– أوفق في هذا المقام، ذلك أن 'الزعامة الملهمة' كثيرا ما ترافق وصف الأنظمة الديكتاتورية ووصف خصائصها، لكنها لا تؤدي المطلوب عندما يتعلق الأمر بالتعبير عن المكنون الدلالي لمصطلح 'الكاريزما' التي تشير إلى صفات مميزة لشخص الحاكم أو الديكتاتور لا علاقة لها بمفهوم الإلهام، لذلك كان الأولى في اقتراض هذا المصطلح نظرا لعدم وجود ما يكافئه في اللغة العربية بالنسبة للترجمة 1. وقد اتجهت كذلك الترجمة 2 اتجاها معنويا بترجمتها لكلمة alternative بقولها 'والحلّ...' خلافا للاتجاه الحرفي الذي سلكته الترجمة 1 من خلال قولها 'أما البديل' ولعل اختيار الترجمة 2 أكثر دقة على ما يبدو، لأن كاتب النص الأصلي يتحدث عن الديكتاتورية والصراعات التي تنشأ بين ورثة الزعيم المؤسس للنظام على أنها مشاكل ينبغي حلها للمحافظة على ديمومة النظام، والتي يكون حلها بوضع الاجراءات القانونية الكفيلة باختيار القادة، وليست هذه الإجراءات القانونية بديلا عن النظام القائم، لأن كاتب النص الأصلي يضيف عبارة تشير إلى المحافظة على النظام من السقوط.

على خلاف بعض النماذج السابقة، ظهرت الترجمة 2 أكثر اتجاها إلى الهدف من الترجمة 1.

4-3-34 النموذج 34

The effect of education on political attitudes is complicated, but there are reasons for thinking it at least creates the conditions for democratic society. The self-

professed aim of modern education is to ‘liberate’ people from prejudices and traditional forms of authority. Educated people are said not to obey authority blindly, but rather learn to think for themselves. Even if this doesn’t happen on a mass basis, people can be taught to see their own self-interest more clearly, and over a long time horizon. Education also makes people demand more of themselves and for themselves; in other words, they acquire a certain sense of dignity which they want to have respected by their fellow citizens and by the state. In traditional peasant society, it is possible for a local landlord to recruit peasant to kill other peasants and dispossess them of their land. They do so not because it is in their interest, but because they are used to obeying authority.

الترجمة 1

"وتأثير التعليم في المواقف السياسية تأثير معقّد، غير أن ثمة أسبابا تدعو إلى الاعتقاد أن التعليم يخلق الظروف المناسبة للمجتمع الديموقراطي. فالهدف المعلن للتعليم الحديث هو 'تحرير' الناس من التعصب والأشكال التقليدية للسلطة. ويقال إن المثقفين لا يمكنهم طاعة السلطة طاعة عمياء، بل يتعلمون كيف يفكرون لأنفسهم. وحتى لو لم يحدث هذا على نطاق جماهيري، فبالوسع على الأقل تعليم الناس أن يرو مصلحتهم الخاصة بوضوح أكبر، وعلى مدى أطول. كذلك، فإن التعليم يجعل الناس يطالبون أنفسهم، ويطالبون لأنفسهم بالمزيد. وبعبارة أخرى، فإنهم يكتسبون إحساسا بالكرامة، ويريدون أن تحترم الدولة، ويحترم غيرهم من المواطنين هذا الاحساس. ذلك أنه في المجتمع الريفي القديم يمكن للمالك المحلي أن يجند

الفلاحين ليقتلوا فلاحين آخرين ويستولوا على أراضيهم. وهم إنما يفعلون ذلك لا لأن ذلك يخدم مصلحتهم، بل لأنهم معتادون على إطاعة السلطة."

الترجمة 2

"وتأثير التربية على المواقف السياسية هو تأثير معقد، ولكن توجد أسباب تدفع إلى الاعتقاد أن هذا التأثير يخلق على الأقل شروط المجتمع الديمقراطي المسبقة. فالهدف المعلن للتربية الحديثة هو 'تحرير' الناس من الأحكام المسبقة ومن الأشكال التقليدية للسلطة. يقال إن الناس المثقفين لا يخضعون للسلطة خضوعا أعمى، بل إنهم يتعلمون كيف يفكرون من تلقاء أنفسهم. حتى ولو لم يكن ذلك صحيحا بدقة بالنسبة للجمهور الواسع، فإننا مع ذلك نستطيع أن نعلم الناس تمييز مصالحهم الخاصة والتفكير على أمد طويل، والتربية أيضا تجعل الناس أكثر تطلبا لأنفسهم وتجاه أنفسهم، وبعبارات أخرى، فإنهم يكتسبون معنى معينا للكرامة يودون أن يحترمه مواطنوهم وكذلك الدولة. فمن الممكن لإقطاعي فلاحي في أحد المجتمعات التقليدية أن يجند الفلاحين لقتل آخرين أو الاستئثار بأراضيهم. فالمأجورون هنا يعملون ليس بدافع مصلحتهم الذاتية وإنما لأنهم اعتادوا الخضوع للسلطة."

أول ما يمكن ملاحظته في هذا النموذج هو اختلاف الترجمتين في التعامل مع مصطلح education فبينما ترجمتها الترجمة 1 بـ'التعليم' ترجمتها الترجمة 2

بـ'التربية' ولعل ما دفع بالترجمة 2 إلى اختيار 'التربية' هو اعتمادها على الأصل الإنجليزي بمعية ترجمته الفرنسية، فيبدو أن الترجمة عن الفرنسية كانت معيارا أثر في توجه الترجمة 2 نحو اختيار لفظ 'تربية'.

وقد سعت الترجمتان إلى المحافظة على التناسق من خلال استعمال أدوات العطف مثل الواو والفاء، وهو توجه أكثر بروزا في الترجمة 1 منه في الترجمة 2. ويبدو أنّ الاتجاه الحرفي الذي سلكته الترجمة 2 قد أدى إلى نوع من الإطناب خاصة في قولها 'يقال إن الناس المثقفين' حيث كان يكفي القول 'يقال إن المثقفين' للدلالة على الفئة المعينة من المجتمع المتميزة بميزات معينة.

وقد واصلت الترجمة 2 استخدام ضمير المتكلم 'نحن' في قولها '...نستطيع مع ذلك أن نعلم الناس مصالحهم الخاصة...' غير أن علمية النص وخاصيته الأكاديمية تفترض المحافظة على غياب ضمير المتكلم كما توجهت إلى ذلك الترجمة 1.

4-3-35 النموذج 35:

We have become used to thinking about the question of the survival of democracy in terms of foreign policy. In the eyes of people like Jean-François Revel, democracy’s greatest weakness is its inability to defend itself against ruthless and determined tyrannies. The question of whether and for how long the threat from these tyrannies has receded will continue to preoccupy us in a world still full of authoritarianisms, theocracies, intolerant nationalisms, and the like. But let us grant,

for the moment, that liberal democracy has vanquished its foreign rivals and for the foreseeable future faces no serious external threats to its survival. Left to themselves, can those stable, long-standing liberal democracies of Europe and America be indefinitely self-sustaining, or will they one day collapse from some kind of internal rot, much as communism has done? Liberal democracies are doubtless plagued by a host of problems like unemployment, pollution, drugs, crime, and the like, but beyond these immediate concerns lies the question of whether there are deeper sources of discontent within liberal democracy- whether life there is truly satisfying. If no such contradictions are apparent to us, then we are in a position to say with Hegel that we have reached the end of history. But if they are, we would have to say that History, in the strict sense of the word, will continue.

الترجمة 1

"لقد اعتدنا التفكير في موضوع الديموقراطية على ضوء اعتبارات السياسة الخارجية. فمن وجهة نظر أناس مثل جون فرانسوا ريفيل، تتمثل نقطة الضعف الرئيسية في الديموقراطية في فشلها في الدفاع عن نفسها ضد الأنظمة الاستبدادية الحازمة التي لا تعرف الرحمة. أما السؤال عما إذا كان خطر هذه النظم قد انحسر وإلى متى سيظل منحسرا، فسؤال سيظل يشغل بالنا في عالم لا يزال مليئا بالنظم الشمولية والثيوقراطية والقوميات المتعصبة وغير ذلك. ولكن لنفترض أن الديموقراطية الليبرالية قد قهرت منافساتها الأجنبية، وأنها لن تواجه في المستقبل المرئي أخطارا ذات بال تهدد بقاءها. فهل تستطيع هذه الديموقراطيات الليبرالية المستقرة في أمريكا

وغرب أوروبا، لو تركت وشأنها، أن تحافظ على كيانها إلى الأبد، أم أنها ستنهار يوما ما بسبب نوع من العطب داخلها شأنها شأن الشيوعية؟ لا شك أن الديموقراطيات الليبرالية تعاني من حشد من المشكلات كالبطالة، والتلوث، والمخدرات، والجريمة وما شابه ذلك. غير أن وراء هذه المشكلات الحالة تساؤلا حول ما إذا كانت ثمة مصادر أعمق للسخط داخل الديموقراطيات الليبرالية، وما إذا كانت الحياة داخلها مرضية حقا؟ فإن لم تكن هذه "التناقضات" بادية لنا، فبإمكاننا القول مع هيجل إننا قد وصلنا إلى نهاية التاريخ. أما إن كانت ظاهرة فبإمكاننا القول أن التاريخ بالمعنى الدقيق للكلمة سيستمر."

الترجمة 2

"لقد اعتدنا التفكر في مسألة الحفاظ على الديمقراطية باستخدام مصطلحات السياسة الخارجية. فمن وجهة نظر البعض، ومنهم ريفيل مثلا، إن وهن الديمقراطية الأكبر يكمن في عجزها عن الدفاع عن نفسها في مواجهة **الاستبداديات** الفظة **والمحددة.** إن معرفة ما إذا كانت هذه الاستبداديات لن تهددنا ثانية، وإلى أي مدى من الزمن، هي مشكلة ستظل، على ما يبدو، تشغلنا في عالم غني بصورة مستديمة، بالنظم السلطوية، والثيوقراطية، والقوميّة المتعصبة....إلخ. فلنعتبر، مؤقتا وكإنجاز متحقق، أن الديمقراطية الليبرالية قد هزمت خصميها الأجنبيين، وأن ليس هناك أي تهديد جدي يلقي بكاهله على استمرارها على قيد الحياة في مستقبل منظور. هل

بمقدور هذه الديمقراطيات الليبرالية في أوروبا وأمريكا، المستقرة منذ أمد بعيد، إذا ما تركت لذاتها، أن تتدعم إلى ما لا نهاية؟ أو أنها ستنهار يوما ما بسبب فساد داخلي ما كالشيوعية؟ إن الديمقراطيات الليبرالية، دون شك، تنوء تحت وطأة جملة من المشكلات، كالبطالة والتلوث والمخدرات والجريمة ....إلخ، لكن إذا ما تركت هذه المواضيع الفورية التي هي مدعاة للقلق، يبقى السؤال مطروحا حول ما إذا كان هناك سبب يدفع إلى الاستياء في كنف النظام الديمقراطي الليبرالي، وما إذا كانت الحياة فيه مرضية. فإن دلت نتيجة التفحص على عدم وجود تناقضات كهذه، استطعنا حينئذ القول مع هيجل إننا قد أدركنا نهاية التاريخ. **ومن جهة أخرى** إن وجدت هذه التناقضات بالفعل، توجب علينا الاستخلاص أن هذا التاريخ بعينه، بأعمق ما تحمله الكلمة من معنى، هو مدعوّ للاستمرار."

تتمثل الجملة المفتاحية في هذا النص في الجملة الأولى التي يرى فيها الكاتب أن الديمقراطية يتم تناولها بالدراسة والتحليل بالاعتماد على السياسة الخارجية، وأن متابعة السياسات الخارجية للدول وتحليلها ودراسة العلاقة الدولية عادة ما يعتبر مؤشرا أو معيارا يتم على أساسه تقييم الديمقراطية ومدى تطبيقها كنظام سياسي. هذا المعنى حافظت عليه الترجمة 1 من خلال قولها "على ضوء اعتبارات السياسة الخارجية" ما يفهم منه أن معطيات السياسة الخارجية الذي يتراءى لنا أنه المصطلح الأكثر دقة في هذا السياق. أما الترجمة 2 التي عبرت عن هذا

المعنى بقولها "بالاعتماد على مصطلحات السياسة الخارجية" فيبدو أنها ضيقت كثيرا من دائرة المعنى المراد لدى كاتب النص الأصلي، فالكاتب يجعل في نصه هذا تحليل الديمقراطية وقياسها معتمدا على متغيرات السياسة الخارجية ومعطياتها، بينما حصرت الترجمة 2 ذلك في الاعتماد على "مصطلحات" وكأن التفكير في الديمقراطية يعاني من عجز مصطلحي يستعاض عنه بالمصطلحات المتداولة في حقل السياسة الدولية، بينما الأمر عند كاتب النص الأصلي أعمق من أن يكون مجرد افتقار لغوي أو مصطلحي، بل هو اعتماد مفاهيمي على متغيرات السياسة الدولية للتفكير في الديمقراطية بكل ما تحمله كلمة تفكير من معنى، فالحقل هنا ينتمي الى العلوم السياسية حيث تشير كلمة تفكير الى التحليل والدراسة والقياس ....إلخ. ولا شك أن السبب في ذلك هو التعامل الحرفي مع العبارة الانجليزية in terms of . بالإضافة إلى ذلك، اختارت الترجمة 2 مصطلح "المحددة" لوصف النظم الاستبدادية التي جاء وصفها في النص الأصلي بـ 'determined ولا شك أن هذا الوصف تعامل حرفي من الترجمة 2 حيث يمكن أن يعني في هذا السياق ما يدور في معنى الفظاظة والقسوة والحزم كما ذهبت إلى ذلك الترجمة 1. كما أن الترجمة 2 افتتحت الجملة الاخيرة من النص بقولها "ومن جهة أخرى" ما يفترض قولها سابقا "من جهة" فمعروف في تناسق النصوص استخدام هذه البنية "من جهة .....ومن جهة أخرى" مما أضفى نوعا من الغموض على تناسق الجملة الاخيرة خاصة وأن

الأمر يتعلق بالتعبير عن إمكانية possibility ويبدو أن الأجدى هنا كان في الاكتفاء بالترجمة الحرفية لأنها تفي بالغرض وتحافظ على المعنى من غير مس بتناسق الجملة.

4-3-36 النموذج 36

The fact that major social inequalities will remain even in the most perfect of liberal societies means that there will be a continuing tension between the twin principles of liberty and equality upon which such societies are based. This tension, noted clearly in Tocqueville, will be as ‘necessary and ineradicable’ as the inequality out of which it grows. Every effort to give the disadvantaged ‘equal dignity’ will mean the abridgement of the freedom or rights of other people, all the more so when the sources of disadvantage lie deep within the social structure. Every place granted to a minority candidate for a job or a university education under an affirmative action program means one less place for others; every government dollar spent on national health insurance or welfare means that much less for the private economy; every attempt to protect workers from unemployment or firms from bankruptcy will mean less economic freedom. There is no fixed or natural point at which liberty and equality come into balance, nor any way of optimizing both simultaneously.

الترجمة 1

" ويعني استمرار المظاهر الكبرى لعدم المساواة الاجتماعية حتى في أكثر المجتمعات الليبرالية كمالا، استمرار التوتر بين المبدئين التوأم، الحرية والمساواة، الذيْن تقوم عليهما هذه المجتمعات. وهذا التوتر الذي أشار إليه توكفيل بوضوح

سيكون 'لازما ولا يمكن استئصاله' طالما استمرت حالة عدم المساواة التي نشأ عنها التوتر. وستعني كل حالة لتوفير 'الكرامة المتساوية' للمحرومين من الامتيازات، تقليصا لحرية أو حقوق الآخرين، خاصة حين تكون أسباب الافتقار إلى الامتيازات نابعة عن البنية الاجتماعية. فكل مكان يعطى لطالب وظيفة من أفراد الأقلية، أو كل تعليم جامعي يهيأ بمقتضى برنامج عمل إيجابي يعني ضياع مكان بالنسبة لآخرين. وكل دولار تنفقه الحكومة على التأمين الصحي القومي أو على رفاهة الشعب يعني ضياع دولار على الاقتصاد الفردي. وكل محاولة لحماية العمال من البطالة أو الشركات من الإفلاس تعني تضييق مجال الحرية الاقتصادية. ذلك أنه لا توجد نقطة محددة أو طبيعية يمكن أن تتوازن عندها الحرية والمساواة، ولا ثمة سبيل لرعاية الاثنتين في وقت واحد."

الترجمة 2

"إذا كان من المقدر للفروقات الاجتماعية أن تستمر حتى في المجتمعات الليبرالية الأكثر كمالا منها، فهذا يعني أن التوتر سيظل قائما بين المبدأين التوأمين للحرية والمساواة المؤسسين لقاعدة هذه المجتمعات. ذلك التوتر، الذي أشار إليه توكفيل بوضوح، سوف يظل 'ضروريا وثابتا' كاللامساواة التي وهبته الحياة. إن كل محاولة لإعطاء 'تقدير متساو' للمحرومين يعني إضعاف الحرية أو تقليص حقوق الفئات الأخرى، هذا مع العلم أن أصول ذلك الوضع يكمن في أعماق البنية

الاجتماعية. فعندما يُمنح مكان لممثل إحدى الأقليات في حقول العمل أو التخصص الجامعي، وذلك بمقتضى برنامج لعمل فإنه يلغي مكانا بالنسبة لآخرين، **قد يكونون أفضل تأهلا منه على وجه التقدير**، وكل دولار تخصصه الحكومة للتأمين الصحي يعني تنقيص دولار من الاقتصاد الخاص، وكل محاولة لحماية العمال من البطالة أو الشركات التجارية من الإفلاس يعني بالطريقة نفسها تخفيضا للحرية الاقتصادية. فلا وجود لنقطة طبيعية أو مثبتة من التوازن بين الحرية والمساواة، ولا أية طريقة للتفضيل بينهما بصورة متوازية."

ما يمكن ملاحظته على النموذج 36 هو عدم الاختلاف كثيرا في طريقة تناول النص بين الترجمتين 1 و2، ولعل مكمن الاختلاف الذي يمكن ملاحظته هو إضافة عبارة 'قد يكونون أفضل تقديرا منه على وجه التقدير' في الترجمة 2، رغم أنها لم ترد في النص الأصلي إلا على وجه التلميح، وإذا كان من الممكن اعتبار هذا الأسلوب في الترجمة تقيُّدا بنظرية أنماط النصوص لصاحبتها كاتارينا رايس التي تحدثت عن وجوب 'إظهار المضمر وإضمار المظهر' فإن ذلك ليس في مثل هذه النصوص، بل خصصت هذا الأسلوب للنصوص الأدبية والتعبيرية الراقية ولم تخصصها لمثل هذا النص الذي يمكن إدراجه في خانة النصوص الناقلة للمعلومة.

كما أن الترجمة 2 نقلت العبارة الأخيرة من النص على غير معناها الأصلي، فكاتب النص الأصلي يتحدث عن عدم وجود طريقة معينة لرعاية الحرية والمساواة

معا، أي أنه لا سبيل لجعلهما على درجة واحدة من الأهمية، ولم يشر إلى ما ذهبت إليه الترجمة 2 في قولها 'ولا أية طريقة للتفضيل بينهما' فالتفضيل قائم لا محالة بين الحرية والمساواة، ذلك أن إهمال الواحدة يستوجب الاهتمام بالأخرى، غير أن الإشكال الذي يشير إليه النص الأصلي في هذه الجزئية غائب في الترجمة 2.

مكمن الاختلاف الآخر الذي يمكن ملاحظته بين الترجمتين هو عدم ميل الترجمة 1 إلى استخدام الجمل التوكيدية التي تبدأ بـ 'إنّ' على خلاف الترجمة 2 التي تؤكد جملها في أكثر من موضع رغم أن النص الأصلي في مقام أكاديمي سالك لمنهجية التحليل المقارن بين الحرية والمساواة والأصل أن اللغة العربية في مثل هذه المواضع تميل إلى استخدام الجمل الخبرية الابتدائية، أي دون اللجوء إلى التوكيد لأن المقام نقل للمعلومة ليس إلاّ.

خلاصة الفصل الرابع

يمكننا أن نصل بعد هذا التحليل المتواضع إلى نتيجة مفادها أن الترجمة 1 كانت أكثر اتجاها صوب الهدف مقارنة بالترجمة 2. ولعل مرجع ذلك يكمن في أن الترجمة 1 قد اعتمدت اعتمادا كليا وحصريا على النص الأصلي وحده، دون الرجوع إلى مراجع أخرى ولو على سبيل الاستئناس، وهو ما صرّح به المترجم حسين أحمد أمين في تقديمه لترجمته. وظهرت الترجمة 1 محافظة على المعنى الأصلي للنص، دون إضافة أو حذف لأي عبارة –حسب ما انتهى إليه تحليلنا–. خلافا لذلك، تباين

اتجاه الترجمة 2 بين الأصل والاتجاه صوب الهدف، ولعل مرجع ذلك في اعتماد المترجمين القائمين عليها على الأصل الإنجليزي للكتاب والترجمة الفرنسية، وكذا بعض المراجع الأخرى التي رجع إليها الكاتب مثل توكفيل وهيجل وهنيغتون، وهي الأسماء التي نجدها تتردد في متن النص الأصلي وقائمة مراجعه. وعلى مستوى الحذف والتصرف، لم تتجه الترجمة 01 صوب الحذف أو التصرف في النص الأصلي حسب ما انتهى إليه تحليل النماذج السالفة الذكر، بينما اتجهت الترجمة 02 صوب الحذف تارة وصوب تلطيف عبارات مثل "الشمولية واليسارية" ولعل مردّ ذلك إلى الخلفية اليسارية للمترجمين القائمين على الترجمة 02 التي أثرت بشكل واضح في الحذف من النص تارة والتصرف تارة أخرى، وهو ما يسميه فينوتي بـ "مرئية المترجم" التي يقصد بها ظهور الأثر الواضح للمترجم في منتجه. لقد أثرت الإيديولوجيا اليسارية للمترجمين الثلاثة القائمين على إعداد الترجمة 02 بالإضافة إلى المشرف على الترجمة تأثيرا واضحا في المنتج الترجمي النهائي لهم، وذلك ما يمكن ملاحظته من خلال حذفهم لبعض المقاطع وتلطيفهم بعض الأوصاف التي ألحقها الكاتب الأصلي بالدول ذات الاتجاه اليساري والشيوعي، ولعل مرد ذلك كونهم لا يعتقدون بنهاية الشيوعية بعد الحرب الباردة رغم هزيمتها لكونها الخلفية النظرية لاتجاههم اليساري.

خـاتـمـة

إن أول ما يتبادر إلى ذهني من خلال هذه الدراسة هو أن ترجمة الخطاب السياسي مختلفة عن سائر أنواع الترجمة وذلك لكونها تعنى بنقل نصوص أساسها القناعة الفكرية والاتجاه الفلسفي والإيديولوجيا بشكل خاص. ويزداد الأمر تعقيدا إذا ما تعلق بمفكر عظيم من المفكرين الأمريكيين المعاصرين الذين يحملون نظرة استعلائية تجاه هذا العالم ترى أن عجلة التاريخ قد توقفت عند الغرب عموما وعند الديمقراطية الليبرالية الأمريكية بشكل خاص. ولعل ما يجعل أمر هذه الترجمة معقدا هو تعامل مترجمين عرب يتوجهون بخطاب مفكر كهذا نحو مجتمع قارئ يدرك جيدا معنى شعارات الديمقراطية الليبرالية الأمريكية.

لقد أبانت لنا هذه الدراسة عن علاقة وثيقة تربط بين الإيديولوجيا والخطاب السياسي. إذ يرى بعض المنظرين أن كل خطاب سياسي هو خطاب يحمل في طياته اتجاها إيديولوجيا بالضرورة وذلك لكونه يشكل تجسيدا للتفاعل بين عناصر ثلاثة هي الاتجاه السياسي والممارسة السياسية إضافة إلى الخيارات اللغوية التي تترجم هذين العنصرين إلى خطاب سياسي. إن تحليل أي خطاب سياسي لابد أن يأخذ في حسبانه العنصرين السابقين وهما الاتجاه السياسي لصاحب الخطاب بالإضافة إلى ممارسته السياسية.

وترتبط الترجمة ودراستها بالإيديولوجيا ارتباطا وثيقا، ذلك أن أي نقل من لغة إلى لغة أخرى يقع تحت طائلة تأثير الاتجاه الفكري للمترجم أو قناعاته الخاصة أو معايير المجتمع الذي يترجم له، وهو ما جعل الكثير من المنظرين على غرار فاوسات يصفون الترجمة بكونها عملية إيديولوجية بالضرورة لكونها عملية إعادة كتابة.

تتغير الدول وتتداول الحضارات على العظمة والرقي في هذا العالم، غير أنّ ما وصل إليه فرانسيس فوكوياما بعد نهاية الحرب الباردة بدا لكثيرين محاولة لفرض أمر واقع فكري وفلسفي، يجعل من مجرد انتصار في حرب كانت لها غاياتها ووسائلها أمرا ذا بعد فلسفي وفكري يحظى بتفسيرات هامة وفقا للأنساق الفكرية النظرية المتعددة. لقد جعل فوكوياما من الليبرالية الأمريكية وقيمها النهاية الطبيعية التي لن يجد الفكر البشري من لدن أول حضارة في التاريخ نهاية أسعد منها. إن هذا التفسير جعل الكثير من الفلاسفة ونقاد التاريخ يصلون حد اتهام فوكوياما بمحاولة شرعنة الهيمنة الأمريكية من الزاوية الأطروحيّة الفلسفية، بل وصلوا حد اتهامه بتقمص أدوار ليست في مستواه ولا درجته سبق وأن تقمصها فلاسفة عظماء في الغرب خصوصا على غرار ماركس وهيجل.

لقد أبانت لنا هذه الدراسة عن تعدد واضح في مناهج المترجمين لدى تعاملهم مع الإيديولوجيا في الخطاب السياسي، وخاصة مع كتاب يحمل نظرية ذات بعد

إيديولوجي واضح. ففي حين سعت الترجمة 01 التي أعدها حسين أحمد أمين إلى المحافظة على المعنى الوارد في النص الأصلي، توجهت الترجمة 02 صوب التغيير الواضح الذي وصل حد التحريف لمعنى النص الأصلي، ولعل ذلك مرتبط أساسا بإيديولوجيا المترجمين الثلاثة القائمين على إعداد الترجمة 02. لقد أبان لنا تحليل عدد من النماذج عن توجه الترجمة 02 صوب التحريف الكلي للمعنى الذي جاء به النص الأصلي وخاصة في المقاطع التي تتضمن تعامل هذا الأخير مع الإيديولوجيا الشيوعية التي هي الخط الافتتاحي لمركز الإنماء القومي الذي أصدر الترجمة، وهي كذلك الخلفية الثقافية والسياسية للاتجاه اليساري الذي ينتمي إليه كل من المترجمين الثلاثة القائمين على إعداد هذه الترجمة. لقد وقف هذا التحليل حائلا دون نقل المعاني التي أرادها كاتب النص الأصلي بالأمانة والدقة المطلوبين، خاصة وأنها معان تحمل بين طياتها تبشيرا للعالم بتخلصه من الإيديولوجيا الشيوعية للأبد، وهو ما لم يُوفّق المترجمون الثلاثة في المحافظة عليه، وفيما يبدو فإن سبب ذلك هو التأثر الواضح بالاتجاه الإيديولوجي والخط الافتتاحي لمركز الإنماء القومي. إن تخصص هؤلاء المترجمين الثلاثة إذا ما أضفنا إليهم المشرف على إعداد الترجمة وهو مطاع صفدي وما كتبه من نقد واضح لنظرية نهاية التاريخ أبان فيها عن دعوى فوكوياما وحاول نزع أيّ صفة فكرية فلسفية عنها قد أثر بشكل واضح في جودة الترجمة وصل حد التحريف الكلي لها من أجل تحميلها معان أكثر مما تحتمله.

أما الترجمة 01، فقد ظهر جليا خاصة لدى تحليلنا للنموذج 01 (4-4-1) تأثرها الواضح بالإيديولوجيا الإسلامية إلى حد ما على مستوى اللفظة المختارة لنقل عبارة The Last Man من خلال قول المترجم "خاتم البشر"، ولعل مردّ ذلك إلى كون المترجم ذا إيديولوجيا إسلامية واضحة أو لرغبته في تضمين ترجمته بعدا آخر يبشّر بخاتمة التطوّر الحاصل للجنس البشري كاملا، فعبّر عن ذلك بقوله "خاتم البشر". ويدرك أي قارئ يعرف اللغة العربية وآدابها أن العبارة التي استخدمها المترجم مستوحاة من التعبير القرآني الذي يبشّر بأن النبي محمدا هو خاتم الأنبياء جميعا إذ جاء في النص القرآني "وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين"، وقد أثمر هذا الخيار في عبارة قوية مكافئة لما جاء في النص الأصلي من حيث قوة العبارة وتضمنها لمعنى الخاتمة الت لن يكون بعدها أي شيء جديد، فكأن المترجم يقول على لسان الكاتب أن ما حدث بنهاية الحرب الباردة هو اختتام المسيرة البشرية كلية محاكيا بذلك العبارة القرآنية المذكورة آنفا.

لقد تحققت الفرضية التي طرحناها في بداية دراستنا وهي أن الأمانة والوفاء لأفكار الكاتب الأصلي هي وحدها المنهج الكفيل بالمحافظة على رسالة النص الأصلي ومنه على الإيديولوجيا التي يسعى إلى إقناع القراء بها. فبعد تحليلنا للنماذج، تبين لنا أن الترجمة 01 قد حافظت إلى حد ما على أفكار الكاتب الأصلي أكثر من الترجمة 02 التي عمدت في عدد من النماذج المحللة إلى التحريف الكلي

للرسالة إن من خلال الحذف الكامل لبعض المقاطع أو من خلال عمدها إلى تلطيف بعض العبارات المتعلقة بالنقد الواضح الذي وجهه الكاتب للدول ذات التوجه السياسي الشيوعي. كما تحققت الفرضية الأخرى التي طرحناها والمتمثلة في وجود علاقة بين التخصص في العلوم السياسية وبين التعامل مع ترجمة الإيديولوجيا في الخطاب السياسي، حيث أن الترجمة 02 قد أبنت عن تحكم المشرفين عليها في العلوم السياسية وهو ما أثر بوضوح من خلال تلاعبها ببعض المقاطع التي تضمنت نقدا واضحا للاتجاه اليساري والشيوعي.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

- إبراهيم، زكريا. (1998). **مشكلة الفلسفة**. الفجالة: مصر.
- ابن دريد، محمد بن الحسين. (1987). **جمهرة اللغة**. بيروت: دار العلم للملايين.
- ابن فارس، أحمد بن محمد. (1979). **معجم مقاييس اللغة**. بيروت: دار الفكر.
- ابن سيده (2000). **المحكم والمحيط الأعظم**. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، محمد ابن مكرم. (1968). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.
- ابن وهب، إبراهيم بن سليمان. (2007). **البرهان في وجوه البيان**. بيروت: مؤسسة الرسالة
- الأزهري، محمد بن أحمد. (2001). **تهذيب اللغة**. بيروت: دار إحياء الكتب العلمية.
- البقاعي، محمد محمود. (2009). **البحث عن دوسوسير**. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- بوتشيش، إبراهيم. (2018). **نقد فوكوياما**. www.aljabiriabed.net. 04/06-2018
- الدراج، محمد فيصل. (1999). **في نقد فوكوياما**. بيروت: دار الفكر العربي.
- الشهري، عبد الهادي. (2004). **استراتيجيات الخطاب. مقاربة تداولية**. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

- صفدي، مطاع. (1994). **نقد نهاية التاريخ**. بيروت: مركز الإنماء القومي العربي.

– ظاهر، مسعود. (1998). **مراجعات نقدية لمقولات فوكوياما الفكرية**. مجلة البحرين الثقافية عدد 18، أفريل 1998. صفحات 30–45.

- العروي، عبد الله. (2003). **مفهوم الإيديولوجيا**. الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

- العناني، محمد. (2006). **نظرية الترجمة الحديثة**. القاهرة: الشركة العامية للنشر لونجمان.

- الغزالي، أبو حامد. (1964). **فضائح الباطنية**. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

- الفراهيدي، الخليل ابن أحمد. (2003). **كتاب العين**. بيروت: دار الكتب العلمية.

- كفيف، فاطمة الزهراء. (09 07, 2008). **مركز الدراسات التخصصية** . تاريخ الاسترداد 02 05, 2019، من http://m-mahdi.net/forum/forum

– الكفوي، أبو البقاء. (2010). **الكليات في الفروق اللغوية**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- المتوكل، أحمد. (2010). **الخطاب وخصائص اللغة العربية. دراسة في البنية والوظيفة والنمط**. الرباط: دار الأمان.

- محمد مزيد، بهاء الدين. (2010). **تبسيط التداولية**. القاهرة: شمس للنشر والتوزيع.

- مختار عمر، أحمد. (2008). **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب.

- منقور ,ع .ا .(2010) .**دراسات دلالية في الفكر المعرفي التراثي** .الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
- النووي ,ش .ا .(1996) .**شرح صحيح مسلم** .القاهرة :دار السلام.
- يقطين، سعيد. (2005). **تحليل الخطاب الروائي**. الدار البيضاء وبيروت: المركز الثقافي العربي.

المراجع باللغة الأجنبية

- Baker, M. (1992). *In Other Words.* London and New York: Routledge.
- Catford, J. (1965). *A linguistic Theory of translation.* Oxford: Oxford University Press.
- Chesterman, A. (1997). *Memes of Translation. The Spread of Ideas In Translation Theory.* Amesterdam: John Benjamin Publication Company.
- Davutoglo, A. (1994). *Civilizational Transformation And The Muslim World.* Istanbul: Mahir Publications.
- Dijk, T. A. (2006). *Politics, Ideology and discourse.* Barcelona: Elsevier Limited.
- Eagleton, T. (1991). *Ideology An introduction.* London and New York: Verso.
- Engber, S. (2018, 06 05). *HEIN ONLINE*. Retrieved from HEIN ONLINE: https://heinonline.org/HOL/LandingPage?handle=hein.journals/stflr41&div=17&id=&page=
- Engels, K. M. (1968). *The German Ideology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Fawcett, P. (1997). *Translation and Language.* Manchester: Saint Jerome.
- Fukuyama, F. (1992). *The End of History And The Last Man.* New York: The Free Press.
- Halverson, S. L. (2002). The Concept of Equivalence in Translation Studies. *Target*, pp. 207-233.
- Hatim, M. a. (2004). *Translation. An Advanced Resource Book.* London and New York: Routledge.

- Larose, r. (1989). *Théories Contemporaine de La Traduction.* Québec: Presse de L'université du Québec.
- Lefevere, A. (1992). *Translating, rewriting and The Manipulation of Literary Frame.* London and New York: Routledge.
- Mason, B. H. (1997). *Discourse and The Translator.* London: Longman.
- Mc-Guire, S. B. (1980). *Translation Studies.* London and New York: Routledge.
- Munday, J. (2001). *introducing Translation Studies.* London and New York: Routledge.
- Naudé, J. (2002). An overview of recent developments in translation studies with special reference to the implications of bible translation. *acta theologica*, pp. 44-69.
- Newmark, P. (1982). *A Textbook of Translation.* London: Prentice Hall International.
- *online Camridge Dictionary*. (2018, 06 03). Récupéré sur cambridge dictionary: https://dictionary.cambridge.org/fr/dictionnaire/anglais/discourse
- *Oxford Living English*. (s.d.). Consulté le 04 15, 2019, sur Oxford: https://en.oxforddictionaries.com/definition/ideology
- Perez, M. (2003). *Apropos of Ideology.* Manchester: Saint Jerome.
- Redouane, J. (1984). *Traductologie: Science et Philosophie de Traduction.* Alger: Office national des publications Universitaires.
- Robert Hodge, G. R. (1979). *Language as ideology.* london and New York: Routledge.
- Robinson, D. (2004). *Becoming A Translator. An Introduction to The Theory and Practice of Translation.* London and New York: Routledge.
- Schaffner, C. (1998). The Concept of Norms in Translation Studies. *Current Issues in Language an Society*, pp. 1-9.
- Schaffner, C. (2003). Third Ways and New Centers. Ideological Unity or Difference. In M. C. Perez, *Apropos of ideology. Translation Studies in Ideologies-Ideologies In Translation Studies* (pp. 23-41). Manchester: St Jerome Publishing.

- Schaffner, C. (2004). Political Discourse Analysis From The Point Of Viw Of Translation Studies. *Journal of Language And Politics*, pp. 117-150.

- Schaffner, P. C. (1997). Politics and Discourse. In T. V. Dijk, *Discourse Studies* (pp. 35-45). Barcelona: Elsvier Limited.

- Snell-Hornbey, M. (2006). *The Turns of Translation !studies: New Paradigms or Shifting Viewpoints.* Amesterdam: John Benjamin Publishing Company.

- Toury, G. (1995). *Descriptive Translation Studies and Beyond.* Amesterdam: John Benjamin publication company.

- Tracy, D. d. (1918). *Elements d'idéologie.* paris: Gallimard.

- Trosborg, A. (1997). *Text Typology and Translation.* Amesterdam: John Benjamin Publication Company.

- Venuti, L. (2000). *the translation studies reader.* London and New York: Routledge.

- Will, j. (1977). The Nature of Translation. In M. Baker, *The Routledge Encyclopedia of Translation Studies* (pp. 90-99). London and New York: Routledge.

- Wodak, N. F. (1997). Critical Discourse Analysis. In T. V. Dijk, *Discourse Studies. A multidisciplinary introduction* (pp. 258-284). London ans New Delhi: Sage Publications.

- Wodak, R. (2001). *Mrthods of critical discourse analysis.* London and New Delhi: SAGE Publications.

Abstract

The Ideological dimension in The Translation of Political Discourse. A Critical Comparative Study of Two Arabic Translations of The End Of History And The Last Man.

This thesis attempts to discuss the translation of political discourse. It tries to check the influence of the ideological aspects on such a translation. The main question asked here is "to what extent the translation political discourse is influenced by ideology? And what are the eventual reasons behind that? To answer such a question, we have chosen two translations of "The End of History and the Last Man"; one is carried out by Hussein Ahmed Amine and the other one is carried out by Reda Achaibi. The present thesis is divided into four chapters; the three first ones are theoretical whereas the fourth one is practical. In the first theoretical chapter we tend to deal with the relation between ideology and political discourse. We would like to explore the definition and have a historical review on the term ideology as well. Then we would like to deal with political discourse and the linguistic aspects that make it ideological as well as the different approaches of analyzing it. In the second theoretical chapter, we would like to study the relation of translation theories and approaches with ideology and political discourse. The various translation trends are summarized and a brief history of studying the translation of political discourse is given as well. The third chapter tends to present an overview of "the End of History" as a theory in political science presented by Fukuyama. We would deal with it as well as its various critics. The fourth chapter tends to be practical. 36 chosen samples are analyzed and a comparison between the two translations in terms of the ideological aspects is done as well. The main issue we seem to conclude with is that the translation of political discourse is governed by ideological norms. The translators are much affected by their own ideology (ies) while rendering such an ideological book.

Keywords: ideology, translation, translation studies, political discourse, CDA

ملخص باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة ترجمة الخطاب السياسي. وتحاول البحث في تأثير المظاهر الإيديولوجية في ترجمة الخطاب السياسي. حاولت هذه الأطروحة الإجابة على سؤال رئيس هو "إلى أي مدى تتأثر ترجمة الخطاب السياسي بالإيديولوجيا؟ وإن كانت الإجابة بنعم، فما الأسباب الكامنة وراء ذلك؟" لأجل الإجابة على هذا السؤال اخترنا مدونة هي كتاب The End of History and The Last Man لـ "فرانسيس فوكوياما" بترجمتين عربيتين له إحداهما أعدها حسين أحمد أمين والثانية شارك في إعدادها كل من رضا الشايبي وجميل قاسم وفؤاد شاهين. تنقسم هذه الدراسة إلى أربعة فصول، ثلاثة نظرية والرابع تطبيقي. أما الفصل النظري الأول فقد سعى إلى ربط العلاقة بين الإيديولوجيا والخطاب السياسي، وأما الفصل النظري الثاني فقد ربط بين الإيديولوجيا من جهة ودراسات الترجمة والخطاب السياسي من جهة ثانية. وأما الفصل النظري الثالث فقد قدّم نظرية نهاية التاريخ لصاحبها فرانسيس فوكوياما ومختلف انتقاداتها. وأما الفصل الرابع فهو الفصل التطبيقي حيث تضمن تحليلا مقارنا لـ 36 أنموذجا. تتمثل النتيجة الأساسية التي خرجت بها هذه الدراسة في كون ترجمة الخطاب السياسي متأثرة بعامل الإيديولوجيا المتمثل في معايير الثقافة المستهدفة وكذا قناعات المترجمين.

الكلمات المفتاحية: الإيديولوجيا، الترجمة، دراسات الترجمة، الخطاب السياسي، التحليل النقدي للخطاب.

ملحق 01 مسرد مصطلحات ترجمية ولسانية إنجليزي- عربي

Acceptability	المقبولية
Adequate expression	التعبير المناسب
Action theory	نظرية الفعل
Adequation	التناسب
Artistic intention	القصد الفني
Bilingual	ثنائي اللغة
Communicative difference	الاختلاف التواصلي
Communicative intention	القصد التواصلي
Communicative translation	صراع الولاءات
Connotation	المعنى اللغوي/ الدلالي
Content invariability	وحدة المضمون
Creative texts	النصوص الإبداعية
Denotative	ظلال المعنى
Directness of translation	توجّه الترجمة
Discourse analysis approach	مقاربة تحليل الخطاب
Dynamic equivalence	التكافؤ الدينامي
Equivalent artistic quality	النوعية الإبداعية المكافئة
Equivalent response	ردة الفعل المكافئة
Equivalent text	النص المكافئ
Expressive texts	النصوص التعبيرية
Field	الحقل
Form of communication	الشكل التواصلي
Formal correspondence	التعادل الشكلي
Formal equivalence	التكافؤ الشكلي

Functional equivalence	التكافؤ الوظيفي
Functional systematic grammar	النحو الوظيفي
Idiosyncrasy	السلوك الشخصي
Informative texts	النصوص الناقلة للمعلومة
Initial norms	المعايير التمهيدية
Intentional	قصدي/مقصود/عن قصد
Language structural differences	اختلاف البنى اللغوية
Mediation	التوسط
Non intentional	عن غير قصد
Operational norms	المعايير العملية
Operational texts	النصوص العاملة/ المؤثرة
Pragmatic equivalence	التكافؤ التداولي
Preliminary norms	المعايير الابتدائية
Prescriptivism	المعيارية
Product norms	معايير المنتوج
Professional norms	المعايير المهنية
Referential language	لغة مرجعية
Register	مستوى لغوي
Semantic translation	الترجمة الدلالية
Source oriented	متجهة صوب الأصل
Systematic process	عملية منهجية/ ممنهجة
Target oriented	متجهة صوب الهدف
Target readership	جمهور قراء الترجمة
Tenor	العمل/ الانطلاق في العمل
Text typology	أنماط النصوص

Textual equivalence	التكافؤ النصي
Translation policy	سياسة ترجمية
Translation process	عملية الترجمة
Translation action expert	خبير الفعل الترجمي
Translation decision making	صناعة القرار الترجمي
Medium	الوسيط
Values	القيم